

سبتمبر
٢٠٠١
العدد
١٩٣

علمنة الفكر الإسلامى

النبوة: بين
اللهة والتاريخ

نصر أبو زيد:
الفرع من
الإسلام

الأقباط في
الحياة السياسية
المصرية

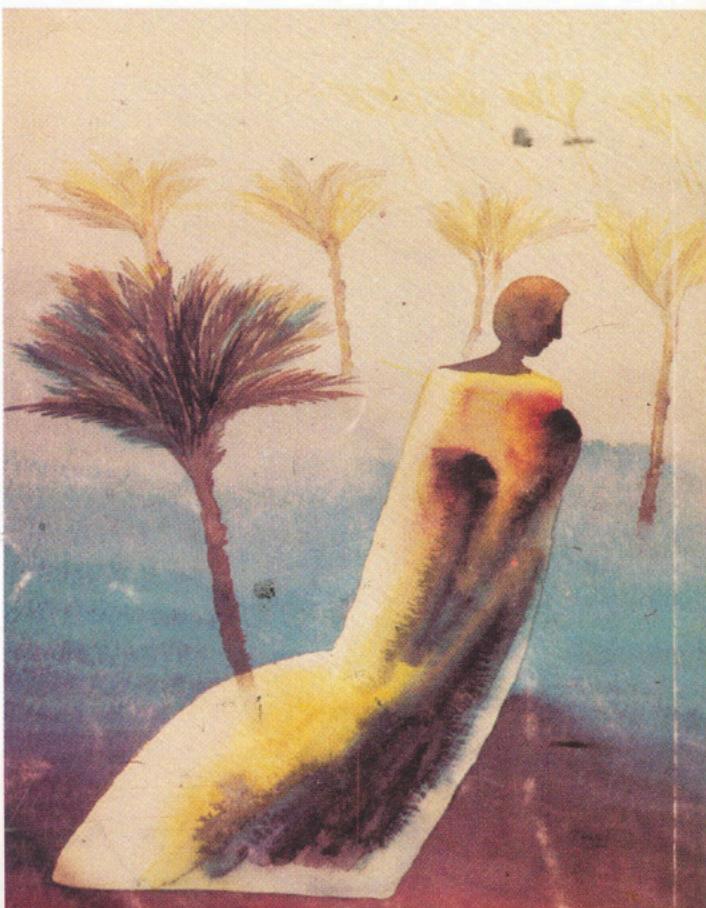
بهجورى
ورزق الله:
بين سيرتين

أدب ورقة

الديمقراطية

الوطنية

مجلة الثقافة



فكرة إفريقي.. ميت
مسرح التجربى: حلو ومر
ديفيد هير والمسرح اليسارى



أ. علاء الدين شوقي

www.lisanarb.com



أدب و فن

مجلة الثقافة الوطنية الديمocrاطية

شهرية يصدرها حزب التجمع الوطني التقدمي الوحدوي

تأسست عام ١٩٨٤ / السنة السابعة عشر / العدد ١٩٣ / سبتمبر ٢٠٠١

رئيس مجلس الادارة: د.رفعت السعيد

رئيس التحرير: فريدة النقاش

مدير التحرير : حلمي سالم

سكرتير التحرير : أشرف أبوالزيهد

مجلس التحرير

إبراهيم أصلان / د.صلاح السروي

طلعت الشايب / غادة نبيل

كمال رمزي / ماجد يوسف

مصطفى عبادة

المستشارون

د. الطاهر مكي / د. أمينة رشيد
صلاح عيسى / د. عبد العظيم أنيس

شارك في هيئة المستشارين ومجلس التحرير الراحلون
د. لطيفة الزيات / د. عبد المحسن طه بدر
محمد روميش / ملك عبد العزيز

أعمال الصف والتوضيب
نسرين سعيد إبراهيم

الطباعة
شركة الأمل للطباعة والنشر

الاشتراكات لمدة عام

باسم الأهالي / مجلة [أدب ونقد]: داخل مصر ٥ جنية
البلاد العربية ٥ دولارات / أوروبا وأمريكا ٧٥ دولاراً

الأعمال الواردة إلى المجلة لا ترد لأصحابها سواء نشرت أو لم تنشر
يمكن إرسال الأعمال على العنوان البريدي أو البريد الإلكتروني:

adabwanaqd@yahoo.com

موقع [أدب ونقد] على الانترنت: adabwanaqd.4t.com

أدـب ونـفـقـ

في هذا العدد

■ أول الكتابة : فريدة النقاش	٤
■ الحضارة الإسلامية، امبراطورية ثقافة : ميثم الجنابي	١١
■ علمنة الفكر الإسلامي : د. عاطف أحمد، ترجمة : غادة الحلواني	٢٧
■ دين الآباء : خليل عبد الكريم	٣٤
■ الفوز من الإسلام : د. نصر حامد أبو زيد	٣٩
■ النبوة بين تسلطية الأشاعرة ولبرالية المعتزلة: أيمن عبد الرسول	٥٠
■ التربية للتعايش (رسالة جامعية) : فاطمة فوزي	٦٠
■ جورج البهجوري وعلى رزق الله بين سيرتين : أشرف أبو اليزيد	٦٧
■ ليس في الإبداع حرج : حلمي سالم	٧٥
■ بين البر والبحر (وثيقة) : مصطفى عبد الرازق	٨٤
■ مفكرة إفريقي ميت (الديوان الصغير) : ترجمة غادة نبيل	٨٧
■ ظواهر نهاية القرن في المسرح الإنجليزي : د. محسن مصيلحي	١١٢
■ المسرح المصري بين التجريب والتخريب : خالد سليمان	١٢٠
■ تنوعات الغضب مع انتفاضة الأقصى : ماجد يوسف	١٤١
■ ثلاث قصائد : فاضل السلطانى	١٤٧
■ والكلاب : عبد الكريم محمد علي	١٥٠
■ جميلة : بسمة عبد الرحمن	١٥٢
■ نافذة المبدعين	١٥٤
■ بطاقة فن	١٦٠

الغلاف الأول بريشة الفنان علي رزق الله / الغلاف الأخير لوحutan للفنان أحمد عبد الكريم
الرسوم الداخلية بريشة الفنان جورج البهجوري والفنانة لطيفة يوسف (فلسطين)

أدب ونقد

أول الكتابة



مكتبة لسان العرب

www.lisanarab.com

lisanerab.com رابط بديل

أول الكتابة .. آخر الكتابة .. ماجدوى الكتابة .. تلاحت هذه الكلمات فى داخلى كطلقات دون أن ينطق بها لسانى حين سمعت النبأ الفاجع .

فما أن تأثيت لكتابية الإفتتاحية حتى جاء خبر إستشهاد المناضل الفلسطينى " أبو على مصطفى " الأمين العام للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ، أحد مؤسسى منظمة التحرير الفلسطينية الذى اغتالته إسرائيل فى مكتبه " برام الله " وكان قد عاد إليها من الشتات قبل عامين وبعد إتخابه أمينا عاما للجبهة توجها لنضال طويل استمر قرابة نصف قرن بدأه عامل بسيطا ثق نفسه بنفسه وعلمه الثورة وصلبهه وعوره الطريق .

كنت أشعر أتنى محظوظة حين تعرفت إليه عن قرب والقيت به عدة مرات منذ عام ١٩٨٦ في كل من " دمشق " و " عمان " ، " بيروت " و " الجزائر " وطالما فكرت أن أكتب عنه كتابة حميمة كما سبق أن كتبت في مجلة " اليسار " عن الدكتور جورج حبش " الحكيم كما يلقبه الفلسطينيون كافة ، وهو أول أمين عام للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ، وهو أنا قد أفلتت مني فرصة الكتابة عن أبو على مصطفى حيا لأقدمه بعد استشهاده نموذجا راقيا للإنسان الثورى البسيط العميق فى أن القابض على ميادنه ومثله العليا كالقابض على الجمر وكمقاتل جسور ، والمزن مرونة العارف بالتحولات الآلية فى الوضع العالمى والعربي معرفة دقيقة شاملة و يومية كتسياسى من طراز رفيع طالما ألهى المناضلين الشباب الذين تعلموا منه أن

مامن وطن حصل على حرية دون ثمن ، فكانوا ومايزالون مثله يدفعون هذا الثمن بسخاء سائرين على نفس طريق العمل في أوساط الجماهير الكادحة في الوطن وفي مخيمات الشتات يمهدون الأرض جيلاً بعد جيل للفلسطين الحرة المستقلة التي تخوض معركة تحررها في ظل أسوأ الوضع التي عرفتها المنطقة والعالم. حين دخل إلى فلسطين عندما سنت له الفرصة ترك أبو على مصطفى أسرته الصغيرة في عمان حتى يتفرغ كلية لعمله النضالي قائدًا للجبهة واعلما من أعلام شعبه الذين يفخر بهم ويتمثل مسيرتهم ويطمئن لحكمتهم وصحة موقفهم واستقامتهم وكوئنهم نموذجاً للتطابق بين الأقوال والأفعال. سوف تتفنن أشلاء "أبو على مصطفى" التي جمعها أحبابه قطعة قطعة من مكتبه بعد أن قضت الطائرات الإسرائيلية - أمريكا الصنع - بصاروخين ، في أرض فلسطين ، فقد مات حيث أراد أن يموت في وطنه ، وسوف تنبت هذه الأرض مجدداً أشجار زيتون ووروداً وقمحًا وكروماً في نسفها ماء الحياة ليحيا عليها مجدداً هؤلاء الشهداء وهم يضعون ذاكرة لفلسطين وأمة العربية وكل الأحرار في هذا العالم عنوانها القدرة على الصمود في زمن التراجع العام والبذل بسخاء من أجل النصر.

يُسأل كل منا نفسه ما العمل؟

ويوسعنا أن نجد إجابات كثيرة تعينا من المسئولية لكننا سنبقى مسئولين وعلينا أن نحاسب أنفسنا كم خطوة ولو صغيرة خطونها في اتجاه دعم الانتفاضة ولو بطريق غير مباشر، إن الإسهام في تغيير الأوضاع البائسة في الوطن العربي كله يشكل مساندة مباشرة للانتفاضة، ذلك أن نقطة الضعف الرئيسية الآن هي الوضع العربي العاجز المتهاكك المرهون للإرادة الأمريكية والصهيونية وبالتالي.

وببناء الوعي النقدي أساس لاغنى عنه لتغيير الواقع القائم في أحد مركزاته على تعليم الإذاعان ونفي الأستلة وتقديم الإجابات الجاهزة والتعميم على بعض المناطق وتحريمهما على البحث ، وتبين لنا تجارب القمم التاريخية للفكر والأنظمة التقية أنها كانت في الغالب الأعم ستاراً كثيفاً لحماية الاستبداد وتحصينه ضد الفضي الشعبي.

يحفّل عدتنا هذا بم مواد متنوعة حول النبوة وعلاقتها بالتاريخ أي بتفاعل العوامل السياسية الاقتصادية الاجتماعية في زمن النبوة ، فيزيل خليل عبد الكريم البليس بين الآباء وبين ما عبده هؤلاء الآباء قبل الإسلام من أوثان ، ذلك أن دين الآباء هو تقاليدهم ومساندهم فعلًا قبل البعثة الحمدية ، وقد أخذ الدين الجديد ببعض هذه التقاليد وترك الآخر، فقد سُنَّ عبد المطلب "الجد المباشر للرسول على سبيل المثال صوم رمضان والتعبد في غار حراء وتحريم الخمر، وهي ممارسات دخلت بعد ذلك في صلب الإسلام الذي انتصر كدين جديد حين وضع التاريخ في حسابه ولم يعانده فینتشر.

ويقدم لنا الباحث الشاب "أيمن عبد الرسول" "قراءة نقدية لكتاب الدكتور "علي مبروك" المفكر النقدي الصارم عن "النبوة من علم العقائد إلى فلسفة التاريخ : محاولة في إعادة بناء العقائد" ولكن أيمان يختار عنواناً آخر لموضوعه هو "النبوة بين تسلطية الأشاعرة وليبرالية

العزلة " لأنه يختار التركيز على الصراع الفكري بينهما ودلالة الأيديولوجية والتاريخية في سياق عرضه لكتاب باعتباره من أهم الكتابات التي نجحت في تطبيق البنوية على تراث الأشاعرة . والتاريخ هو مرة أخرى عامل الانتقال من صورة النسق إلى إظهار الفاعلية الإنسانية التي تحكمه ، وحيث النبوة هي توسيط بين الله والانسان ، ويمثل الأنبياء وعي فردية متقدماً متميزة عن الوعي الجماعي لأمهم " وكان النبوة لاتجد مطمحها في الوعي الخامل البليد .. وبين " مبروك " عبر بحث دويب كيف " يختفي الانساني الواقعى التاريخى تحت أبنية نظرية مجردة " وهو بذلك يكشف عن إمكانيات الباحث المفكر الذى يحاول بناء فضاءه الخاص وسط ركام من إعادة الانتاج والصياغة ...

ولن نجرب كثيراً إذا عرفنا أن " على مبروك " يتعرض لمضايقات وضغوط بسبب إضافات المفكر في عمله كله الذي يتجزء في هدوء لكنه يظل يغضب أصحاب الإجابات الجاهزة سواء في الأوساط الأكاديمية أو الثقافية ، وهي الإجابات التي سبق أن رفضها " نصر حامد أبو زيد " وكان عقابه تطليقة من زوجته ونفيه وأبعاده خارج البلاد .. فهل ياترى ستنتقم خطوة إلى الأمام مع على مبروك ؟ ويتقرّر علينا الدكتور " هافظ أحمد " استراتيجية تأويل أو عملية بناء مفهوم للنص القرآني قد تساهم في خلق وتطوير اتجاه فكري إسلامي علماني طالما أن سلطة القرآن لم ولن تتوضع أبداً محل تساؤل . وتقوم هذه المحاولة شأن بحث على مبروك ونصر من قبل على نتائج التطورات الحديثة التي أدخلت اللسانيات المعاصرة جنباً إلى جنب التحليل الاجتماعي التاريخي في فهم النص القرآني وفي محاولة التمييز بين الأفكار الدينية - الرئيسية والأمور الخارجية التي تعتمد على البيئة التاريخية . ولعل حركة الإسلام السياسي في بلادنا أن تكون أشد ضراوة في مواجهة هذا المسعي لعملنة الفكر الإسلامي منها في أي معركة أخرى مثل تحرير المرأة مثلاً، لأن انتشار مثل هذا التوجه وقدرته على كسب الأنصار سوف ينزع منها ماتعتبره تفويضاً لها من الله سبحانه وتعالى لإقامة دولتها الدينية وإدعائها بأنها تمثل جماعة المسلمين كافة وتحتل الاجتهد لنفسها وهي تنشر التعصب وتخاصم التسامح وتشوه الصراع الاجتماعي باكتسابه طابعاً دينياً طائفياً، فمهما كانت قوة النفي الذي قدمه بعض قادة جماعة الإخوان المسلمين لتصريح قاله نائب المرشد العام الشيخ مصطفى مشهور قبل سنوات أكد فيه على أنهم حين يصلون إلى السلطة سوف يفرضون الجزية على الأقباط ، فإنه قد حفر جرحًا عميقاً في نفوس الأقباط الذين نزع عنهم الشيخ حق المواطنة باسم الدين .. والمواطنة هي أساس الحداثة - حيث أن الحد الأدنى للدولة المعاصرة والذي يفصلها عن دولة القرون الوسطى أن لا دين لها وأنها دولة كل مواطنها .

" وإنما يشوّه الدين أولئك الذين يريدونه كيداً وتضليلاً ، وقيداً للعقل والقلوب ثقيلاً " كما يقول الشیخ الدكتور مصطفی عبد الرزاق شیخ الأزهر الأسبق وأستاذ الفلسفة الإسلامية والمتثقف الديمقراطي وهو يتحدث بحسب عن افتتاحه بكتیسیه " نوتردام دی لاجارد " فی مرسیلیا ليقول أليس الدين جميلاً في إخلاصه ويقينه ، وجميلاً فيما يمسح من آلام البشر بيمينه " .. انه لم يقل الإسلام بل قال الدين.

وهو الشيخ والأستاذ المسلم يتحدث عن الدين ، عن مطلق الدين ، بعيداً عن التعصب والطائفية فيلتقط هذا المعنى العظيم في شوق الإنسان الواحد لتجاوز العالم القائم متشبثاً بكتبة رجاء متطلعاً إلى الله الواحد الذي يتساوى - البشر جمِيعاً بين يديه دون تفرقة بين أسود وأبيض أو غنى وفقير أو رجل وامرأة أو مسلم وغير مسلم.

إن استخلاص المثل العليا والقيم الكبرى في كل البيانات وتمثلها لأبد أن يجعل الإنسان السوى ينفر من التعصب بل ويحول نفوه هذا إلى فعل إيجابي ليقضي ضد كل أشكال نفي الآخر أو مصادرته أو تكديره وصولاً لقتله ، كما حدث في تاريخنا منذ الحلاج لفرج فوده . وليس في الإبداع حرج كما يدال ويرهن الشاعر "حلمي سالم" الذي يجعلنا نستحضر تراث علمائنا الأجلاء فحين قال البرجماني قبل ألف عام "الشعر بمعلم عن الدين" كان يرسى قاعدة نقدية كبيرة ، بل ويسهم في وضع قانون عام تبلور عبر التاريخ في الإبداع والتفكير عامة، هو الاستقلال النسبي لكل حقل من الحقوق المعرفية ، هذا الاستقلال الذي يؤسس لتطورها الداخلي الذاتي بحكم تفاعل قواها الداخلية وصراعها وتناقصاتها ، وبينما يفلق اليقين الديني الطريق على الأسئلة ، فإن الفن يفتح باب القلق على مصريعيه ويفرج الأسئلة ، وهكذا بالنسبة لحقل العلم الذي يختلف بدوره كلية عن الدين لأن الأخير قائم على الإيمان والتسليم والأول قائم على الشك والتجريب وهكذا .. إن من يتبع بعض الكتابات الرائجة الآن في صحيفتنا وأقوال الدعاة فيأجهزة الإعلام والمساجد سوف يلاحظ مجدداً ذلك السعي العقيم الذي ثبت فشل البرهنة على قدرة الدين على تفسير العلم.

وقد أفضت المحاولات الدائمة لخضاع الفن للدين والتي قامت بها سلطات ثقافية وسياسية ودينية بداعف شتى إلى تعطيل مواهب كان يتوسعها أن تزدهر وتتتجذر أكثر وأعمق ، بل وإلى تخويف الفنانين والكتاب ودفعهم دفعاً لوضع رقب ذاتي في داخلهم ، وهما الفنان التشكيلي عدلی رزق الله يقول في سيرته "تجنبت الكتابة عن المرأة في حياتي رغم أهمية دورها خوفاً وهلعاً من مناخ النشر في عالمنا العربي".

فها ياترى يمكن لمثل هذا المناخ أن يساعد فناناً على الوصول إلى حده الأقصى في الفن كما هو حلم حياة "عدلی" ، وهل سيستطيع "مارسيل خليفة" بعد محکمتة باسم الدين أن يختار بحرية من عيون الشعر العربي قصائد ليضع لها ألحانها وينحيها وهل .. وهل.. إن الإجابة على هذا السؤال هي للأسف الشديد .. لا .. ولا ..

إن مصيبيتنا هي فيما ، في وضع الحريات البائس في عالمنا العربي وإن يجده شيئاً أن تختفي وراء التبرير السهل والقول بالمؤامرة الغربية على الإسلام .. يحل نصر حامد أبو زيد "في مقالته جذور الصراع ومستوياته بين الإسلام والغرب معتبراً أن مدخلنا الأساسي للخروج من نفق الاستبداد المظلم الذي دخلنا فيه هو التكوين النقي أو لأن الإنسان المنتج للعلم والتكنولوجيا هو الإنسان الذي تم تكوينه معرقياً منذ مرحلة الطفولة بتربيته على أهمية إثارة الأسئلة .. إنه منهج الشك والمراجعة وإعادة النظر لمنهج اليقين والطاعة والتقليد .

ويكتب لنا الباحث العراقي "ميثم الجنابي" دراسة هامة عن الحضارة الإسلامية

كامبراطورية ثقافة ، وهو يرى في سيادة الفقه الشافعى والمالكى والحنفى والحنفى والجعفرى فى حياة المسلمين الآن تعبيرا عن جمود الاجتهداد الإسلامى وضعف الروح الثقافى للحضارة الإسلامية ، إذ لم يسع أى من الفقهاء العظام إلى تقدير اجتهاداته فى مواقف وأحكام ثابتة نهائيا (وهل هناك أبدا ما هو ثابت ونهائى) لهذا عارضوا جميعا فى حياتهم الخصوص للسلطة ، ورفضوا استلام مناصب رسمية فيها بينما استمروا فى الاجتهداد من خارج السلطة لصلحة الدولة والأمة .

وتتوقع أن تثير مقالات الجنابى التى ستنشرها تباعا جدلا واسعا فى أوساط المفكرين والباحثين فى التراث خاصة إذ أنه يتحدث عن "أمة إسلامية" وليس ثقافة فقط وكائناً يعيد طرح موضوع الأمة للنقاش إذ يؤسسىها مجددا على أساس من الدين والثقافة ، ولانعرف كيف يمكن أن ينتهى الهند المسلمون أو المسلمين فى أندونيسيا وأمريكا وروسيا إلى أمة واحدة مجرد أنهم يدينون بالإسلام ؟ وهو سؤال بديهي جرى الرد عليه بالتفى منذ قرن من الزمان فى سياق تعريف الأمة بعد تجربة نشوئها التاريخية .

فالآمة تتشكل فى وحدة الروابط الاقتصادية والأرض واللغة كما هو حال الأمة العربية التي نشأت بينها نتيجة لذلك كله وحدة الحياة الروحية وبروز الخصوصية القومية والتكون النفسى والثقافة والوعى بالصالح المشتركة وتشابه التقليد ، ومن الطبيعي أن تتشاء دولتها على أساس المواطنة لا الدين . وقد لعبت أديان الوحي الثلاثة اليهودية والمسيحية والإسلام دورا فى تشكيل الحياة الروحية لهذه الأمة . أما تحويل الدين إلى قومية كما يفعل "ميشم" فيعيينا إلى الوراء قررنا بل وبدون وعي يقر بشرعية تاريخية للقومية الإسرائيلية القائمة على الدين اليهودى والاسطورة التوراتية والقول بامة إسلامية هو تراجع على صعيد كل من الفكر والتاريخ فضلا عن أنه تبرير سهل لهؤلاء الذين ينزعون عن صراعنا مع إسرائيل صفتة الأساسية كصراع من أجل التحرر من الإمبريالية والعنصرية ليصبح صراعا بينا ، وهو مانتقول به بعض القوى الدينية حتى تلك المنخرطة فى الصراع ضد إسرائيل ، فضلا عن أن القول بامة إسلامية يخرج غير المسلمين من الأمة العربية واقعيا .

وسوف نفرد فى أعداد قادمة ، وبعد أن ننشر كل مقالات "ميشم" مساحات لنقاش واسع حول القومية والأمة والثقافة فى كل من الفكر البورجوازى والفكر الاشتراكى والنقدى ، ونعرض أمهات الكتب فى هذه الميادين لتجليه المسألة وصدق أدواتنا كامة فى مواجهة المشروع العنصري الصهيونى .

وسوف يصلكم هذا العدد بينما تتعقد الدورة الثالثة عشر لمهرجان المسرح التجريبى وقد رأينا أن نجرى تحقيقا قام به الزميل "خالد سليمان" عن حصاد المهرجان ، وبينما أجمع المشاركون فى التحقيق على أن المهرجان قد أحدث حركة لا يمكن إنكارها فى الوسط المسرحي فان أبرز سلبياته تتمثل فى زيادة كم العروض على حساب نوعيتها جنبا إلى جنب فكرة التسابق الغريبة على مهرجان تجريبى ، وبنقى حقيقة أساسية لم يغير وجود المهرجان منها عبر السنين شيئا وهى تدهور حال المسرح المصرى يوما بعد يوم ..

ولعلنا سوف نتسائل بعد أن نقرأ الدراسة الجميلة العميقية التي يقدمها لنا الناقد الفنان المسرحي د. محسن مصيلحي عن مؤلف مسرحي إنجليزي كبير هو "دافيد هير" ومؤسس الدراما السينكولوجية سوف نتسائل أين هذا العالم الشاسع الغنـى من مسرحـنا؟ بل أين هي نصوصه المترجمة إلى لغتنا وحتى لو كانت موجودة لماذا لا نراها على المسرح . وسوف تماماً الفضة حلوقنا إذا عرفنا أنه في السبعينيات من القرن العشرين كون مجموعة من الشباب فرقة "مسرح الشارع" نشأت وتدرّب في حزب التجمع ومكتب الكتاب والفنانين به وحين أرادت أن تقدم عروضها في الأحياء المحرومة من المسرح كما فعل "هير" أوقفتها الرقابة وصادرت وبالتالي إمكانية تطويرها وتبعثـر شبابها تماماً كما مات المسرحي الشاب النابغ "منصور محمد" ميتة مهينة بعد أن ألقى ديكور مسرحـه في الشارع وكاد هو أن يجـوع حين إجـتـجـت سفارة عـربـية على عـرض "اللـعـبة" المـدـهـشـ الذـى قـمـهـ في افتـاحـ إحدـى دورـاتـ المـسـرـحـ التجـريـبيـ وكانت مـصـادرـتهـ ذـرـوةـ منـ ذـرـىـ المـارـسـاتـ الرـاقـيـةـ خـدـىـ المـسـرـحـ .

"مـفـكـرةـ إـفـرـيقـيـ مـيـتـ" رـوـاـيـةـ قـصـيـرـةـ ذاتـ بـلـاغـةـ إـفـرـيقـيـةـ إـذـ جـازـ لـىـ التـعـبـيرـ، تـرـجمـتـهـ لـناـ الـزمـيـلـةـ "غـادـةـ نـبـيلـ" لـتـطـلـ عـلـىـ عـالـمـ نـيـجـيرـياـ وـإـفـرـيقـيـاـ الـأـدـبـيـ الـآنـ وـتـنـتـرـفـ عـلـىـ مـسـتـوىـ جـدـيدـ لـتـطـلـ عـلـىـ الـكتـابـةـ الـأـدـبـيـةـ الـتـىـ تـتـلـخـلـ فـيـ سـيـاقـهاـ تـقـنـيـاتـ خـاصـةـ جـدـاـ لـلـعـبـ وـالـسـخـرـيـةـ وـنـسـجـ الـعـلـاقـاتـ وـابـتـكـارـ الـبـلـاغـةـ الـقـائـمـةـ عـلـىـ التـكـيـفـ الشـدـيدـ وـالتـهـكـمـ . وـرـغـمـ أـنـ إـفـرـيقـيـ يـمـوتـ مـنـ جـوـعـ مـاـ يـجـعـلـنـاـ نـسـتـدـعـيـ مـشـاهـدـ الـمـوـتـ إـلـيـ الـأـفـرـيقـيـ الـوـاقـعـيـ حـيـثـ الـجـمـاعـةـ فـيـ الصـومـالـ ، إـلـاـ أـنـ السـخـرـيـةـ الشـامـلـةـ تـجـعـلـ مـنـهـ حـيـةـ وـهـوـ يـتـحـولـ إـلـىـ كـائـنـ شـرـهـ لـاـيـشـعـ "جلـستـ أـرـقـ جـوـعـ وـهـوـ يـلـتـهـمـ إـحـسـاسـيـ بـالـخـرـزـ" . وـهـيـ نـوـاـصـلـ الـقـرـاءـةـ سـوـفـ نـكـشـفـ أـنـ بـيـقاعـاـ خـاصـاـ قـدـ اـنـيـقـ مـنـ هـذـىـ التـعـبـيرـ الـبـسيـطـ وـالـمـقـيـضـ "لـجـوـمـاـيـ" .

- لكنـيـ جـائـعـ

تشـيرـ هـذـىـ الـرـوـاـيـةـ الـقـصـيـرـةـ أـيـضاـ أـسـتـةـ جـمـالـيـةـ لـعـلـاـ نـفـرـدـ لـهـ مـسـاحـاتـ مـنـ النـقـاشـ فـيـ أـعـادـادـ قـادـمـةـ ، سـوـفـ أـتـوـقـفـ أـمـامـ سـؤـالـ وـاحـدـ هـوـ تـرـىـ هـلـ لـابـدـ أـنـ يـقـرـنـ التـجـديـدـ فـيـ الشـكـلـ بـتـحـلـيقـ قـيـمـ جـدـيـدةـ تـقـدـمـيـةـ تـلـقـائـيـاـ أـمـ هـذـاـ التـخـلـيقـ الـقـيـمـ يـرـتـبـطـ لـاـ فـحـسـبـ بـشـوـقـ الـفـنـانـ لـلـخـرـوجـ عـلـىـ الـأـطـرـ الـقـائـمـةـ إـنـمـاـ أـيـضاـ بـرـؤـيـتـهـ لـلـعـالـمـ وـيـمـسـتـوىـ وـعـيـهـ أـىـ مـعـرـفـتـهـ وـتـقـافـتـهـ وـإـخـتـيـارـهـ . وـسـوـفـ أـقـدـمـ هـنـاـ نـمـونـجـاـ دـلـلـ بـهـ عـلـىـ أـنـ مـسـتـوىـ الـوـعـيـ يـلـعـبـ دـورـاـ مـهـماـ وـهـوـ يـتـخـلـلـ الـبـنـاءـ بـصـورـةـ مـرـاوـغـةـ . يـقـولـ جـوـمـاـيـ فـيـ وـاحـدـةـ مـنـ الـحـالـاتـ الـكـثـيـرـةـ الـتـىـ قـرـصـهـ فـيـهـاـ جـوـعـ وـضـاقـتـ بـهـ الدـنـيـاـ .

"الـشـرـ قدـ سـمـ عـقـولـ النـاسـ ، وـفـيـ أـيـامـنـاـ هـذـهـ الـأـخـرـةـ فـقـطـ هـمـ مـنـ يـأـتـنـ مـنـ نـفـسـ الـرـحـمـ .." لـكـنـ الـأـخـ الذـىـ جـاءـ مـنـ نـفـسـ الـرـحـمـ يـخـذـلـنـاـ .. وـسـرـعـانـ مـاـيـتـكـ جـوـمـاـيـ مـنـ الـعـكـسـ حينـ يـتـكـشـفـ لـهـ أـنـ أـخـوـهـ الـدـمـ لـيـسـ إـلـاـ خـرـافـةـ وـأـنـ هـذـهـ الـعـلـاقـاتـ الـأـوـلـيـةـ قـابـلـةـ لـلـتـبـدـلـ فـيـ سـيـاقـ الـتـطـلـورـ وـنـسـجـ الـمـشـاعـرـ الـأـنـسـانـيـةـ بـصـرـفـ النـظـرـ عـنـ الـدـمـ ، وـلـاـيـسـقـ الـرـأـوـيـ هـذـهـ الـقـيـمـ الـجـدـيـدةـ عـفـواـ أـوـ بـشـكـ عـابـرـ بـلـ إـنـ يـقـلـفـهـ بـمـاـ يـمـكـنـ أـنـ يـكـونـ وـعـداـ مـنـ الـطـبـيـعـةـ كـمـاـ يـحـرـرـهـاـ .

كلية من التهم مثلاً لها مثل لحظات الحقيقة في شعر بريخت التي تدعونا للتوقف والانصات
وفتح العيون والقول على رسالتها المعلنة أو المضمرة.

كانت الشميس قد سطعـت جداً ومبكراً قبل أن يسمعـ لي الخزى أن أدخلـ بيتـ "ماكارو"
رجوتـ "أرجوكـ هل يمكنـ أن أحصلـ على طبقـ لوبيـةـ" لمـ أكنـ قد فعلـ ذلكـ أبداًـ منـ قبـلـ.
نظرـتـ إلىـ ،ـ منـ عينـيهاـ عرفـ أنهاـ كانتـ خائـفةـ منـ أنـ أبدأـ فيـ البـكـاءـ فيـ حـضـورـهاـ .
أسرـعتـ إلىـ المـطبـخـ لتـأتـيـ إلىـ بـعـضـ الطـعامـ ..

نبدأـ هذاـ العـدـدـ بـابـاـ جـديـداـ هوـ رسـالـةـ جـامـعـيـةـ حتـىـ نـواـكـبـ ولوـ جـزـئـياـ حـرـكةـ الـبـحـثـ الـعـلـمـيـ
الـأـكـادـيـمـيـ ،ـ وـفـيـ هـذـاـ العـدـدـ نـعـرـضـ "لـتـرـيـبـةـ للـتـعـاـيشـ" :ـ مـدـخلـ إـعادـةـ صـيـاغـةـ الـعـلـاقـةـ معـ الـآـخـرـ
الـدـينـيـ "لـخـالـدـ مـحمدـ عـشـانـ" الـذـيـ يـقـلـقـهـ غـيـابـ الـعـلـاقـةـ بـيـنـ الـبـحـثـ الـعـلـمـيـ وـالـجـمـعـ وـاحـتوـاءـ
بعـضـ الـكـتـبـ الـفـقـهـيـةـ الـتـيـ تـدـرـسـ فـيـ مـدارـسـ الـأـزـهـرـ عـلـىـ أـرـاءـ مـتـطـرـفـةـ عـنـ أـهـلـ الـدـيـانـاتـ
الـآـخـرىـ دـوـنـ نـقـدـ .ـ وـيـسـتـخـلـصـ الـبـاحـثـ مـجـمـوعـةـ مـنـ الـقـيمـ الـتـيـ يـرـاهـاـ دـاعـمـةـ لـوـحدـةـ الـوطـنـيـةـ
تـشـريعـاتـ الـمـسـيحـيـةـ وـالـإـسـلـامـ وـيـسـتـورـ الـدـوـلـةـ ،ـ وـيـتـوصـلـ إـلـىـ أـنـ أـبـرـزـ تـلـكـ الـقـيمـ هـيـ قـيمـ الـكـرـامـةـ
الـإـنسـانـيـةـ وـالـمـساـواـةـ وـالـعـدـلـ فـيـ الـعـاـمـلـةـ وـالـتـسـامـحـ وـحـبـ الـآـخـرـينـ وـالـإـخـاءـ وـالـسـلـامـ الـجـمـعـاءـيـ .ـ
وـقـدـ كـتـبـتـ أـتـعـنىـ أـنـ لـايـجـاـ الـبـاحـثـ لـاستـخـدـامـ هـذـاـ الـمـصـطـلـحـ الـأـخـيرـ أـىـ السـلـامـ الـجـمـعـاءـيـ الـذـيـ
طـالـماـ كـانـ أـدـاءـ مـنـ أـدـواتـ الدـعـاـيـةـ السـيـاسـيـةـ الـيـمـينـيـةـ ضـدـ الـتـحـرـكـاتـ الـجـمـاهـيرـيـةـ لـلـعـمـالـ
وـالـفـلـاحـينـ وـالـتـجـارـ وـالـمـهـنـيـنـ مـنـ أـجـلـ الـعـدـالـةـ وـالـسـاـواـةـ وـاحـتجـاجـاـ عـلـىـ الـاـسـتـغـالـ وـإـهـارـ
الـكـرـامـةـ ،ـ فـضـلـاـ عـنـ أـنـ مـصـطـلـحـ السـلـامـ الـجـمـعـاءـيـ يـتـاقـضـ جـزـياـ مـعـ قـيمـيـ الـمـساـواـةـ وـالـعـدـلـ
وـيـعـتـبرـ إـهـارـهـمـاـ مـشـرـوـعاـ بـحـجـةـ أـنـ التـقـسـيمـ الـقـائـمـ لـثـروـاتـ بـيـنـ تـركـيزـ شـدـيدـ لـلـغـنـيـ وـتـركـيزـ
شـدـيدـ لـلـفـقـرـ لـاـيـجـوـزـ الـمـسـاسـ بـهـ بـاـسـمـ هـذـاـ السـلـامـ ..ـ وـأـنـظـنـ أـنـ أـحـدـ الـمـرـكـزـاتـ الـأـولـيـةـ لـلـعـلـمـ هـوـ
تـدـقـيقـ الـمـصـطـلـحـاتـ وـمـعـانـيهـ .ـ

وـأـخـيـراـ لـعـلـكـ لـاحـظـتـ أـنـ العـدـدـ الـمـاضـيـ تـضـمـنـ تـغـيـيرـاـ فـنـيـاـ فـيـ غـلـافـ الـمـجـلـةـ ،ـ وـفـيـ هـذـاـ
الـعـدـدـ يـقـدـمـ لـنـاـ الشـاعـرـ الـفـنـانـ "أـشـرـفـ أـبـوـ الـيـزـيدـ" الـذـيـ شـرـفـنـاـ بـالـانـضـمـامـ إـلـيـنـاـ سـكـرـتـيرـاـ
لـلـتـحرـيرـ الـفـنـيـ تـصـورـهـ الـكـاملـ وـإـسـاقـاتـهـ الـجـمـيلـةـ الـتـيـ نـحـنـ عـلـىـ ثـقـةـ مـنـ أـنـهـ سـتـزـادـ أـلـقاـ
وـتـكـامـلـاـ مـعـ الـأـعـدـادـ الـقـادـمـةـ ،ـ وـفـيـ سـيـاقـ خـطـطـنـاـ لـتـطـوـيرـ الـمـجـلـةـ فـيـ حدـودـ الـإـمـكـانـيـاتـ الـمـتـاحـةـ
كـمـطـبـوـعـةـ فـقـيرـةـ وـجـمـيلـةـ مـثـلـ مـصـرـ،ـ كـمـ سـبـقـ أـنـ قـالـ الـفـنـانـ حـلـمـيـ الـتـونـيـ ..ـ فـمـرـحـباـ .ـ
بـأشـرـفـ أـبـوـ الـيـزـيدـ شـاعـرـاـ وـفـنـانـاـ وـصـدـيقـاـ .ـ

المـحرـرة

أدب ونقد

دراسة



الحضارة الإسلامية: إمبراطورية ثقافة

ميثم الجنابي

الإسلام والخلافة الثقافية

إن قدر الحضارة في مصيرها التاريخي . كما أن قدر المرأة في مصيره الفردي . والمجھول فيهما هو الفردانية التاريخية (للبسان والحضارة على السواء) . باعتبارها التوليفة القادرة على شحن التأويل الفكري ب مختلف مستوياته وميادينه بموضوعاته المتعددة . فالفردانية التاريخية بهذا المعنى هي التوليفة التي تحوي في ذاتها أحد المصادر الكبرى لتعميق وعي الذات الثقافي (القومي والإنساني) . فالفردانية التاريخية تحوي ليس فقط على أصلالة الحضارة، بل واستمرارها أيضاً . والاستمرار هو التأويل الدائم في مستوىه العلمية والمعلمية، أي في كيفية ت فعل الإنجازات الثقافية للحضارة. لأن التأويل هو استمرار التاريخ في الرؤية الفعالة والواجبة للأجيال. فمن الناحية التاريخية لا يعني وجود الحضارات سوى "متحجراتها" الباقة في الآثار، بينما لا تعني فرادتها سوى قدرتها على الانصهار والاندماج وسريانها المتجدد واستعادتها الذاتية الحية. ولا تخلي حضارة من هذه الكيفيات. إلا أن هذه الكيفيات متوقفة على فراحة الحضارة نفسها، أو على "روحها الثاقفي".

فالصير التاريخي للحضارات يتجلّى إما في زوالها أو اندثارها في بقايا الذاكرة والأطلال، وإنما بانصهارها في العناصر المتتجدة لعلوم وأعمال الحضارات اللاحقة كما هي الحال بالنسبة للحضارات السومرية والبابلية والفينيقية والمصرية. حيث جرى تغلغلها في سيرة الحضارات الفارسية واليونانية والرومانية وتنظيماتها الإدارية وعلومها الطبيعية وصناعاتها وفنونها وحقوقها. وكذلك في التصورات المأواطبيعة والتوكينية للعهد القديم ”ووصاية الأخلاقية وأغانيه“. ذلك يعني أن صيرها التاريخي يكشف عن أن قدرها التاريخي يقوم فيما أرادت فعله لا فيما أرادت قوله.

أما من هو قادر منها على السريران الحسي، كما هي الحال بالنسبة للحضارة اليونانية والرومانية، فإنه يتجدد في الاستلهام المدعى لنماذجها المثلث المادية والروحية. لهذا كان بإمكانها أن تشكل مصدراً لاستلهام رجال عصر النهضة (الأوروبية المعاصرة) في العلوم والفنون والسياسة ونمط الحياة والدولة. بينما يتلاشى مع الزمن نمطها الوجودي ويصبح لباسها ولسانها وتاريخها مسرحاً وفيهما وصالونا وديكوراً. ذلك يعني أن صيرها التاريخي يكشف عن أن قدرها فيما أرادت قوله لا فيما أرادت فعله. وهو الأمر الذي أعطى لها قدرة ”التطوع“ لا النظام، الحرية لا العدالة، من هنا ”أوربة“ الثقافة الإغريقية رغم يونانيتها، كما سبق وأن جرى ”أسلمتها“ رغم وثنيتها.

أما الحضارة الإسلامية، فإنها من النوع القادر على الاستعادة الحية بذاتها ولذاتها. وذلك بفعل توحيدها الفرداني للقول والفعل في مجرى التفتح التلقائي (التاريخي) لعقيدتها التوحيدية. باعتبارها عقيدة النظام والعدل الشامل. وهو الأمر الذي يجعل من الصعب، على سبيل المثال، ”عصرتها“ حسب منطق الصالح العابرة والنزوات الماكنة أيها كان باعثها. فلا يمكن مركنتلة الحج فيها رغم ”ريعيه“ الهائل كما هي الحال بالنسبة لمركنتلة الألعاب الأولمبية. ولا يمكن تحويل الصلاة فيها إلى بهرجة زائفة رغم كل ”حركاتها المنضبطة“ وخشودها الكبيرة. وكل فعل من هذا القبيل سوف يواجه بمعارضة تضطّر في نهاية المطاف للهزيمة.

لهذا كان بإمكان الحضارة الإسلامية التأثير الهائل في سيرة التاريخ العالمي والبقاء في نفس الوقت ضمن روحها الثقافي الخاص باعتباره مصدراً للتأويل والاستلهام. وقد حدد ذلك قيمة المجهوب فيها، والذي أدركته الثقافة نفسها بمعاييرها لا باعتباره شيئاً ما عائداً وراء وجودها التاريخي. بل باعتباره مصدراً وباختصار تكاملها الدائم (أو فرادتها). وأعطت لهذا المجهوب تسمية الغيب، ومحورته في ”الآفاق والأنفس“. أي في كل وجود طبيعي ونماطبيعي. وجعلت منه بعد أن ربطته بطلق إسلامها مصدر الإلهام والخيال المبدع لعالم وجودها الطبيعي والمأواطبيعي. ومن ثم وجدت فيه السر (والمعنى) وراء كل ظهور وفباء، بما أعطى لكل ما أرادت قوله وفعله آبعاداً مأواطبيعة ووجوهية وأخلاقية. وليس مصادفة أن يصل الفكر الإسلامي المنظوي بمختلف ميادينه واحتصاصاته من فقه وأدب وكلام وفلسفة وتتصوف إلى اعتبار الوجود (والكون) ”كتاباً مسطوراً“ و”مرقماً“ و”رقاً منتشرة“. ذلك يعني أن الحضارة بالغت

للمسلمين الأوائل نماذج الكسرورية والقيصرية والملوكية. إلا أنهم سعوا لأنفسهم نموذجاً لنظام الأمة وقيادتها. باعتباره استخلافاً لسنة (سياسة) الرسول. وهو استخلاف احتوى بذاته على إدراك جديد لوجود الأمة الناشئة. لقد جعلت الأمة . من وجودها استخلافاً مستعراً للرسالة النبوية والحق الإلهي . لأن مرجعية الخلافة هي مرجعية الأمة . ومرجعية استخلافها تقوم في تبصّرها الدائم بأصول القرآن والسنّة بوصفهما مصدرين لشريعة وجودها الخاص. مما يكشف بدوره عن وحدة الكيان السلطوي والحقوقي للأمة في المرجعيات التسامية لوجودها واجتهادها باعتباره توليقاً ثقافياً للعقل(القياس) والإجماع.

وقد طبع ذلك حياة الدولة والمجتمع والفرد. فالنموذج التسامي للرؤية الإسلامية عن الدولة والمجتمع والفرد يفترض توحيد الجميع على أسم الإسلام وبمبادئه الكبرى. ومن ثم كان تحول القرآن والسنّة إلى أصلين عامفين للكل الإسلامي. وتحول العقل والإجماع إلى أصلين مكملين ومتعممين لهما. ما هو إلا الصيغة الثقافية لوحدة الظبيحي والمأواز ظبيحي في الأصول. مما حدد بدوره صيورة الثنائيات المرجعية للثقافة في الحياة المادية والروحية.

وحدة القرآن والسنّة هي وحدة الإلهي(المطلق) والتاريخي. وهي ووحدة معقولة بتجارب الأمة في مجري ظهور الضرورة والحاجة والمصلحة. و شأن كل عملية لم تكن معزولة عن الصراعات الفكرية والسياسية المعنوية والسلبية. من هنا تشعب رؤاها ومدارسها في ميدان الفقه(الحقوق). أما سيادة الفقه الشافعي والمالكي والحنفي والجعفري فهو تعبير عن جمود الاجتهاد الإسلامي وضفت الروح الثقافية للحضارة الإسلامية. إذ لم يسع أي من أئمة الفقهاء العظام إلى تقنين اجتهاداتهم في مواقف وأحكام ثابتة نهائية. لهذا عارضوا جميعاً في حياتهم الخضوع للسلطة، ورفضوا استلام مناصب رسمية فيها. بينما استمروا في الاجتهاد من خارج السلطة لمصلحة الدولة والأمة.

انطلاقاً من المبادئ العقدية الجوهرية للإسلام حرر الفقه الإسلامي نفسه عن السلطة "المحررة" من مسؤوليتها أمام المجتمع. فالمصدر الجوهرى بالنسبة للفقه الإسلامي هما القرآن والسنّة وليس السلطة(كما تجسدت في الخلافة). ومن ثم فان الاجتهاد فيما لا سلطان للسلطة(الحكومية) عليه أصبح الباعث الأكبر في استئثار الاجتهاد العقلي(من حيث تقديم الحلول ل مختلف المشاكل) والبقاء في حيز الأبعاد الروحية - الأخلاقية. لهذا نعثر فيه على تشعب مثير يتناول مختلف جوانب الحياة الاجتماعية والاقتصادية في وحدتها المادية والروحية. فالطبرى يورد على سبيل المثال سبعة وعشرين اختلافاً بين أئمة الفقه حول مسألة واحدة هي مسألة الضمان الكفالة والحوالة ، حيث تناولوا في خلافاتهم جوانبها المتعددة مثل الكفالة بالمال إلى الآجال. والجماعة يضمون عن رجل الكفالة بالنفس ، وكفالة رجل بنفسه آخر لرجل ، وكفالة أهل الذمة ، وكفالة المرتد ، وكفالة المريض ، وكفالة عن مجھول لمجهول وغيرها من الجوانب. وينطبق هذا على مئات وألاف من

المشاكل والقضايا المتعلقة بمختلف جوانب الحياة. وهو أمر طبيعي بالنسبة لكل فقهه. غير أن خصوصيته في الإسلام تقوم في استناده إلى مرجعية النظام والعدل، باعتبارها مرجعية مطلقة، ذات أبعاد وجودية ومتافيزيقية. مما جعل من الفقه الإسلامي علماً عن متغيرات الحاجات والضرورات في نظام العدل. أي أن الفقه ليس فقط إدراك وتأسيس قيمة الحق بالارتباط مع الحاجات والضرورات المتغيرة، بل والثبات فيها للحق والنظام، إذ الحرية فيه. بوصفها اجتهاداً . خاضعة لإدراك الضرورة ، أما الثبات فيها (الحرية) فهو خصوصيتها للحق بوصفه توحيداً للعدل والنظام . من هنا سيادة القيم المتغيرة عن الأصلح والأحسن والماجح والمندوب وثبات الواجب فيها .

أبدع دولة النظم والحرية أو الحق والاجتهاد في صراعات الفرق الكلامية والمذاهب الفقهية والمدارس الفلسفية والاتجاهات السياسية أسلوب الإجماع . وحولته لاحتياطها إلى مؤسسة لا مرئية . وبغض النظر عن الملاييسات التاريخية والفكورية للإجماع . إلا أن الجوهرى فيه هو تعبيره الحقوقى عن وحدانية الإسلام . فالإجماع تاريخياً هو الحصيلة المترادفة في تجاوز عقبات التضاد والصراع والخلاف . انه يحتوى في ذاته على آلية اختزال المفارقات الأولية إلى بديهييات معقولة . ومن ثم فان كل خطوة في ميدان الحرية هي خطوة في النظام . فعندما استدرجت الحضارة الإسلامية . على سبيل المثال . في مسارها خطوات الحقوق الإنسانية . فإنها تكلمت عن "حقوق المسلم" . أنها لم تتكلم عن حقوق مجردة عن الثقافة الخاصة . بل عن حقوق الإنسان ضمن قيودها . لقد حررها ذلك من المداهنة وال默ك وأجبرها على قطع إمكانية استعمال المتسامي للأغراض الرذيلة . وخلصها من رذيلة الاستعلاء والاستكبار . وحرر نفسها من غرور فرض نموذجها على الآخرين . إذ جعلت من نموذجها ملزماً ضمن حدودها فقط . أي ربطت مثاليتها بحدود العلم والعمل به . وهو أمر مرتبط بأولوية النظام فيها لا الحرية . فالحرية شيء مهلهل دون نظام . والنظام التكامل هو الذي تتكامل فيه وحدة الظاهر والباطن . فهو التكامل الذي يذلل مكر "العقلانية" وازدواجية النفس الغضبية . لهذا كانت حقوق المسلمين هي نفسها واجباته . وذلك لجوهرية النظام في روح الجماعة ، وسيادة العدل في حواجزها . من هنا وضعها أساس الوجود الإنساني من خلال صياغة حقوق حفظ العرض والنفس والمال . وهو تدرج يعكس أولوية الروح والمعنى وترتبط الطبيعى والماوراء طبيعى ، كما هو جلي في تشrub الحقوق والواجبات .

وضفت الثقافة الإسلامية الحق الجماعي(الاجتماعي) مقابل الحق الدولي(الحكومي) وجعلت منه حقيقة الفقه . وأدرجهت في الحق الجماعي كل ما يشمل علاقة الإنسان بالإنسان وبالجماعة . فعندما جمع الغزايل . على سبيل المثال . ما أسماء بحقوق المسلمين . فإنه ادرج فيها السلام عليه إذا لقاء ، وأجابتة إذا دعاها . وعدته إذا مرض وشهاد جنازته إذا مات . وليس هذه "الحقوق" سوى

الصيغة العلمية الأخلاقية للجماعة في موقفها من نفسها ابتداء بالحياة وانتهاء بالموت. أي أن حقوق المسلم على المسلم لا تتناهى. وفي ديمومتها تعكس نظام الرؤية الأخلاقية. وهو نظام وجده انعكاسه في الأحكام والحكمة القائلة. بان "مث المؤمنين في تواههم وتراحمهم كمثل الجسد إذا اشتكت عضو منه تداعى منه ساشره بالحمى والسهير". وإن المؤمن للؤمن كالبنيان يشد بعضه ببعضه. وإن المسلم من سلم المسلمين من لسانه ويده". ومن هنا مطالبة المسلم بالتواضع والعفuo والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وعدم الهجران، ورفض الانتقام، ومعاملة الجميع بخلق حسن مثل آية إقبال الجاهل بالعلم ولا الأمي بالفقه ولا العمي بالبيان. وتوقير المشايخ والرحمة بالصبيان. ومعاملة الناس حسب أقدارهم، وصلاح ذات البين. وستر عورات المسلمين وعدم التجسس عليهم. وصيانة عرض ونفس ومال المسلم من ظلم غيره. ويرد عنه ويناضل دونه وينصره. والنصيحة لكل مسلم والجهاد في إدخال السرور على قلبه. واستتبع هذه الحقوق العامة بحقوق الجوار(بغض النظر عن الدين) والتي تتضمن إلى جانب حقوق المسلم المشار إليها آنفاً. كف الأذى عنه. بل وتحمل الأذى منه. والفرق به، ومشاركة في النساء والشراء، والصفح عن زلاته وعدم مضايقته في شئ. ومن ثم "حقوق الأقارب والرحم". لأن الرحم من الرحمة. وأخص الأقارب والرحم هم الوالد والولد، والبر بالوالدين في كل حال في الحياة والاستغفار لهما بعد الموت وإنفاذ عهدهما وإكراهم صديقهما. فطاعة الوالدين واجبة ورضاهما حتم. كما أن الإحسان إلى الأبناء وتأديبهم والرفق بهم واجب.

إن الثقافة الإسلامية لم تقتن حقوق الإنسان بمعايير الدين والدنيا ححسب، بل وقيمتها بقيم وقواعد الأخلاق الشاملة. إذ لا يعني تدرج الحقوق العامة (للمسلم) إلى حقوق الجوار ومنها إلى الأقارب والرحم سوى السلسلة المعنوية المكملة لأحكام القانون المتشعبه للمعاملات التي اجتهدت مذاهب الفقه في اشتقاقها.

ونفس الشيء يمكن قوله عن المجتمع. فمعايير الوقف منه حسب منطق الثقافة الإسلامية يقوم في إعلاء شأن الأمة وجوهرية الجماعة فيها. فالمجتمع بالنسبة لها هو وحدة الأمة – الجماعة الفاعلة. ذلك يعني أن الأمة والجماعة هما كالشكل والمضمون. فعلى قدر روح الجماعة تتكون معاملة الأمة وللامتحنها. وليس روح الجماعة سوى النسبة المعقولة(المعدلة) المتراکمة في تجارب الأمة لحل الإشكاليات الكبرى لوجودها المادي والروحي. مما أعطى للحرية المقيدة – بالحق – إمكانية انتظامها الدائم في قواعد متتجددة. من هنا فاعلية "القواعد" المتنوعة في مختلف ميادين الحياة المادية والروحية ومستوياتها في العلوم النظرية والعملية وتجلياتها في السلوك الظاهري والباطني.

وتتنوع القواعد بقدر تنوع المدارس وعقائدها. ففي علم الكلام نعثر على اشتراك مدارس المعتزلة في أصولها(عقائدها) الخمسة(العدل، والتوحيد، والوعيد، والنزلة بين المنزلتين، والأمر

بالمعروف والنهي عن المنكر). ووجدوا في عقائدهم هذه "قواعد" مثلى لتوحيد الأمة وجمعيتها الإسلامية. وتوسعوا في اجتهاداتهم ولكنهم اشتركونا بقرارهم أن الله قديم. ونفوا الصفات القديمة عنه. وإن كلامه محدث. ورفقوا رؤيته بالأنظار. ونفوا التشبيه عنه من كل وجه. واعتبروا أن الإنسان قادر. خالق لأفعاله خيرها وشرها. ومستحق على ما يفعله ثواباً وعقاباً في الآخرة. وإن الله منزه أن يضاف إليه شر وظلم فعل هو كفر ومعصية. وإن الله لا يفعل إلا الصلاح والخير. ويجب من حيث الحكمة رعاية مصالح العباد. وأن أصول المعرفة وشكر النعمه واجبة قبل ورود السمع. والحسن والقبح يجب معرفتها بالعقل. واعتناق الحسن واجتناب القبح واجب. وورود التكاليف ألطاف أرسلها الله إلى الناس بتوسط الأنبياء.

في حين جمع الأشعري ما اسمه بجملة "أقوال أصحاب الحديث وأهل السنة". وهي إقراراً لهم باهـة ولـانـكـتـهـ ورسـلـهـ. وإن الله إـلهـ واحد فـردـ صـدـ لاـ إـلـهـ غـيـرـهـ لمـ يـتـخـذـ صـاحـبـاـ ولاـ لـلـدـ، وإن محمدـ عـبـدـهـ ورسـولـهـ. وإن الجنةـ حـقـ. وإن النارـ حـقـ. وإن الساعةـ آتـيـةـ لاـ رـيـبـ فـيـهاـ. وإن اللهـ يـبـعـثـ مـنـ فـيـ الـقـبـورـ، وأـثـبـتـواـ صـفـاتـ اللهـ بـلـاـ كـيـفـيـةـ، وـانـهـ لاـ يـكـوـنـ فـيـ الـأـرـضـ مـنـ خـيـرـ أوـ شـرـ إـلـاـ مـاـ شـاءـ اللهـ. وـانـهـ لـاـ خـالـقـ إـلـاـ اللهـ. وـانـ أـعـمـالـ الـعـبـادـ يـخـلـقـهـ اللهـ وـانـ الـعـبـادـ لـاـ يـقـدـرـونـ أـنـ يـخـلـقـواـ شـيـئـاـ. وـانـ اللهـ وـفـقـ الـمـؤـمـنـينـ لـطـاعـتـهـ وـخـذـلـ الـكـافـرـينـ، وـانـ الـخـيـرـ وـالـشـرـ بـقـضـاءـ اللهـ وـقـدـرهـ. إـنـ الـقـرـآنـ كـلـامـ اللهـ غـيرـ مـخـلـوقـ. وـانـهـ لـاـ يـرـىـ بـالـأـبـصـارـ، وـانـهـ لـاـ يـكـفـرـونـ أـحـدـاـ مـنـ أـهـلـ الـقـبـلـةـ بـذـنـبـ يـرـتكـبـهـ مـنـ الـكـبـاـرـ(ـكـالـزـنـاـ)ـ وـالـسـرـقـةـ). وـالـإـيمـانـ عـنـهـمـ هـوـ الإـيمـانـ بـاـهـةـ وـلـانـكـتـهـ وـكـتـبـهـ وـرـسـلـهـ، وـبـالـقـدـرـ خـيـرـهـ وـشـرـهـ. حـلـوـهـ وـمـرـأـهـ، وـانـ مـاـ اـخـطـأـهـ لـمـ يـكـنـ لـيـصـبـهـمـ وـماـ أـصـابـهـمـ لـمـ يـكـنـ لـيـخـطـشـهـمـ، وـالـإـسـلـامـ هـوـ أـنـ يـشـهـدـ أـنـ لـاـ إـلـهـ إـلـاـ اللهـ وـانـ مـحـمـداـ رـسـولـ اللهـ، وـانـ اللهـ مـقـلـبـ الـقـلـوبـ. يـقـرـرونـ بـشـفـاعـةـ الرـسـولـ يـومـ الـقـيـامـةـ. وـيـقـرـرونـ بـانـ الـإـيمـانـ قـوـلـ وـعـلـمـ يـزـيدـ وـيـنـقـصـ، وـقـالـوـاـ أـنـ الـأـمـرـ مـنـ ثـوـابـ وـعـقـابـ إـلـيـ اللهـ. وـأـنـكـرـوـاـ جـدـلـ وـمـرـاءـ فـيـ الـدـينـ. وـاعـتـقـدـوـاـ أـنـ اللهـ لـمـ يـأـمـرـ بـالـشـرـ بـلـ نـهـيـ عـنـهـ. وـأـمـرـ بـالـخـيـرـ وـلـمـ يـرـضـ بـالـشـرـ وـانـ كـانـ مـرـيدـاـ فـيـ الـدـينـ. يـعـرـفـونـ حـقـ الـسـلـفـ وـيـصـدـقـونـ بـالـأـحـادـيـثـ الـنـبـوـيـةـ. وـيـأـخـذـ الـكـتـابـ وـالـسـنـةـ. وـيـرـزـنـ الـعـيـدـ وـالـجـمـعـةـ خـلـفـ كـلـ إـمـامـ بـرـ وـفـاجـرـ، وـيـشـبـهـونـ فـرـضـ الـجـهـادـ لـمـشـرـكـيـنـ وـيـرـوـنـ الدـعـاءـ لـائـمـةـ الـمـسـلـمـيـنـ بـالـصـلـاحـ، وـانـ لـاـ يـخـرـجـوـاـ عـلـيـهـمـ بـالـسـيـفـ. وـانـ لـاـ يـقـاتـلـوـاـ فـيـ الـفـتـنـةـ وـيـؤـمـنـوـنـ بـمـاـ بـعـدـ الـمـوـتـ، وـيـرـوـنـ الـصـلـةـ عـلـىـ كـلـ مـاـ مـاتـ مـنـ أـهـلـ الـقـبـلـةـ بـرـهـمـ وـفـاجـرـهـ، وـانـ مـاـ مـاتـ بـأـجـلـهـ وـكـذـلـكـ مـنـ قـتـلـ بـأـجـلـهـ، وـانـ الـأـرـزـاقـ مـنـ اللهـ حـلـلـهـاـ وـحـرـامـهـاـ، وـجـواـزـ أـنـ يـخـصـ اللهـ الـصـالـحـيـنـ بـآيـاتـ تـظـهـرـ عـلـيـهـمـ، وـأـنـ الـسـنـةـ لـاـ تـنـسـخـ بـالـقـرـآنـ، وـانـ الـأـمـورـ جـمـيعـاـ بـيـدـ اللهـ وـيـرـوـنـ الصـبـرـ عـلـىـ حـكـمـ اللهـ وـالـأـخـذـ بـمـاـ أـمـرـ اللهـ وـالـأـنـتـهـاءـ عـمـاـ نـهـيـ اللهـ عـنـهـ وـإـلـاـصـ الـعـمـلـ وـالـتـصـيـحـةـ لـلـمـسـلـمـيـنـ، وـيـدـعـونـ بـالـتـصـيـحـةـ

لجماعة المسلمين واجتناب الكبائر(من الزنا وقول الزور والمعصية والغدر والكفر والعجب) ويرون مجانية البدعة ويدعون إلى مكارم الأخلاق.

ووضع الجويبي قواعد "أهل السنة والجماعة" في "لمع" تناولت الإشكاليات الكبرى للكلام الإسلامي المتعلقة بقضايا الغيب المأورائيات الدينية. والوجود الطبيعي. والإيمان والسياسة والأخلاق. حيث انطلق من الإقرار بأن العالم هو كله موجود سوى الله. والعالم ينقسم إلى جواهر وأعراض حادثة. وأن الخالق قدّم الذات واحد عالم قادر حي. إرادته أزلية. واجب. واجب الوجود. والحوادث كلها مراده أنه نفعها وضرها. خيرها وشرها. الله يرى لأنّه موجود. هو الخالق الوحيد وكل حادث فالله محدثه. والإنسان غير مجبّر على أفعاله، بل و قادر عليها مكتسب لها. وأنه لا يجب على الله شئ. يرسل الرسول والأنبياء بمبشرين ومنذرين والخلفاء الراشدون أربع. والخلافة ثلاثة عظاماً وما بعدها ملك. ولا يصلح للإمامية إلا من جمع شرائط منها أن يكون قريشاً. مجتهداً من أهل الفتوى. ذا نجدة وكفاية حراً ورعاً في دينه.

في حين وضع الغزالي قواعد العقائد(الإيمانية) في أركان أربعة لكل منها عشرة أصول. الركن الأول في معرفة ذات الله وفيه عشرة أصول(الأول) معرفة وجود الله وأول طريق الاعتبار فيه ما أرشد إليه القرآن. (الثاني) العلم بان الله قديم لم يزل. (الثالث) انه مع كونه أليباً ليس بوجوده آخر. فهو الأول والآخر، والظاهر والباطن. لأن من ثبت قدمه استحال عدمه. (الرابع) انه ليس بجواهر متحيز. (الخامس) انه ليس بجسم مؤلف من جواهر. (السادس) انه ليس بعرض قائم بجسم أو حال في محل. (السابع) انه منذه الذات عن الاختصاص بالجهات. (الثامن) انه مستو على العرش بالمعنى الذي أراده الله بحيث لا ينافي وصف الكبriاء ولا يتطرق إليه سمات الحدوث. (التاسع) مع تنزعه عن الصورة والجهة فهو مرشى بالأعين والأبصار في الدار الآخرة. (العاشر) انه واحد لا شريك له، فرد لا ند له، انفرد بالخلق والإبداع. أما أصول الركن الثاني(صفات الله) فهي كآلاته(الأول) إن الله صانع العالم قادر. (الثاني) عالم بجميع الموجودات. (الثالث) حي. (الرابع) مرید لأفعاله. (الخامس) سميع بصير لا يعزب عن رؤية هواجس الضمير وخفايا الوهم والتفكير. (السادس) متكلم بكلام هو وصف قائم بذاته ليس بصوت ولا حرف. (السابع) وكلامه قديم وكذا جميع صفاته. (الثامن) علمه قديم(التاسع) إرادته قديمة وهي في القدم تعلقت بأحداث الحوادث في أوقاتها. (العاشر) انه عالم بعلم. حي بحياة. قادر بقدرة، مرید ببرادة. متكلم بكلام، سميع بسمع، بصير ببصر. أما أصول الركن الثالث(أفعال الله) فهي(الأول) إن كل حادث في العالم فهو فعله وخلقه واحترازه. (الثاني) إن انفراد الله باختراع حرّكات العباد لا يخرجها عن كونها مقدورة للعباد على سبيل الاكتساب. بدل الله خلق القدرة

والقدور جمِيعاً. وخلق الاختيار والاختيار جمِيعاً. (الثالث) إن فعل العبد وإن كان مكتسباً للعبد فلا يخرج عن كونه مراداً له. (الرابع) إن الله متفضل بالخلق والاختيار ومتطلِّب بتكليف العباد. ولم يكن الخلق والتکلیف واجباً عليه. (الخامس) يجوز على الله أن يكلِّفُ الخلق ما لا يطیقونه. (السادس) إن الله إیلام الخلق وتعذیبهم من غير جرم سابق ومن غير ثواب لاحق. (السابع) إن الله يفعل في عباده ما يشاء. فلا يجب عليه رعاية الاصلاح. (الثامن) إن معرفة الله وطاعته واجبة بإيجاب الله وشرعه لا بالعقل. (التاسع) انه ليس يستحبَّ بعث الله لأنبياءه. (العاشر) إن الله أرسَل محمداً خاتماً للنبيين وناسخاً لما قبله من الشرائع. أما أصول الركن الرابع (السمعيات) (فالاول) هو الاعتراف بالحشر والنشر. (الثاني) وسؤال منكر ونفيك. (الثالث) وعدَّ القبر. (الرابع) الميزان وهو حق. (الخامس) الصراط. (السادس) إن الجنة والنار مخلوقتان. (السابع) الإمام الحق بعد النبي الخلفاء الراشدون على التوالي. ولم يكن نص رسول الله على إمام أصلًا. (الثامن) فضل الصحابة على ترتيبهم في الخلافة. (التاسع) إن شرائط الإمامة بعد الإسلام والتکلیف خمسة وهي الذکورة والورع والعلم والکفاية ونسبة قريش وفي حال اتصف أكثر من واحد بها فالإمامية لمن له البيعة من أكثر الخلق. (العاشر) لو تعذر وجود الورع والعلم فيمن يتصدى للإمامية وكان في صرفة إثارة فتنٍ لا تتطاقي حكمنا بانعقاد إمامته.

وتنوعت اتجاهات التشيع في إبداع قواعد العقائد ما بين غلة واثني عشرية وإسماعيلية. وكذلك الحال بالنسبة للخوارج من قبلهم. والحركات الاجتماعية – السياسية – الفلسفية مثل إخوان الصفا وغيرهم. وبغض النظر عن تباين طروحاتهم وأرائهم واختلافاتهم (بالأخص في مجال الرؤية السياسية) إلا أنهم تقاسموا جمِيعاً. كما هي الحال بالنسبة لاتجاهات "السننية" حركة الاجتهداد الفكري. إذ كان اجتهدادهم مساهمة جوهرية في تعميق الهموم الموحدة. وكذلك في ترسیخ وتعمیق وحدة الأمة وتنوع أرواحها الجماعية. وهي أرواح تتجلی في كل شيء بما في ذلك في الوصايا. فالوصايا هي ليست استعلاءً الرؤية وشموخها الاستاذی. بل الصيغة العقلانية لوجдан التجربة الثقافية. فهي تحتوي في أعماقها على حصيلة العقل والوجدان وإعادة إنتاجهما في تربية الأفراد والجماعة. لهذا نعثر فيها على نماذج دینية ولاهوتية وفلسفية وصوفية وأدبية يعكس كل منها رؤية خاصة للنفس والعالم.

و شأن كل جوانب الإبداع الكبیر في الحضارة الإسلامية استند فن الوصايا في تحقيقه لمعنى الوصیة إلى القرآن. فقد صاغت الثقافة الإسلامية مواقفها من الوصیة استناداً إلى الأفكار القرآنية القائلة (ادع إلى سبیل ربک بالحكمة والمعوظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن). (وإن الله يأمر بالعدل والإحسان). (لتكن منکم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنکر). إذ

جعلت الثقافة من الوصية "جند من جنود الله" و"مثلها مثل الطين يضرب به على الحاطئ. إن استمك نفع وإن وقع أثر". ووضعت للموعظة صيغاً ومعايير متنوعة مثل "عظ الناس ب فعلك ولا تعظم بقولك" و"الموعظة تشق على السفه كما يشق صعود الورع على الشيخ الكبير".
وتحول وعظ النفس والآخرين إلى ولع اشتراك فيه الخلفاء والدهماء والعلماء والوزراء والرجال والنساء. وهو "ولع" له مصادره الخاصة في قيمة الكلمة ومعناها ومغزاها وأثراها في الروح الاجتماعي والأخلاقي. أي في كل ما استند إلى إدراك قيمة النهاية والمشاركة. من هنا الحكمة القائلة "ما خاب من استخار، ولا ندم من استشار". و"من اعجب برأيه ضل، ومن استغنى بعقله زل". مما جعل أحدهم يقول في مدحه لرجل بالعبارة التالية "له وجه فيه ألف عين، وفيه ألف لسان، وصدر فيه ألف قلب". فهي الألوف المؤلفة لتنوع الرؤية والسماع والوجودان ووحدتهم في الحكمة والموعظة الحسنة.

رفعت الثقافة الإسلامية النصيحة إلى مصاف السنة النبوية. وأبانت لها من خلال الفكرة القائلة بأن "النصيحة لل المسلمين وللخلافة أجمعين من سنن المرسلين". ووضعت هذه الفكرة في حديث يقول "إن الدين النصيحة أنه ولكتابه ولرسوله ولائمه المسلمين ولعامتهم. والمقصود بالناصح أنه هو وصفه بما هو أهل له وتنزيهه عما هو ليس له بأهل والقيام بمعظمه والخضوع له ظاهراً وباطناً. والمقصود بالنصيحة لكتابه إقامته في التلاوة وتحسنه عند القراءة وتفهم ما فيه والذب عنه من تأويل المحدثين وطعن الطاعنين وتعليم ما فيه للخلافة أجمعين. والمقصود بالنصيحة للرسول إحياء سنته بالطلب لها وإحياء طريقة في بث الدعوة وتاليف الكلمة والتخلق بالأخلاق الظاهرة. والنصيحة لائمه معاونتهم على ما كلفو به بتنبيههم عند الغفلة وارشادهم عند الهفوة وتعليمهم ما جهلوها وتحذيرهم من يريد بهم السوء وإعلامهم بأخلاق عمالهم ومسيرتهم في الرعية. والنصيحة لعامة المسلمين تعني الشفقة عليهم وتقدير كبرهم والرحمة لصغيرهم وتغريح كربهم وتوقي ما شغل خواطرهم.

وجرى تخصيص هذه الفكرة العامة عن النصيحة في تجارب الاتجاهات الفكرية والسياسية، والذي يمكن إدراك هذه الاتجاهات نفسها لقيمة الوصية وغايتها. فالوصية هي الخطيط الوجданاني لنسيج الثقافة العقلي. من هنا قيمتها بالنسبة "لقواعد التربية الوجданانية والسلوكية(الأخلاقية والحياتية) وذلك لاحتواها على شعور الانتماء الوجданاني والإدراك العقلي للثقافة. وليس مصادفة أن تتجوهر في اختصاصات واتجاهات الثقافة الإسلامية جميعاً.

لقد تمثلت النصيحة إحدى المرجعيات الكبرى للثقافة الإسلامية. لا وهي وحدة العقل والوجود. من هنا قيمتها العلمية والعملية بالنسبة للباطن والظاهر. إننا نعثر على النصيحة في

الآيات القرآنية والأحاديث النبوية. في أقوال السلف الصالح والحكم والمتأثرات الداعية للتقوى والصلاح والخير والعفو والمغفرة والتسامح والسمو والمحبة والجهاد والدعوة للوحدة والجماعة والاعتدال والحق. ونعتذر عليها في مخاطبة الخلق للرعاية وعلاقتهم بالأمة بوصفها وصاية عليهم بحكم القرآن. أي بحكم الحق. وهي فكرة تحتوي في أعماقها على ما يمكن دعوته بالوصية الباطنية على الإنسان والمجتمع. باعتبارها التزاماً معقولاً وأدبياً في الانتماء لكل الإسلامي. ونعتذر عليها في وصية الفقهاء والمتكلمين والأباء والشمراء والفلاسفة لاتباعهم وللإنسان والجماعة والأمة. ونصائح الرجال للرجال وللأطفال. ونصائح النساء للنساء والأطفال. وأنبُع كل اتجاه فكري كبير نصائحه الخاصة لأتباعه وللمجتمع. ففي إحدى وصاياتهم، خطاب إخوان الصفا المرء والمجتمع قائلين بضرورة تأمل الأمور الدينية. ثم الاعتبار بتصريفها في أهلها، ثم الاقتداء عملاً وسلوكاً بالأبياء والأولئك بحيث لا يرضي المرء أن يكون لنفسه درجة دونها. ثم العلم أنه ليس بين الله وبين أحد قربة. وإن أكرم الناس اتقاهم وأطوعهم له وأثثهم ذكرأ إيه وأكثراهم في الأمور وأشدتهم اجتهداداً، وإن يعلم بأن خير مناقب الإنسان العقل. وأفضل حالاته العلم. ولكن شن خاصية. وخاصية العقل التمييز ومعرفة الحقائق والسيرة العادلة وحسن الاختيار. وإن يعلم بأن الأفضل واللام في الإنسان هو سموه الأخلاقي بحيث يتبيّن له الرشد من الغي. والضلاله من المهدى. والصواب من الخطأ. والحق من الباطل.

وهي وصية مكثفة تعكس الاتجاه العام لوصاياتهم العديدة تجاه الوجود وتجلياته الهائلة من خلال سلسلة الله (المطلق) – الروح القدس(مصدر المعرفة المقلية – الوجدانية) والاعتبار بالوجود (الطبيعي والإنساني) والاهتمام بالنساج المثلسي(الطبيعية والإنسان والروح) والاجتهداد الشخصي(الفردي) استناداً إلى وحدة العقل والوجود.

الوصية في التقليد الإسلامية هي عبارة الروح والجسد الثقافيين في استنطاقهما حقيقة المبادئ المتسامية. بمعنى احتواها على وحدة الطبيعي والمأثور الطبيعي في “ العبارة الخالدة”. إذ العبارة تاربخ وطبعية. والخالد فيها هو حدس الثقافة نفسها(روحها والمأثور الطبيعي فيها). وليس مصادفة أن يتمثل التشيع والتصوف أكثر من غيرهما في تقليد الإسلام فكرة الوصية والوصاية عبر أنسنتها في الإمام والشيخ و”تقنيتها” في التواعد والسلوك بوصفه الأسلوب المناسب لترسيخ وتميمic الانتماء التوعي والوجداني للعواصم فيها. فقد رفع التشيع فكرة الوصية إلى الوصاية. وطابقها مع ”الحكمة الخالدة”. إذ ليست الوصاية في نهاية المطاف سوى سريان ”النور الإلهي” في أبدان(وجود) الأئمة باعتبارهم أوصياء الله في أرضه(كما عند الخطابية). وليس الإمام سوى المطلق الإسلامي، الذي جعل بعض الغلة الشيعية يجدون فيه معيار الحق والحقيقة. والفضيلة والجمال كأضداد للخطأ

والخطيئة. والرذيلة والقبح كما هو الحال عند الحارثية). وعندما يقول البعض عن الكيسانية انه لا إمام لهم، وإنما ينتظرون الموتى. فليس موتاهم لا النماذج التي لا تموت في الزمن ولا تعيش في المكان. وهي المفارقة التي جعلت التشيع يؤسس في خياله المبدع لوحدة الظاهر والمُسْتَور. والصامت والناطق (كما هو الحال عند القرمطية). والغيبة والرجعة (كما هو الحال عند النميرية). ومن خلال هذه الوحدة جرى توليف فكرة الحجة (كما هو الحال عند الإمامية) بوصفها وحدة الظاهر - الباطن. والصامت - الناطق. والغائب - العائد للمثال المتسامي. أو الوصاية التي تمثل في وجودها المتّبع من ظهور وستور وصمّت ونطّق وبغيّة ورجعة. الوصيّة الإلهيّة الخالدة. من هنا تحول الحجة إلى "صاحب الوقت". ثم إلى "حجة الزمان". من هنا محدودية العدد في الفرق الشيعية جميـعاً وعدم محدوديتها في الاستعادة. كما لو أنـهم جسدوا الحكمـة الـلامـرـتـيـةـ في ابـتدـاءـ الأـعـدـادـ بـالـواـحـدـ وـ"ـأـنـتـهـائـهـاـ"ـ بـالـلـامـتـنـاهـيـ. ولـعـلـ مـثـالـ السـبـعـيـةـ(ـالـإـسـمـاعـيـلـيـةـ)ـ وـالـاثـنـيـ عـشـرـيـةـ(ـالـإـمـامـيـةـ)ـ أـحـدـ النـماـذـجـ المـتـمـيـزـ بـهـذـاـ الصـدـدـ.

فقد نسب إلى الإمام السادس جعفر الصادق قوله عندما سأله عن الإمام السابع (الإمام الثاني): **جعفر(نفسه)** هو سبت السبوت وشمس الدهور ونور الشهور ومن ثم فان سابعهم هو قائمهم. إذ لا يعني سبت السبوت وشمس الدهور ونور الشهور سوى الدورة اللامتناهية للثبات والتغيير. بينما ابتدأت الاثني عشرية (الإمامية) بالامام علي وانتهت "بالمنتظر". كما لو أنها أرادت أن تطوي في أعدادها المحدودة (الاثني عشر) لا محدودية الوصاية. وذلك من خلال تحويل الوصيّة إلى حجة دائمة. وتحويل الحجة الدائمة إلى مجـمعـةـ مـتـسـامـيـةـ وجـدتـ انـعـكـاسـهـاـ أيـضاـ في كـنـىـ وـالـأـقـابـ الـأـنـمـةـ مـثـلـ الـمـرـتـضـىـ وـالـمـجـتـبـىـ وـالـشـهـيدـ وـالـسـجـادـ وـالـبـاقـرـ وـالـصـادـقـ وـالـكـاظـمـ وـالـرـىـ وـالـتـقـيـ وـالـرـضـىـ وـالـزـكـىـ وـالـحـجـةـ وـالـقـائـمـ وـالـمـنـتـظـرـ. فـالـمـنـتـظـرـ أـوـ الـثـانـيـ عـشـرـ هوـ مـمـثـلـ الدـورـةـ الـخـالـدـةـ لـلـمـنـ(ـمنـ شـهـورـ وـأـعـوـامـ)ـ كـمـاـ لوـ الرـمـزـ الـذـيـ يـجـسـدـ فـيـ ذـاتـهـ وـحدـةـ الـثـبـاتـ وـالتـغـيـرـ كـالـشـهـرـ وـالـسـنـةـ. وـالـأـرـضـ وـالـشـمـسـ. وـالـشـيـعـةـ وـالـأـنـمـةـ. وـالـإـنـسـانـ وـالـهـ. لـاـنـ وـجـودـ الـأـنـمـةـ هـوـ الـوـصـيـةـ الدـائـمـةـ لـلـمـاـضـيـ وـالـحـاضـرـ وـالـمـسـتـقـبـلـ.

وتوصـلـ التـصـوـفـ أـيـضاـ إـلـىـ انـفـسـ النـتـيـجـةـ وـلـكـنـ مـنـ خـلـالـ مـحـورـةـ وـصـاـيـاهـ فـيـ سـلـوكـ الطـرـيقـ(ـالـلـامـتـنـاهـيـ). باـعـتـبارـهـ وـحدـةـ الـثـبـاتـ وـالتـغـيـرـ فـيـ الـمـقـامـ وـالـحـالـ. وـالـحـقـيـقـةـ. وـالـشـيـخـ وـالـرـبـيدـ. وـالـطـلـقـ وـالـصـوـفـ. لـهـذـاـ أـشـتـرـكـ التـصـوـفـةـ جـمـيـعـاـ فـيـ صـيـاغـةـ الـوـصـاـيـاـ. فـلـكـلـ شـيـخـ وـصـاـيـاهـ فـيـ الـوـاقـعـ وـالـأـعـمـالـ. بلـ التـصـوـفـ كـلـ وـصـيـةـ. فـقـدـ وـضـعـ القـشـيرـيـ وـصـاـيـاهـ لـلـمـرـيـدـيـنـ اـنـطـلـاقـاـ مـنـ ضـرـورةـ الـقـيـامـ بـهـاـ وـمـنـ أـجـلـ أـنـ تـكـوـنـ حـجـةـ عـلـيـهـمـ. باـعـتـبارـهـاـ مـتـطلـبـاتـ يـفـرـضـهـاـ طـرـيقـ الـنـفـسـةـ. مـنـ هـنـاـ تـأـسـيـسـهـ لـلـوـصـاـيـاـ وـبـنـاؤـهـ إـيـاهـاـ كـمـاـ لوـ أـنـهـاـ بـنـاءـاـ وـاحـدـاـ وـكـيـانـاـ مـتـمـاسـكاـ. فـوـضـعـ فـيـ مـقـدـمـةـ الـوـصـاـيـاـ أـنـ

يكون منطلق المريد في الطريق الصدق. لأنه الأساس الصحيح لكل صحيح. ومن ثم وصيته بعدم الانتفاء إلى مذهب من المذاهب المفترقة. إذ لا طريق إلا طريق التصوف. ومن بعدها التأدب على شيخ من شيوخ الطريقة. وبعدها وصية القيام بالتوبية الشاملة والابتداء بقطع العلائق والتفرغ للحق فقط. ثم التصحيف الدائم للعقد بينه وبين الله. وألا يخالف شيخه في شيء. كما لا ينبغي له أن يعتقد في الشيخ العصمة. ثم تخليص الإرادة والتمسك ظاهراً وباطناً بالأدب (الصوفي). ولبيت وصايا القشيري في الواقع سوى قواعد الطريق المثلث في تربية المريد والإرادة. والموضوع بمقدمة وصايا مستنبطة من تاريخ صنع الآباء الصوفية.

في حين وجد ابن عربى في الوصية "حكم الله في الأزل". انطلاقاً من أنه لولا الوصية كان الخلق في عمه. وبالوصية دار الملك في الدول. فهي تتضمن تجارب الأفراد والأمم والدول والثقافات. ووضع شأن القشيري في آخر "الفتوحات المكية" حصيلة آرائه وموافقه في مائة وتسعة وصية حكمية". أطلق عليها تسمية "الوصايا النبوية". لكي ينتفع بها المريد النسالك والواصل. أي للجميع. وادرج في الوصايا إقامة الدين " وهو شع الوقت في كل زمان وملة ". بحيث يكون مع الجماعة في ذاته ومعها. وأن " يحسن الظن بالرب ". وإن " يذكر الله في السر والعلن. وفي النفس والملا ". و" إتيان جميع القرب من الله جهد الاستطاعة في كل زمان وحال. بما يخاطبك به الحق بلسان ذلك الزمان ولسان ذلك الحال ". لأن الإنسان هو خليفة الله في الأرض. والبر هو أولها وقبل كل شئ خليفة الله في ارض بدنها وخليفة رعيته في جواره وقوه الظاهرة والباطنة. وإلزام النفوس الحديث بعمل الخير وإن لم تفعل ". لأن التخلق بهذه الوصية يؤدي إلى معرفة النسبة بين النشأة الإنسانية والملائكة وأن الأصل واحد. و"المتأبرة على كلمة الإسلام وهي القول لا الله إلا الله ". فهي أفضل كلمة قالتها الأنبياء. لأن الله ما وضع في العموم إلا أفضل الأشياء وأعمها وأتقنها وزنتا. لأنه يماضي بها أضداداً كثيرة. فلا بد أن يكون هناك من القوة ما يقابل به كل ضد. و"عدم معاداة أهل لا الله إلا الله " وـ" ملازمته ما افترضه الله على الوجه المأمور به ". وـ" مراعاة الأقوال كمراعاة الأفعال ". وـ" عيادة الرضى لما فيها من الاعتبار ". وـ" عدم ظلم العباد ". وـ" استعمال العلم في الأدب مع عالم لا يعلم بعلمه ". وـ" التجميل وحب الجمال في كل شئ بالحق ". وـ" مراقبة الله فيما اخذ منه وفيما أعطاك ". وـ" أداء الأوجب من حق الله . وهو أن لا تشرك به أحدا ". وـ" الحذر من الغلو ". وـ" الاغتسال في كل يوم جمة ". وـ" عدم الجدل في الدين ". وـ" حسن الأخلاق وإتيان المكارم ". وـ" الهجرة من دار الكفار. بمعنى مهاجرة كل خلق مذموم شرعاً ". وـ" استعمال العلم في كل السكتات والحركتات ". وـ" عدم الاكتتراث بالرزايا والمصالib ". وـ" تلاوة القرآن وتديبره ". وـ" مجالسة من تنفع بمحالسته ". وـ" إقامة حدود الله في النفس ". وـ" تأدبة الفروض والنواقل في العبادات فهي الجهاد الأكبر ". وـ" مراعاة المسلمين والمساواة بينهم ". وـ" رحمة الخلق أيا كانوا ".

والعدل في الأحكام". وـ"حفظ حق الجار". وأن لا تتحقر أحداً من خلق الله بشراً وحيواناً وجماداً. وـ"التخلص من الخيء". وـ"محبة الأنصار" إذ كل من نصر الحق فهو أننصاري. وـ"الصدق بالحديث وأداء الأمانة وصدق الوعد". وـ"الخوضونة". بمعنى البساطة والتواضع في الحياة. وـ"النصيحة على الإطلاق للمسلمين ولغيرهم". وـ"إصلاح ذات البين". وـ"حفظ الجوارح". ولا تبلغ ذا سلطاناً حدثاً. وـ"الحذر من الطعن بالإنسان". وـ"مراجعة حق الله وحق الإنسان في النكاح". وـ"عدم استعباد الأحرار". وـ"إياك والغدر". وـ"عقوق الوالدين". وـ"تقديم الأمر بالبر على الأب". وإذا حضر الطعام وأقيمت الصلاة فأبدأ بالطعام ثم الصلاة. وـ"العدل في الأمور كلها". وـ"حذر الميل من الحق". وـ"عليك بأفضل الصدقات". وـ"قول الحق في مجلس من يخاف ويرجى من الملوك". وـ"عمل البر". وـ"صلة الأهل بالولد". وـ"معاملة الجميع بأحباب المعاملة". وـ"تجنب الفتنة". وـ"الدفاع عن المؤمنين". وـ"عدم تعذيب كل ذي روح إذا كان في يديك حتى الأضحية". وذلك بدفع الألم عن كل من يتالم جهد الاستطاعة كان ما كان الألم الحسي من كل حيوان وانسان". وـ"التمسك بالمرابطة والقفر والإخلاص". وـ"الحذر من الاستهزاء والسخرية بأهله". وـ"الحذر من شرار الناس ومن الشتيمة والسب لأبي كان". وـ"ربط العلم بالعمل بالاجتهاد أن تكون وارثاً للأتباء". وـ"إكرام الضيف". وـ"عدم الشفاعة لأحد يحد من الحدود حال اقترافه جريمة". وـ"منع اللعب بالتردد وتجنب القمار وتمديد الكهان والاحتكار زمان القحط". تجنب الغضب على أبي كان. وألا تضرب أحداً. تجنب مجالسة الملك والأمراء. ولا تعارض الجماعة وعدم حمل السلاح في الحررم. وألا يرد طيب ولا عيش ولا وسادة إن قدمت إليك". وألا يقلد غيره في حال تمكنه من حصول الدليل. وـ"الحذر من التشقق بالكلام". ومن أن يستعبدن دون الله". وـ"الحذر من التكبر والجبروت والدعوة إلى عصبية". والحرص على المال". وـ"أن يكسب بعمله المال وطيب العيش". وـ"أن يكون غيوراً عليه والحذر من الغيرة الطبيعية الحيوانية". وـ"ألا يغش ولا يضرم سوءاً لأبي كان مسلمين وغيرهم". وإن يعامل الجميع بالحق ظاهراً وباطناً. وسراً وعلانية. بحيث لا يخصمه أحد يوم القيمة". وـ"عدم خيانة من خانك". ولا الاعتداء على من اعتدى عليك". وـ"كل لتعيش ولا تعيش لتتأكل". وـ"معاملة كل من تصحبه أو يصحبك بما تعطيه رتبته". فانه بالوفاء. والآيات بالنظر فيها. والرسل بالاقتداء. والملائكة بالطهارة. والشيطان بالمخالفة. والسفهاء بالحمل. والجهال بالسياسة. والأشرار ببسط الوجه. والحيوان بما يحتاج إليه. والأشجار والأحجار بعدم الفضول. والأرض بالصلة عليها. والموتى بالدعاء لهم وذكر محاسنهم. والأولاد بالإحسان والزوجة بحسن الخلق. والصلة بالحظور. والصوم بالتنزه. والزكاة بسرعة الأداء. والتوحيد بالإخلاص. والمال بالبذل والأداء بما تكفل أذاهم. والناصح بالقبول. والمحدث بالإفساء إلى حدثه. وعامل الموجودات كلها بالنصيحة".

أبدعت الثقافة إلى جانب النصيحة آداب السلوك. وإلى جانب آداب العبادات من صوم وصلة وحج وزكاة. وضعت أيضاً آداب العادات منأكل وشرب وغسل ونوم وكلام ومعاشرة وصداقة. وتفرقت فرق الإسلام ومدارسه في تدقيق وتنهيّب هذه الآداب كل من زاويته، بحيث أدى في نهاية المطاف إلى تكوين نظام تقليدي — من قادر على إعادة إنتاج نفسه. بفعل احتواه النموذجي على وحدة المادي والمعنوي. الحسي والعقلي. المصلحي والأخلاقي.

واستطاعت الثقافة استناداً إلى آداب العادات والعبادات بناء قواعد أدبها الأخلاقي. لهذا نظرت إلى الآداب بعيون الحكمة العلمية والعملية. ووضعتها بأقوال مأثورة هائلة. مثل "إذا أراد الله بعده خيراً ألهمه الطاعة والزمه الفتنة وفنه في الدين وغضبه باليقين. فاكتفي بالكافر واكتسى بالعقلاني". وإذا أراد به شراً حبيب إليه المال ويبيط منه الآمال وشغله بدنياه ووكله إلى هواه. فركب الفساد وظلم العباد". وإن "من لم يكن من دينه واعظم لم تنفعه الموعظ". ومن "أطاع هواه ساع دينه بدنياه". كما جسدت الثقافة وحدة الديني والدينوي. المادي والروحي. العقلي والوحدياني في صياغتها لنموذج الأخلاق الحسنة والفضائل المثل. بوصفها قواعد ملزمة. ففي موقفها من الشجاعة والجهاد. انطلقت الثقافة من أن القرآن أثنى على الصابرين في الباساء والضراء. ووصف المجاهدين الذين يقاتلون في سبيل الله كأنهم بنيان مرسوم. وطابق الإسلام بين قطرة دم في سبيل الحق وبين دمعة عين في جوف الليل خشية. وطالبت الثقافة الإسلامية بان لا يغسل الشهيد من دمه. لأنها وجدت فيه نوراً له يوم القيمة. ووضعت هذه الحصيلة في موقفها من الشجاعة. باعتبارها عماد الفضائل. واعتبرت فقدانها سبباً يؤدي إلى عدم اكتفاء الفضيلة عند المرء. وجعلت الثقافة من الصبر وقوة النفس وثبات القلب في المعرك والمصاعب والمحاشيب مؤشرات عليها. من هنا القول المأثور "المقاتل من وراء الفارين كالمستغفر من وراء الغافلين". و"من أكرم الكرم الدفاع عن الحرم". وجعلت الثقافة من خصالها الشرف والسؤدد وعلو الهمة. واعتبرت السيد من "بذل معروفة وكف أذاء"، وهو "من يملأ العين جمالاً والسمع مقلاً". ومن "يكون للأولياء كالغيث الغادي، وعلى الأعداء كالليث العادي". وأكملت ذلك بقواعد مبنية على قيم الحلم والصفح وكم الغيط. واستمدت هذه القيم من القرآن. الذي رفعها إلى مصاف الفضائل العليا. بحيث طالب المسلم "بالصريح الجميل"، الذي هو الرضا بلا عتب. و"بالصريح الجميل". الذي هو من عزم الأمور.

وطالبت المرء بالحياة والتواضع ولبن الجانب وخفض الجناح كما لو أنها أرادت أن يجعل من بدنها روحه تجسيداً للملائكة. لذا جعلت من الحياة شعبة من الإيمان. واعتقدت أنه إذا لم يستحب المرء فليفعل ما يشاء. وقالت "كن الحياة ثوبه لم ير الناس عبيه". و"الوجه المقصون بالحياة كالجوهر المكنون في الوعاء". فقد طالب القرآن مهتماً ومن خلاله الأمة بخفض الجناح للمؤمنين.

مؤكداً مراراً على أن الدار الآخرة لمن لا يريدون علوها في الأرض ولا فساداً. وقال النبي محمد بن أفضل العبادة التواضع. لهذا طالب اتباعه قائلاً لا تقولوا في ما قالـت النصارى بعيسى. فإن الله اتخذني عبداً قبل أن يتخذنـي رـسولاً! وكان يقول إن "التواضع لا يزيد العبد إلا رفعة ، فـتواضعوا يـرـفعكم الله". وطبق ذلك على نفسه. فقد كان يـخـصـف نـعلـه ويـخدم أـهـله. من هنا حـكـمـ الثقـافـةـ علىـ منـ وضعـ نـفـسـهـ فوقـ قـدـرهـ استـجلـبـ مـقـتـ النـاسـ. وـ"ـماـ تـاهـ إـلاـ وـضـيـعـ". ولاـ فـاخـرـ إـلاـ لـقـيـطـ. وكلـ منـ تـواضعـ نـهـ رـفـعـهـ". وكذلكـ مـعـارـضـتـهاـ الشـدـيـدةـ لـلـعـجـبـ وـالـكـبـرـ وـالـخـيـالـ وـماـ شـابـهـ ذـلـكـ لأنـهاـ صـفـاتـ تـسلـبـ الفـشـائـلـ. واستـغـربـتـ الثـقـافـةـ منـ تعـجـبـ الـمـرـءـ بـنـفـسـهـ. بحيثـ نـسـبـتـ إـلـيـ أحـدـهـ قولـهـ "ـعـجبـتـ لـنـ جـرـيـ فيـ مـجـرـيـ الـبـولـ مـرـتـيـنـ كـيـفـ يـتـكـبـرـ". وكـيـفـ أـنـ رـجـلـ تـقـيـاـ مـرـ وـبعـضـ أـبـنـاءـ الـأـمـرـاءـ يـتـبـخـرـ فيـ مـثـيـهـ.

قالـ لهـ الشـيخـ:

ـياـ بـنـيـ لـوـ تـرـكـتـ هـذـهـ الـخـيـالـ لـكـانـ بـكـ أـجـمـلـ!

ـأـوـ مـاـ تـعـرـفـيـ؟!

ـأـعـرفـكـ مـعـرـفـةـ جـيـدةـ! أـولـكـ نـطـقـةـ مـذـرـةـ. وـأـخـرـكـ جـيـفةـ قـذـرـةـ. وـأـنـتـ بـينـ ذـلـكـ تحـمـلـ العـذـرـةـ!

وكـشـفتـ عـمـاـ فيـ هـذـهـ الرـذـيـلـةـ منـ أـبعـادـ سـيـاسـيـةـ أـيـضاـ وـضـعـتـهاـ فيـ فـكـرـةـ تـقـوـلـ "ـلـاـ يـدـومـ الـمـلـكـ مـعـ

الـكـبـرـ"ـ وـ"ـحـسـبـكـ مـنـ رـذـيـلـةـ تـسلـبـ الـرـيـاسـةـ وـالـسـيـادـةـ".

وـجـعـلـتـ الثـقـافـةـ مـنـ الـجـوـدـ وـالـكـرـمـ مـضـمـونـ أـخـلـاقـهـاـ وـمـيـدانـ تـجـليـ حـقـيـقـةـ الـأـدـبـ. وـتـوصلـتـ إـلـيـ أـنـهـ

لـيـسـ كـلـ مـعـطـيـ كـرـيمـ وـلـاـ كـلـ بـاذـلـ سـخـيـ. وـاعـتـبـرـتـ أـفـضلـ الـجـوـدـ الـإـبـيـاثـ الـكـاملـ بـالـمـالـ وـالـنـفـسـ لـلـعـامـ

وـالـخـاصـ. وـبـلـورـتـ الثـقـافـةـ حـكـمـتـهاـ فيـ قـوـلـهـ "ـمـنـعـ الـمـوـجـودـ سـوـءـ ظـنـ بـالـمـعـبـودـ". وـ"ـجـاهـلـ سـخـيـ أـحـبـ

إـلـيـ اللهـ مـنـ عـابـدـ بـخـيـلـ". بحيثـ جـعـلـ ذـلـكـ الثـقـافـةـ تـتـوـصـلـ إـلـيـ أـنـ لـاـ تـعـدـ الـقـرـضـ مـعـرـفـةـ. فـعـنـدـمـاـ قـيلـ

لـأـحدـ "ـلـاـ خـيـرـ فـيـ السـرـفـ". أـجـابـ "ـبـلـ لـاـ سـرـفـ فـيـ الـخـيـرـ".

وـقـدـمـتـ الثـقـافـةـ نـهـانـجـ عـدـيـدـةـ عـنـ الـبـذـلـ وـالـجـوـدـ. بحيثـ تـوصلـتـ فـيـ وـصـفـهـاـ لـلـكـرـيمـ إـلـيـ القـوـلـ "ـكـانـ

أـجـودـ مـنـ الـرـيحـ إـذـ عـصـفـتـ. وـاسـخـيـ مـنـ الـبـحـرـ إـذـ زـخـرـ". مـنـ هـنـاـ مـعـارـضـتـهاـ الشـدـيـدةـ للـبـخـلـ وـالـشـحـ.

فـقـدـ أـدـانـ الـقـرـآنـ الـبـخـلـ وـاعـتـبـرـهـ رـذـيـلـةـ. لـأـنـهـ وـجـدـ فـيـهـ أـحـدـ الـمـصـادـرـ الـأـسـاسـيـةـ لـلـشـرـورـ الـاجـتمـاعـيـةـ.

وـلـيـسـ مـصـادـفـةـ أـنـ يـحـرـمـ الـإـسـلـامـ الـرـبـاـ. وـاعـتـقـدـتـ الثـقـافـةـ بـاـنـ فـيـ الـبـخـلـ سـرـ هـلاـكـ الـأـمـمـ السـابـقـةـ،

وـ"ـجـامـعـ الـمـساـوىـ لـلـقـلـوبـ". وـيـنـطـقـ ذـلـكـ أـيـضاـ عـلـىـ المـوقـفـ مـنـ الـوـفـاءـ بـالـلـوـاءـ وـحـفـظـ الـعـهـدـ. حيثـ شـدـدـ

الـقـرـآنـ عـلـىـ ضـرـورـةـ الـوـفـاءـ بـالـعـقـودـ. وـجـعـلـ مـنـ نـقـضـ الـوـعـدـ وـالـعـقـدـ وـالـعـهـدـ خـروـجاـ مـنـ الـإـيمـانـ.

وـتـوصلـتـ الثـقـافـةـ إـلـيـ أـنـ الـمـنـافـقـ هـوـ مـنـ إـذـ حـدـثـ كـذـبـ، إـذـاـ وـعـدـ أـخـلـفـ. وـإـذـاـ اـنـتـمـ خـانـ. وـقـيـلـ لـهـذـاـ

الـسـبـبـ "ـالـوـعـدـ وـجـهـ وـالـإـنـجـازـ مـحـاسـنـهـ". وـ"ـالـوـعـدـ سـحـابـةـ وـالـإـنـجـازـ مـطـرـهـ".

ولم تهمل الثقافة جانبًا من أعضاء الجسد الإنساني ولا خلجة من خلจات النفس إلا وتناولتها بالفحص والترتيب. لقد انتزعت من المسلم لحمه ودمه ولباسه، وأكسته لحمها ودمها ولباسها. وقدمت له نماذج معقولة ومقبولة وواجبة. ظاهرة وباطنة، عامة وخاصة. في مختلف ميادين وجودها. وحددت في ميدان انتتمانه للإسلام. على سبيل المثال، مستويات الإسلام والإيمان وكل منها بعد ومستوى ظاهري وباطني . عام وخاصة. فالإسلام الظاهر والعام هو حد الانتتماء الأدنى (القيد) للجماعة. بينما الإيمان الباطني الخاص فهو حد الانتتماء الأعلى(غير المتناهي) للجماعة. وينطبق هذا على كل ما له علاقة بالروح والجسد سواء في ميدان العقائد أم في ميادين الأخلاق والسياسة والمجتمع. وذلك بسبب جوهرية النظم.

فالثقافة الإسلامية هي ثقافة نظام. وكل ما يدخل فيها ينتمي بوقتها. ويتحول بقواليها. ويعوزن بأوزانها. وهو نظام مبني في أساسه على نسب المعمول والمقبول التراكمية في تجارب الأمة الإسلامية. من هنا استحالة تجزئة الثقافة الإسلامية. فقد صنعت الثقافة الإسلامية في مجرب تطورها نسباً متكافئة للمقومات الفضورية والواجبة لوجودها. مما انتزع منها "روح التضاد" والنزاع بين الدين والدنيا. والعلم والإيمان. والفرد والجماعة. والله والإنسان. والدولة والجماعة(شرح نماذج تحليلية للثنويات تكشف عن اضمحلال روح التضاد). وجعلت من هذه الثنويات المتسامية مصدرًا ومعيارًا لاجتهادها وجهادها. وكانت الحصيلة النهائية لروح النظام فيها هي واحديتها الثقافية.



علمنة

الفكر الإسلامي

د. عاطف أدم

ترجمة، غادة الدهاوى

إن إحدى المشاكل الرئيسية التي تواجه التحديث الثقافي للمجتمعات العربية هي الموقف التقليدي المضاد للتضمينات الفكرية والأخلاقية للحداثة، على أساس أن هذه التضمينات تقع موقع المعارضة المباشرة لقوانين الدينية للحياة الاجتماعية كما نص عليها بوضوح في النص القرآني.

في هذه الورقة سأحاول أن أحلل بشكل نقدى هذا المفهوم ، مقترباً استراتيجياً تأويل (عملية بناء مفهوم) للنص القرآني قد تسهم في حل المشكلة في اتجاه فكر

إسلامي علماني.

من المعروف أن المؤمنين يعتبرون الكتاب المقدس الإسلامي (القرآن) الكلمة الحق لله كما أوحى للنبي محمد. فهم ي يجعلونه باعتباره السلطة الأساسية في كل الأمور: شرعية ودينية، وهم بصفة عامة ينظرون إليه باعتباره معصوماً في كل الأوجه.

وبغض النظر عن هذه الحقيقة فمن المعروف أيضاً أنه على طول التاريخ الإسلامي كله لم يحز أى كتاب تأويلي على إجماع على العكس هناك اختلاف هائل في التفسير في التاريخ الماضي والحديث على السواء.

ففيما يتعلق بالتفسير الكلاسيكي قد يكون من الأهمية مقارنة تفسير الطبرى (٩٢٣-٨٣٩)، حيث نجد مجموعة موسوعية تلخص كل شيء حدث بخصوص هذا الأمر حتى وقته مع كشف الزمخشري (١١٤٣-١٠٧٥) الذي قرأ نظريات وأفكار المعتزلة في كل مقطع قرآنى ناهيك عن التأويلات المجازية الشيعية والصوفية.

من ناحية أخرى اكتسب التفسير القرآني الحديث دلالة جديدة مع ظهور الحادثة في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي. كانت القاعدة هي العودة إلى إسلام «الأسلاف» النقى والأصيل. لقد اعتربت تفسيرات المراجع الأقدم والأصلية للإسلام قسرية وبذلت المحاولات لتأسيس المبادئ الضرورية من أجل فهم صحيح للقرآن.

لقد اهتمت التفسيرات التقليدية إنها أدخلت الإسرائيليات والأحاديث النبوية المزيفة التي لا تمت بصلة لل تعاليم الأصلية للنبي، من ناحية أخرى، لم يحدث أبداً أن وضع سلطة القرآن في محل تساؤل إن محمد عبده، الذي ألقى محاضرات تفسيرية للقرآن في «المثار» (ومريده رشيد رضا)، والتي نشرها ورضا بعد ذلك في كتاب، في حين أنه يعتقد أن القرآن نص أوحى به حرفياً من الله لبنيه، حاول أن يظهر أن نتائج العلوم الحديثة والعديد من الآراء الحديثة موجودة بالفعل في القرآن وقد أظهر هذا عبر قراءة أفكار حديثة لا وجود لها في كلمات القرآن (تأويل ملتو).

مع ذلك، فقد أظهرت تطورات لاحقة تيارات جديدة، فعلى سبيل المثال رأى مولانا أبو الكلام أزاد (١٩٥٨-١٨٨٨) أنه من الهم تفسير القرآن على أساس مراعاة الجنون الاجتماعية وغيرها للبيئة. لهذا فمن الضروري دراسة ثقافات ولغات العربية القديمة والشعوب السامية الأخرى. فقد أشار إلى أن دراسة الظروف التاريخية التي أنزل فيها

القرآن تسهل فهم ما منحه (القرآن) لهؤلاء الذين تلقوا الوحي. إضافة إلى ذلك ، حاولت التطورات الحديثة والمعاصرة أن تدخل اللسانيات المعاصرة ، مصاحبة بتحليل اجتماعي-تاريخي ، في فهم النص القرآني . (مثال نصر أبو زيد: مفهوم النص).

تشير كل هذه الاتجاهات الحديثة إلى استهلال أكثر من رؤية تاريخية للقرآن ، تلك التي تحاول أن تميز بين الأفكار الدينية الرئيسية، والأمور الخارجية التي تعتمد على البيئة التاريخية.

هذه الفكرة الأخيرة هي المفهوم المحوري لهذه الورقة. لذلك سأحاول أن أميز بين ما هو ديني وما هو دينيوي في النص القرآني عبر شرح ثلاثة نقاط:

١- إن القرآن ليس مجرد كتاب بالمعنى العتاد للكتابة لكنه يجسد عملية.

٢- هذه العملية تتضمن ديناميكيات معقدة ذات اعتبارين رئيسيين : ديني من جهة ، ودينوي من جهة أخرى.

٣- إن الوجه الديني هو المقدس (ذلك الموجه لكل البشر) في حين أن الوجه الدينوي هو ذلك الذي كان هدفه عند التأسيس داخل المجتمع العربي، إطاراً اجتماعياً - سياسياً لتحويل الوجه العقائدي أن يرسخ كواقع ملموس.

٤- عملية أكثر من كونها كتاباً : باعتبار النقاط التالية:

الحقيقة الدافعة المعروفة للجميع هي إن الآيات القرآنية نزلت متفرقة عبر فترة بلغت أكثر من ٢٠ عاماً بقليل ، هذه الآيات المتفرقة كانت موجهة لأنواع مختلفة من المواقف واستجابة لأنواع مختلفة من الأسئلة أو المشاكل التي برزت في المجتمع الاجتماعي للمجتمع المسلم.

* يستجيب الوحي القرآني بشكل ثابت وبصراحة في الغالب للوضع التاريخي لـ محمد، مانحاً إياه تشجيعاً في أوقات الاضطهاد، مجيباً عن أسئلة من قبل تابعية وعارضيه، ومعلقاً على الأحداث الجارية إلخ.

* تبدل في بعض الأحيان قوانين المجتمع الإسلامي لتناسب أحوالاً جديدة (سمى هذا «النسخ») وجدير بالذكر أنه في حين يقدم القرآن قوانين مفصلة عن بعض الجوانب لسلوك المجتمع الإسلامي وتعليمات عامة عن جوانب أخرى ، فلا توجد مدونة

سلوك أو قائمة للواجبات المطلوبة . عادة يتم التعامل مع كل قضية بشكل منفصل حتى ولو في أماكن مختلفة متعددة.

* هناك عدد من التلميحات للحالة الذاتية لمحمد في مكة(مثل الاضطهاد الذي عانى منه ، الاتهامات التي وجهها إليه معارضوه ، حياته المبكرة ويتمه) وللممارسات الخاصة لأهل مكة.

* جمعت مقاطع في تاريخ مختلفة مع بعضها البعض لتشكل «السور القرآنية» الحالية واستخدمت وثائق مكتوبة ، وهناك دلالات على أن هذه المراجعة تمت تحت إشراف النبي محمد بالرغم من أن القرآن ككل لم يجمع خلال حياته. هذه النقاط معاً تقود إلى إدراك أن القرآن هو محصلة آيات متفرقة (في الزمان والمكان) موحة من الله لمحمد ، داعماً إياه في تأدية مهمته النبوية في محيط من الصراع القبلي العنيف.

هذه الآيات لم تكن من جانب واحد (تأتي على نحو منفرد في جانب واحد بدون مشاركة الجانب الآخر) لكنها كانت حواراً دائماً بين الله والمجتمع العربي عبر النبي وهذا يجسد حدثاً تاريخياً فريداً حيث كان الله موجوداً بفعالية ومشاركاً في تشكيل المجتمع المسلم. وبالرغم من أنه بعيد ومجرد بالمعنى المادي ، فسبحانه تعالى كان حاضراً طوال الوقت وعلى اتصال مباشر بشئون المجتمع الإسلامي . لهذا جاءت التشريعات والقوانين ذات الطبيعة غير الدينية مفهومة وذات صلة بالأحوال الاجتماعية المmosسة التي يتعاملون معها وكانتا يغيرون محتواها كلما نشأت مواقف جديدة . لهذا يجسد القرآن محصلة عملية وجود الله ومشاركته في المجتمع الإسلامي في القرن السابع الميلادي . إنه ليس مجرد كتاب تعاليمي لابد من اطاعته من قبل أي مجتمع مجتمعًا مسلماً.

إن الأساس المنطقي لهذا هو أن التعاليم الإلهية لم تعد متاحة الآن بعد موت محمد فلا يوجد أى مصدر للتشريع ليتعامل مع الأحوال المتغيرة .إضافة إلى ذلك فقد حفظت أهداف التشريع القرآني للمجتمع الإسلامي وأنجزت فعلياً عبر حياة النبي وحضور الله في المجتمع .

٢- الديني والدنيوي (المدنى)

لقد أتاحت وجود الله عبر الوحي خلال حياة محمد الممارسات الدينية الإسلامية ، إمكانية أن تشنن بمحتوى اجتماعي- اقتصادي واضح.

لهذا السبب اكتسب الإسلام خلال فتراته الأولى (الحياة الاجتماعية للمدينة المنورة) روح الشعب المميزة كدين يوحد في داخله الوجهين الديني والروحياني على السواء للحياة ، ناشداً ليس فقط تنظيم علاقة الفرد بربه(عبر ضميره) بل والعلاقات الإنسانية في وضع اجتماعي أيضاً.

وكان لابد من إنجاز مهمة مزدوجة : دينية موصلة ومثبتة للمحتوى والممارسات العقائدية في المجتمع العربي ، ودينوية هادفة إلى تأسيس إطار اجتماعي- سياسي وسط القبائل العربية.

اهتم الوجه الديني بثبيت الإيمان التوحيدى بالله ، في عقل العرب متضمنا نظام القيم الأساسية التي تشكل أعمدة الإسلام «والالتزام بالمحظورات الأخلاقية التي نص عليها عبر الوحي.

كانت المهام الدينية أمراً حتمياً بسبب الوضع الصراعي العنف الذي ميز المجتمع العربي في ذلك الحين . ففي الفترة المكية ، ركزت الممارسات (الأحاديث والسنن) حول جذب الموالين وإنشاء دين جديد باستخدام الأشكال الأعلى في البلاغة الخطابية والتاثيرات المجازية ، في حين أنه في المدينة كان لابد من الأخذ بمعيار مزدوج : الأول ، تنظيم الشؤون الداخلية للمجتمع الإسلامي وقواعد علاقتهم بالمجموعات القبلية في المدينة . الثاني : التجهيز لإدارة مشكلة خضوع القبائل غير الحليفة والعدائية (قريش في مكة والقبائل البدوية في الصحراء) للهيمنة الإسلامية وقد تم تنفيذ هذا تقريراً عبر الغزوات العسكرية حيث كانت «بدر- ٦٢٤ » نقطة تحول حقيقة في تاريخ الإسلام.

من ناحية أخرى ، نتج عن الحوار المستمر بين الوحي والمجتمع العربي مدى واسع من التيمات / الأفكار / المواضيع التي تتطلب أنواعاً مختلفة من الاستجابات ولهذا تضمن النص القرآني تنوعاً في الأفكار غير العقائدية وأنماطاً من الأساليب اللسانية مثل «السرود» (خاصة القصص النبوية والجزائية) و«المقاطع -العلامة» التي تتحدث عن ظواهر معينة للطبيعة والحياة الإنسانية كـ«علامات» «آيات» على قدرة الله الكلية والخير تجاه الإنسان ، مطالبة بالامتنان وعبادة جلالته وحده إضافة إلى ذلك ، هناك

العديد من المقاطع الموجهة إلى بعض الأمور الشخصية المتعلقة بالنبي وبعض الشخصيات الأخرى المهمة.

بشكل عام ، قد يكون غرض الوحي، بعيداً عن الغرض الديني الذي هو الغرض الأساسي ، هو غرض تعليمي ، وعظى ، بلاغي ، تشريعي وشروحه وتعقيبات شخصية.

٣- التمييز بين المقدس والديني في النص القراءى.

أ- الخصائص العامة للدينى:

تشارك كل الأديان في بعض القواعد الأساسية العامة: تقدير الالوهى والروحانى والمقدس والفقوى.

لهذا سيرى الدين إجرائيا هنا كمجموعة من المعتقدات والممارسات (الشعائر ، المحظورات الأخلاقية) تتعلق بالبعد الميتافيزيقي للوجود الإنساني (الدنيا والحياة) فإن الأساس المنطقي لهذا التعریف هو رؤية الدين باعتباره ناجما عن الخبرة الإنسانية المقدس الذى هو شيء من الصعب اختراله فى أى نوع من التفسير.

بالرغم من أن التمييز بين المقدس والدينيى ، قد لا يكون صحيحاً كلياً فهو يعد أقل إشكالية عندما يتم تطبيقه على دين محدد مثل الإسلام.

ويعود هذا إلى أن الوجه الديني الإسلامي (المقدس) متتطور تطوراً كبيراً أو محكماً فهو يرتکز على:

١- الإيمان بعظمة ووحدانية الله، إلى جانب مخلوقات معينة أدنى منه وذات طبيعة خارقة.

٢- صحة وحقيقة نبوة محمد وتلقيه للوحى من الله.

٣- نظام في طقوس العبادة محدداً متعلق بأحكام بتذكر الله والخضوع لإرادته.

٤- الالتزام بمحظورات أخلاقية محددة تعلم ، ضمن وظائف أخرى ، كعلامة رمزية للمجتمع الإسلامي.

هذا الاعتقاد الأساسي يتميز بكونه روحانياً ، تجريدياً ، كلياً وثابتاً ، بالإضافة إلى الطقوس والمحظورات التي هي ذات صلة قوية بالاعتقاد الأساسي سواء كان منطقياً أم ظيفياً ، تشكل الوجه الديني والمقدس للإسلام.

بـ- الخصائص العامة للروايات الدينية (المدنية) في القرآن:

- ١- لا يمكن استنتاجها منطقياً أو ربطها وظيفياً بعقيدة الدين الأساسية .
 - ٢- تتعامل مع أفكار هى بشكل إدراكي تندرج تحت مجال العلوم الاجتماعية والإنسانية والطبيعية.
 - ٣- أشتقت الآيات التشريعية فى الأساس من الأحداث الواقعية والواقف التى وقعت داخل المجتمع الإسلامي خلال حياة محمد. إن مجال المواضيع ومحتوى أحكامها تزامن مع المحيط الاجتماعى- الثقافى ووجسد الإطار المفاهيمى لذلك العصر.
 - ٤- ينحو التعبير التشريعى فى بعض الأحيان إلى أن يكون تجربياً أو ناقصاً حتى لا يفهم إلا من قبل الناس الموجه إليهم.
 - ٥- لم تكن هناك مدونة كاملة أو قائمة بالقوانين التشريعية تقطع المدى الكلى للمواقف التى قد تنشأ فى المجتمع . إن القوانين التى صدرت كانت محددة على وجه الحصر بالمواقف التى أثارتها.
- كل هذه النقاط تدل على أن الفقرات ذات الطبيعة غير العقائدية لم يكن المقصود بها أن تكون لا دينية ولا مقدسة ولا إلزامية لل المسلمين القادمين ليعوها كتعاليم إلحادية. حاولت هنا أن أضع استراتيجية تفسير النص القرآنى من منظور المقدس والديني وتأمل أن مثل هذه المقاربة ، تكونها متسقة مع المعلومات النصية- التاريخية ، ربما ، إذا قبلت بعقلانية ، أن تخول المفكرين الإسلاميين أن يكونوا جمیعاً وفي نفس الوقت : علمانيين ودينين في الوقت نفسه . وعليه فقد تنفتح بشكل هائل احتمالية جديدة لتبني القيم الثقافية للحداثة.

أدب ونقد

مقالات



دين الآباء

خليل عبد الكريم



فهم الحقيقة المعروفة بفجر الإسلام والتعرف على خوافيها وسبر أغوارها لا يتم إلا بدراسة الفترة السابقة عليها والتي يطلقون عليها الجاهلية^(١).
إذ أن الكثير مما ساد خلالها يستحيل أن يختفى لأنها امتدت مئات الأعوام وعلم
الاجتماع وتحديداً الدينى يؤكده.

إن التعرف على تقاليدها وعاداتها وقيمها وأنساقها على كافة الأصعدة ومن سائر
النواحي يؤدي إلى ذلك شفرة لغاز الأحداث وحل أسرار النوازل التي وقعت إبانها
(فجر الإسلام) وما تلاها وليس مغالاة إذا قلنا بل حتى أيامنا هذه خاصة فيما يتصل
ب Yoshiqah حميقة بالجانب التيولوجي.



من أبرز الأنساق الاجتماعية التي هيمنت وقت ذاك ما عرف بـ «دين الآباء» والذي أسيء فهمه كثيراً بالانصراف إلى مدلول ما عبده الآباء. وفي حالة قريش تأليه هبل واللات والعزى ومناة وأساف وناثلة والسجود والنحر والذنر لها.. إلخ.

إنما هو التقاليد الرواسخ والقيم والمبادئ التي خلفها الآباء ذوو المكانة المحترمة ومنهم في الفترة موضع البحث نكتفي منها باثنين على سبيل المثال: أولهما عبد المطلب الجد المباشر لـ «الحبيب المصطفى» عليه وعلى آله أزكي السلام وإذ أنه من الأحناف فقد سن صوم رمضان والتحنث في غار حراء وتحريم الخمر .. إلخ الآخر الوليد بن المغيرة والد خالد القائد العسكري الشهير وهو شخصية مركبة فهو من طبقة المثقفين «الانتلجنسي» فقد وصف القرآن المجيد وصفاً رائعاً ما زال الوعاظ في المساجد يرددونه حتى الآن رغم إصراره على الكفر ونفي عن «الصادق الأمين» التهم التي رماه بها سفهاء قريش مثل الجنون والسحر والكهانة والشعر وطرح أدلة أثبتت أن لديه مخزوناً معرفياً وفيراً.

ومن بين ما أسس عرف قطع يد السارق فهو من ناحية لحام ومن أخرى توثرة وسعة فطفت عليه موجبات عمالته فاستغلها لحماية ماله الوفير. الذي شهد له به القرآن المجيد «ذرني ومن خلقت وحيدياً» وجعلت له مالاً ممدواً ٧٤/١١ ومن ساعتها غداً قطع يد السارق سنة متتبعة في قرية القدسية «مكة» وبظهور الإسلام أصبح حدأً أئى عقوبة جنائية أو جزائية «والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما» ٥/٣٨.



لا أدل على أن «دين الآباء» لا يعني عبادة الأصنام. بل تقاليد الآباء العظام «البطاركة» هو ما تفوته به أبو طالب عم المقصوم» -س- وهو على فراش الموت. (قال رسول الله- ص : يا عماه قل لا إله إلا الله كلمة أشهد لك بها عند الله، فقال

أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية وكانتا حاضرين- يا أبا طالب أترغب «ترى» عن ملة عبد المطلب ؟ فلم يزل رسول الله -ص- يعرضها عليه ويعيد تلك المقالة حتى قال له أبو طالب آخر ما كلامهم : هو على ملة عبد المطلب(٢).

وفي معاجم اللغة -مللة هي الدين فعلى ملة عبد المطلب أى على دين عبد المطلب .
فلم اذا قال أبو طالب وأبو جهل وعبد الله بن أبي أمية «والأخيران من المزابة الجحاجج أى الصناديد» على ملة عبد المطلب ولم يقولوا أى واحد منهم: بل على عبادة هبل واللات والعزى.

لم تأت هذه الجملة على ألسنتهم اعتباطاً أو خطأ عشواء أو رمية من غير رام .
كلا بل لها مضمون سوف نكشف عنه سنة سنة(٣) ونحن نمضى في تحرير هذا المقال.



عندما حقق القرشيون انتصاراً ساحقاً في غزوة أحد اغتبط يهود أثرب وملا الفرج قلوبهم.

فذهب اثنان من متنفذיהם على رأس وفد من سبعين (٤) راكباً يهونونهم .
هذا من ر جانب ومن جانب آخر يحرشونهم على «صاحب المقام المحمود» محمد عليه وعلى آله السلام» وتبيّعه ويعقدون معهم حلفاً هجومياً يستأصل شاقتهم فهم عدوهم المشترك:

(.. عن مكرمة قال : جاء حبي بن أخطب وكعب بن الأشرف إلى أهل مكة فقالوا لهم: أنتم أهل الكتاب والعلم القديم فأخبرونا عنا وعن محمد ، فقالوا : ما أنتم وما محمد؟.

قالوا: نحن ننحر الکرماء(٥) ونسقى اللبن على الماء ونفك العانى ونصل الرحيم، وديننا القديم ودين محمد الحديث ، قالا بل أنتم خير منه وأهدى سبيلاً (٦) هنا نجد أن زعماء قريش لم يذكروا عبادة الأوثان والأصنام بل عدداً ما ورثوه من تقاليد عن الآباء ونلاحظ أنها تدخل من بوابة الأخلاق لا العقيدة.

فلم فعلوا ذلك؟

لأنهم ظنوا أنهم لو وضعوا أوثانهم مقابل التوحيد الذي يدعو إليه من جعلت له الأرض مسجداً وطهوراً أى محمد عليه وأله السلام لخذلهم اليهود لأنهم أيضاً موحدون(٧)

إنما من المرجح من وجهة نظرنا أن تمسكهم به «دين الآباء» يرجع لأسباب اجتماعية ونفسية إذ يعتقدون وكذا سائر القبائل -أنه الحزام أو المدماك الذي يشد وحدة القبيلة وينعها من النزول في غيرها وخاصة إذا اقترب الدين الحديث بتأسيس دولة تتصدر القبيلة فيها وذلك لاختلاف النظام القبلي عن نظام المؤسسات التي تمترس عليه الدولة.



إن تناول أسباب التحاضريض «الدوافع» التي تحدث على الحرص على «دين الآباء» سوف يخرجنا عن صلب السياق إذ أن المهم لدينا الآن هو أن هذا النسق قديم وقد سجله القرآن العظيم في آيات كثيرة منها.

قالوا بل تتبع ما وجدنا عليه آباءنا ٣١/٥١ «إنا وجدنا آباءنا على أمة وأنا على آثارهم مقتدون ٤٢/٢٢ وما زال سارى المفعول ومستمرا حتى يومنا فكلما ظهر فكر أو رأى أو تفسير أو تنظير .. حديث(٨) قاومه أصحاب «دين الآباء» بشراسة وحاربوه بعنف وقاتلوه بخراوة . بيد أن المنادين به «الحديث» يعرفون جماعه بل وتقعده وحسبوا له حسابه ووطنو أنفسهم على تحمل نتائجه.

إن حملة شعار «دين الآباء» يتهمون أنهم أقوىاء متلماً ظن أسلافهم سادة قريش - ويصدقهم الكثيرون ومنهم من يشيرون على رجال «ال الحديث» بالتراجع والانهزام والتسليم وأن هذا عين الحكمة . ومحض الصواب

في حين أنهم يرون العكس ويردون أنها ليست قوة وإن اتخذت مظهراً وأن أربابها في قرار نفوسهم يعرفون . لأنهم طالعوا أقاصيص سابقيهم أو سلفهم وعلموا أنهم في نهاية الشوط مهزومون وفي آخر المطاف مخنوتون وعند آخر محطة في المضمار سوف يتهاون.

وان الفوز والظفر دائمًا وحتماً لـ دعاء «ال الحديث» كما انتصر «الهادى البشير عليه وأله السلام» على أئمة الكفر وصناديد الشرك العاضين بالنواجد عليدين الآباء .



ولا عجب «فلق تجد لسنة الله تبديلا» ٦٢/٣٢، «ولن تجد لسنة الله تحويلا» .٤٣/٣٥.

الهوامش

- ١- في كتابات لنا سوابق أوضحنا أنها مواصفة أيديولوجية قصد منها التنفير والتغيير.
- ٢- (السيرة النبوية) لابن اسحق -المجلد الأول- تحقيق طه عبد الرؤوف سعد وآخر صن ٣١ الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ -طبعة أخبار اليوم.
- ٣- عربية فصيحة.
- ٤- السبعون عشرة أضعاف السبعة وهو العدد المقدس في الديانات الإبراهيمية الثلاث وهذه انتقالية من الديانات السامية القديمة.
- ٥- الناقلة الحية ذات السنام الضخم وهي أعلى النوق ثمناً.
- ٦- (أسباب النزول) لواحدى النيسابوري -ص ١٠٢ -الطبعة ١٣٦٨ هـ / ١٩٦٨ مؤسسة الحلبي ب مصر.
- ٧- واضح من عجز الخبر أن اليهود فضلوا دين قريش كيما يستعملوهم لفهم ولعقد الحلف معهم.
- ٨- نذكر هنا بوصف القرشيين ل دين محمد- عليه وآله السلام- بأنه دين «Hadith».

إن الاعتراف الكامل بالإسلام ديناً وبيهود عليه السلام نبياً يهدى البناه اللاهوتي للكنيسة من أساسه، هذا هو السبب «الكامن» وراء ما يبيو انحيازاً غير مفهوم ضد الإسلام والمسلمين . لكن علينا ألا نفصل «اللاهوت» عن السياسة والاقتصاد، أى عن التاريخ والمصالح من منطلق هذا التاريخ وعلى أرض المصالح أمكن للفاتيكان أن يميز بين يهود اليوم وبهود «الناصرة» زمن المسيح عليه السلام ، فبراً يهود «اليوم» من دم المسيح عليه السلام وأصدر وثيقته بذلك، لكنه ومن على أرض المصالح ، التي تجمع تاريخ الكنيسة والفاتيكان بتاريخ الاستعمار منذ القرن الثامن عشر، لم يفصل بين يهود «اليوم» وبهود التاريخ، فأصبح الحق التاريخي لليهود في فلسطين عامه وفي «القدس» خاصة قضية مسلماً بها هل نطالب «الفاتيكان» بالاستقال مع نفسه شيئاً أن يلغى وثيقة تبرئة اليهود من دم المسيح ، وإنما أن يعلن أن يهود اليوم - الذين لم يقتلو المسيح - لاحق تاريخياً لهم ولحق سياسياً ولا دينياً لا في فلسطين ولا في القدس؟.

الفرز من الإسلام، الحقيقة والأيديولوجيا

د. نصر حامد أبو زيد

تعلمون إن موضوع «الفرز من الإسلام» يغرى إغراء لا يقاوم بتركيز النقد على «الغرب» وعلى إعلامه لما يحرض عليه من إبراز الصورة السلبية للإسلام والمسلمين فقط، بل لكل ما هو عربي بصفة خاصة واسمحوا لي أن أصارحكم بأنني أحس أن من الواجب علىّ أن أقاوم هذا الإغراء . إن نقد «الموقف الإعلامي الغربي من العرب والمسلمين عموماً هو فرض عين ، ولكن مكانه يجب أن يكون الإعلام الغربي ذاته . أما وأنا أتحدث إلى جمكم هذا «فمصارحة النفس ونقد الذات أولى بنا . فلا أحب أن ينطبق علينا قول السيد المسيح عليه السلام:

إن أحدكم ليرى القشة في عين أخيه ولا يرى الخشبة في عين نفسه . لهذا سأبدأ بالإشارة السريعة إلى وجود قوى اجتماعية وسياسية في العالم

الإسلامي تسعى للسلطة مستخدمة فزاعة «الإسلام» ورافعة شعاره ومن المؤسف أن وصم الإسلام بصفة الإرهاب بدأ هنا في عالمنا العربي: فعل ذلك من يمارسون باسم «الإسلام» وصاية على العقول والقلوب، وفعله بالمثل من أرادوا مقاومة تلك الوصاية بالتهوين من شأن العقائد والأديان في الحياة الاجتماعية والسياسية. وفي هذا السياق المترتب اختلط الحال بالتأليل ، وصارت المطالبة بالفصل بين « الدين » و« السلطة » - فصل السلطات - تفهم بوصفها دعوة لإنقاص الدين عن الحياة ، وشتان بين الأمرين . الأخطر من ذلك أنه لم يعد ثمة مجال مفتوح لمناقشات فكرية حررة تتناول تاريخ الفكر الديني تناولاً نقدياً ولا كيفية تكون مدارسه واتجاهاته في السياق التاريخي والاجتماعي بطريقة تثري واقعنا الفكري المهترئ إلى أبعد الحدود ، خاصة في مجال الأفكار والمفاهيم والتصورات ، حيث تحولت بعض التصورات والأفكار التاريخية للأسف الشديد إلى ثوابت لا يجوزاقرابة منها .. لا أريد أن أفتح الجروح بذكر الأمثلة ، إذ تكفيني في هذا المجال الاشارة .

طال هذه المقدمة ، ولكنني أراها ضرورية للانتقال إلى تحليل خوف «الغرب» من الإسلام ، راجياً ألاً أسقط في هوة المبالغات التي تغري الكثرين بالسقوط فيها . لقد اتاحت لي ظروف الإقامة في الغرب خلال السنوات الست الأخيرة القدرة على النظر من بعيد بما تفضي إليه من رؤية الصورة كاملة . هذا بالإضافة إلى القدرة على إدراك التفاصيل في هذا «الغرب» الذي يحتوي مكانياً ، لذا أجد من الضروري التمييز في «الغرب» بين مفهومين : مفهوم «الحضارة» ، التي نسبتها للغرب ، وبين مفهوم «الغرب السياسي» . يشير المفهوم الأول - الحضارة - إلى مجموعة من المنظومات - لا منظومة واحدة فقط - الفلسفية والفكرية والثقافية والسياسية . بالإضافة إلى المنظومات - مرة أخرى بصفة الجمع لا بصفة المفرد - الجمالية المعمارية والفنية والأدبية . أما المفهوم الثاني ، مفهوم «الغرب السياسي» ، فيشير إلى مجموعة النظم السياسية والأيديولوجيات الحاكمة في بلدان أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية وهي نظم وأيديولوجيات لا تمثل بالضرورة قيم الحضارة الحديثة ، كما أن السياسات التي تتبعها تلك النظم السياسية قد لا تعكس في أدائها وتوجهاتها مقتضيات السلوك الحضاري المثلى .

ولاشك أن مواقف «الغرب السياسي» تحكم علاقات المصالح ، التي هي امتداد

مرحلة الأطماء الاستعمارية في سياق جديد هو سياق «السوق العالمية الموحدة». يتجلّى هذا في عمليات الاعتداء على حدود السيادة الوطنية، والتي بلغت ذروتها في زرع الكيان الصهيوني في أرض فلسطين ومحاولات تفريغها من أصحابها الأصليين. وما يزال مسلسل الاعتداءات مستمراً ضدّ شعب العراق وأطفاله وهذا يعني أنّ عداناً لذلك «الغرب السياسي» ليس أمراً نختاره أو نرفضه ، بل إن الرفض والإدانة يمثلان أضعف الإيمان في سلوكنا الوطني ومن مهام المثقف الوطني لا يكفي بإدانة هذا الغرب «السياسي» بكل الوسائل والأدوات المتاحة لديه ومن خلال كل المنابر الفكرية والثقافية والإعلامية شرقية وغربية، بل عليه أن يعلن ويكلّل وضوح كذلك إدانته لأنظمة الحكم العربية التي تحمل نفس الدرجة من المسؤولية عن هذا الوضع المتردي. ليس من الحكمة أن نخلع الجرس في رقبة «الغرب السياسي»، مبرئين من المسؤولية حكامنا الذين يقهرون الشعوب، فيغلقون أبواب التصدي الشعبي للعدوان ومقاومته إغلاقاً تاماً.

بعد هذا التوضيح وتحرير المفاهيم والمصطلحات لا أظنّ أنني في حاجة إلى تأكيد أنّ موقفنا من «الحضارة الحديثة» يجب أن يكون موقف التفاعل النقدى الخالق وهو موقف لا يقوم على التعامل معها من منظور براجماتى يعتمد على استيراد المنتج التكنولوجى مع تجاهل أساسه العلمي والمعرفى ، كما أنه لا يقوم على استيراد «النظريات» العلمية والمعرفية ومحاولة فرضها بطريقة ميكانيكية آلية في بيته ومناخ مجالات مغايرة للبيئات والمجالات التي أنتجتها . لقد تم تطبيق نهج «الاستيراد» خلال عقود طويلة في القرنين التاسع عشر والعشرين - ولم ينجح لا في تأسيس مجتمع علمي بولا في خلق مناخ للفكر العلمي والعلة في تقديرى أننا نظرنا إلى تفوق «الغرب» طوال هذين القرنين بوصفه تفوقا في العلم والتكنولوجيا ودهما ، دون مجال الفكر والفلسفة والثقافة والفنون ، أي دون مجال النشاط الروحي الذي تصوّرنا أن رصيدها التراشى منه يتقدّم على إنجاز الحضارة الحديثة فيه. وما تزال دعوات «النهوض» و«التقدم» التي تتردد الآن وبقوّة ترتكز على قضيّاً «العلم» و«التكنولوجيا» بمعزل عن تطوير علومنا الإنسانية بالتفاعل مع إنجازات مناهج الإنسانيات في الحضارة الحديثة.

إن الإنسان المنتج للعلم والتكنولوجيا هو الإنسان الذي تم تكوينه معرفياً منذ مرحلة الطفولة بتدريبه على أهمية إثارة الأسئلة وتقليب الاحتمالات الممكنة ، والتفكير في الأرجوحة قبل اختيار أحدها ، والاستعداد للتخلص من قناعاته إذا ثبت له عدم دقتها والأهم من ذلك كله عدم قبول الرأي الشائع دون فحص ونقد . إنه منهج «الشك» والمراجعة ، وإعادة النظر ، لا منهج «الإيمان» الأعمى «واليقين» الزائف و«الطاعة» و«التقليد». كم تحتاج للتعلم؟ سؤال لا ينبعي أن نخرج من إثارته ، فلو لم يتعلم «الغرب» من سبقوه في مضمون الحضارة ما استطاع أن يكون ما هو عليه الآن.

والعجب أننا ، رغم كراهيتنا للغرب السياسي بحكم ممارساته العدوانية ضد مصالح شعوبينا ، مشغولون دائماً أشد الانشغال بصورتنا في عيون إعلام هذا الغرب وهذا أمر يصيّبنا بدهشة تصل أحياناً إلى حد «السخرية» ، إذ يجب أن يكون شاغلنا الأساسي وهمنا الأول تكوين صورة صحيحة عن أنفسنا وعن أحوالنا . ويثير هذا في نفسي سؤالاً يصعب أن أجده : لماذا لا ينشغل الغربيون بصورتهم عندهما ، ولا يهتمون قليلاً ولا كثيراً بتصوراتنا عنهم ونظرتنا إليهم؟ أليس في هذا «الوسواس» داخلنا ما يعد عرضاً من أعراض مرض عضال ، لا أدرى له اسماً في «علم النفس الاجتماعي»؟ إننا مثل الحبيب «المهجر» المشغول أبداً بما يفكر فيه الحبيب الذي هجره ، وهي صورة تمثيلية تشخيص إشكالية علاقتنا التاريخية بالغرب في القرنين الأخيرين : إنه المعلم المتقدم الذي يتحتم أن نتعلم منه من جهة وهو كذلك العدو المعتدى الغاشم الذي يتّحتم أن نحاربه ، وإن بنفس سلاحه ، من جهة أخرى.

لقد وصلت نظرية «المؤامرة» إلى حد أن صارات «المفسرة» ، التي تحمي الذات من تحمل أية مسؤولية بإلقاء التبعة كلها على الآخر ، فتم تصوير الغرب باحثاً عن عدو استراتيجي بديل عن الشيوعية فوجد عدوه هذا في «الإسلام» . والحقيقة أن نظرة الغرب للإسلام ليست نظرة استاتيكية جامدة كما يتوهّم البعض ، فهناك من جهة أولى الاختلاف بين النظرة «الأوروبية» في مجملها وبين النظرة «الأمريكية» للإسلام . بدأ الاهتمام الأمريكي السياسي الإعلامي بالإسلام مع نجاح الثورة الإسلامية في إيران ، وما قارنه من احتلال السفارة الأمريكية في طهران واحتجاز عدد من الرهائن وفشل المحاولات العسكرية الأمريكية لتخلص الرهائن وتحرير السفارة . لذلك من السهل أن

يلاحظ الباحث أن الهاجس السياسي هو العامل المسيطر في الرؤية الأمريكية للإسلام وهو الهاجس الذي أثمر نظرية «صدام الحضارات» وهي نظرية ازعجت منها الدوائر الأولية بنفس القدر الذي أزعج المسلمين مع اختلاف أسباب الانزعاج ، هذا الهاجس السياسي يجعل السياسة الأمريكية لا تهتم كثيراً بطبيعة الأنظمة التي تتعامل معها وتساندها ،مهما كانت راديكاليتها الإسلامية، ما دامت لا تهدد مصالحها . ولا بأس في هذه السياسة من التعاون مع «عمر عبد الرحمن» أو «أسامي بن لادن» أو غيرهما من القيادات في لحظة معينة، ثم طلب «الرقب» - حياً أو ميتاً - في لحظة أخرى وفي جميع اللحظات يبقى خط الاتصال مفتوحاً مع بعض القيادات والتنظيمات تحسباً لاحتمالات مقاومة،مهما كانت مستبعدة. هذا من جهة ومن جهة أخرى يقوم خط الاتصال المفتوح هذا - بين دوائر صنع القرار في أمريكا وبين القيادات الإسلامية الراديكالية، بل والإرهابية - بدور «الفزاعة» لتهييد لأنظمة السياسية في العالمين العربي والإسلامي لضمان استمرار سيرها على النظام الأمريكي المستقيم. إنه نفس الدور الذي يقوم به «في إبقاء الوضع الحالى في الخليج»، ولو كان الثمن هو القضاء على العراق باكمله شعباً وتاريخاً وتراثاً وحضارة.

أما نظرة «أوروبا» للإسلام فهي ، وإن بدأت سياسية استعمارية منذ الحروب الصليبية ، قد بدأت تتتخذ الأن مسارات متعددة إعلامياً وسياسياً وأكاديمياً من الناحية الإعلامية من الضروري لا ننسى أن الإعلام ، مرئياً كان أم مسموعاً أم مقروءاً ، أكثر اهتماماً بالرجل الذي «يعقر» الكلب منه بالكلب الذي يعقر الرجل . لهذا يجب أن نتفهم أن «قبلة» «تفجر أو «سائحاً» يقتل ، أو «قبطياً» يهاجم ، أو طفلة تخنق ، أو حكماً قضائياً يصدر ضد كاتب أو فنان ، أمر يثير شهية الإعلام في كل مكان للتحليل والتعليق واستدعاء الخبراء للإدلاء بآرائهم إلخ. هناك بالقطع مبالغات وتضخيم في عرض الحديث أو الواقع ، لكن أصل الحديث أو الواقع من صنعتنا نحن، ومن نتاج الواقع لا نتأمله تأملاً نقدياً كافياً . الصورة الإعلامية ، المبالغ في إضافة الرتوش اللونية لها ، ليست في نهاية المطاف اختلافاً من عدم . هل يمكن أن يتحمل المسئولية كاملة ناقل الخبر ، مهما بلغ في تصويره وإبراز جوانبه السلبية وتضخيمها ، دون الفاعل الأصلي والمجرم الحقيقي؟ هل صنع الإعلام الغربي كل هذا الجنون والحمقات التي تمارسها

«طالبان» ضد المرأة والفنون باسم «الإسلام»؟.

هذا عن الإعلام الغربي، فإذا انتقلنا للسياسة، فعلينا أن ندرك أن النظرة السياسية الأوروبية للإسلام تختلف من بلد إلى بلد، خاصة في سياق تزايد أعداد المهاجرين المسلمين، لأسباب متباعدة، في بلدان أوروبا هناك «مخاوف»، بعضها مشروع وبعضها مبالغ فيه (فرنسا وألمانيا على سبيل المثال)، كما هناك محاولات لفهم الهدى والتعامل مع الحقائق (هولندا وإنجلترا وغيرها). أما النظرة الأكademie في المؤسسات والجامعات الأوروبية فهي في جملتها تقدم خدمة للإسلام وتاريخه وتراثه تستحق لا التقدير والاحترام فقط، بل تستدعي التعاون بارسال المبعوثين وتبادل الأساتذة. هل أقول إن مؤسساتنا العلمية تحتاج في مجال الدراسات الإسلامية إلى أن تعود إلى تقاليدها في بداية القرن، الذي شهد تفاعلاً أنتج لنا علماء من طراز «مصطفى عبد الوارد» و«أمين الخولي» و«شلقوت» و«دران» و«عبد الحليم محمود» وهو القرن الذي شهد ترجمات لأهم أعمال المستشرقين في مجال الدراسات الإسلامية، فضلاً عن مشروع ترجمة «الموسوعة الإسلامية». «عما قريب ستتصدر «الموسوعة القرآنية» أيضاً، وفي مجلس تحريرها ثلاثة من المتخصصين العرب، منهم كاتب هذه السطور، فهل تترجم أم تهمل كما أهملت الطبيعة الحديثة من «الموسوعة الإسلامية» التي وصلت إلى حرف A في مجلدها العاشر؟.

ليس معنى ما أقول إن «التعصب» الذي حلله تحليلًا علميًّا رصينا «إدوارد سعيد» في كتبه العديدة، قد صار من تراث الماضي. فيما يزال التعصب يحتل مساحات في المؤسسات الأكademie والإعلامية وفي دوائر صنع القرار. لكن علينا أن نقر بشجاعة أن «التعصب» سمة مشتركة بيننا وبينهم. على المستوى الفكري دافع رجال الدين عندنا - الإسلامي والمسيحي معاً - عن الاضطهاد الذي تعرض له المفكر الفرنسي «روجييه جارودي» حيث حاكمته المحاكم الفرنسية بسبب كتاب أصدره. إزاء هذه المحاكمة نهض رجال الدين عندنا دفاعاً عن حرية الفكر والتعبير، والمفارقة أنهم في أحسن أحوالهم صامتون صمت الموت إذا كان مثل ذلك يحدث عندنا. نفس المفارقة لمستها هنا في الدوائر الأكademie الغربية، صمت غير حكيم إزاء محاكمة «جارودي» وصخب غير عادي إزاء «مصادر» كتاب أو أغنية أو محاكمة كاتب في العالم الإسلامي.

وгин اقتربت على الزملاء في جامعة ليدن «أن نقوم بتنظيم «ندوة حوار» ندعوا إليها كلًا من «جارودى» و«إدوارد سعيد» وأحد حاخامات اليهود الهولنديين لم يجد اقتراحى أذانًا صاغية. همس بعض الزملاء أن ذلك قد يحدث رد فعل شعبياً جاهيرياً لا تحتمل عواقبه ضد الجامعة . لم أتردد أن زقول: عليكم إذن أن تتواضعوا في الادعاء، بأن «الحرية» الأكademie في الغرب أحسن حالا منها في العالم الإسلامي.

ومن واجبى أيضًا أن أتبه من خلال منبركم هذا إلى أن نقد الغرب لا يجب أبداً أن يكون تكتة لتبرئة الذات وتمجيدها تمجیداً رائفاً، كما هي الحال في خطابنا الإعلامي واسمحوا لي أن أختم مشاركتكى -التي طالت أكثر مما أريدى- ببيان ما أتصوره أهمية أن تتصدى الأديان جميعاً لمواجهة خطر الدين الجديد المسمى «عولمة».

إن وصف قوانين السوق في إطار «العولمة» بأنها قوانين يفرضها إله جديد اسمه «السوق» ليس مجرد تعبير مجازي من صياغتي الشخصية، بقدر ما هو «وصف» كاشف للمستور والمسكوت عنه في خطاب «العولمة» السياسي والثقافي . في الخطاب السياسي بشرنا البعض -أعني «فوكوياما»- ب نهاية التاريخ وانتهاء التاريخ وانتهاء عصر الأيديولوجيات ومفهوم «نهاية التاريخ» مفهوم ديني بامتياز ، بمعنى أن كل الأديان في مرحلة انتهاقها على الأقل تتطلق من الزعم بأنها البشرة الأخيرة بخلاف البشر من عذابهم ومعاناتهم، هكذا بشرنا «فوكوياما» بأن التاريخ قد وصل إلى رحلته الأخيرة واستقر ، ولم يعد أمام البشر- كل البشر- من سبيل إلا الراحة في جنة «الرأسمالية» والتمتع بنعيم «الديمقراطية» على النمط «الأمريكي» . لكن بشارة «فوكوياما» ظلت في إطار «الأيديولوجيا» ولم ترق أبداً إلى مستوى «اليوتوبيا» الدينية وما يرتبط بها من مفاهيم مثل اقتراب يوم «الدينونة والحساب» ، الذي فيه يتحقق العدل المطلق تعويضاً لن أصحابهم الضييم والظلم في هذه الحياة . ليس في دين «العولمة» تعويض قادم في عالم آخر، ليس فيه أى عزاء ولو محتمل للضعفاء والمنكسرین ولأن «الأيديولوجيا» لا تكف عن إعادة إنتاج نفسها فقد تطورت «بشرة» فوكوياما ، التي تبدو على السطح متفائلة، إلى «نبوعة» سوداوية متشائمة عند «هانتجتون» في مفهوم «صراع الحضارات» . لكن أية حضارات تلك التي تتبأ «هانتجتون» أن الصراع بينها

سيكون سمة القرن الحادى والعشرين؟ إنها كل الحضارات القديمة التى حلت محلها حضارة «الغرب» الحديثة، إنها حضارات «آسيا» - الصين واليابان على وجه الخصوص - و«أفريقيا» و«الإسلام» تحديداً لم يقل «هانتجتون» شيئاً عن «الأصولية المسيحية» في أمريكا نفسها، ولم يذكر كلمة واحدة عن «الأصولية اليهودية» في «إسرائيل»، وكلنا الأصوليين تستعيدان بهاءهما ومجدهما في عادة واضح لقيم «الحداثة» وعلمانيتها. لم يذكر «هانتجتون» شيئاً من تفاصيل المشهد، لأنه كان مشغولاً بأمر واحد محدد: خلق عنو «جديد»، يحل محل «الشيطان الأحمر»، ولكن «ال العدو الجديد» «شيطاناً أصفر» أو «أخضر» أو «شيطاناً بلا لون»، فالمهم أن يقمع «الشيطان» بدور «القناع» الديني لإبراز وجه «المخلص» الأمريكي خصوصاً و«الغربي» على وجه العموم.

هكذا تطرح «العولمة» نفسها سياسياً وثقافياً وحضارياً بوصفها «الدين» الأخير، الدين الذي يمثل فيه «السوق» وشرعيته الإله الجديد المسلح بـ«أداة القوة» التي لا تقهر أبداً، ويستحيل على البشر مقاومتها أو التفكير - مجرد التفكير - في التصدى لجبروتها. إنها قوة قادرة على كل شيء، فسلاحها المال والعلم والسلاح، إنها القوة التي تنتهي بسهولة فائقة كل الخصوصيات. أدوات هذا الدين للسيطرة هي «حرية التجارة وتدفق المعلومات»، ومواعظه هي: «الديمقراطية» و«حقوق الإنسان» على المقاييس الغربي الأمريكية بصفة خاصة. أليس من الطبيعي وقد صارت «العولمة» ديناً، أن يسعى البشر لمقاومة هذا «الدين» الجديد، والتصدى للإلهوتة المضرر بـ«استدعاء» «الدين» في كل الثقافات بلا استثناء، حتى داخل المجتمعات التي صنعت «الحداثة»؟ أليس الأديان التي جربتها البشرية خيراً ألف مرة من هذا الدين الجديد، دين العولمة؟ إن الله الأديان التي عرفتها البشرية على امتداد تاريخها الطويل ليست في قسوة وفظاظة إله «العولمة» - السوق - لأنها على الأقل تجمع بين صفات القوة والقسوة و«الجلال» من جهة، وبين صفات «الجمال» والرحمة من جهة أخرى. على العكس من ذلك ليس في صفات إله العولمة جمال أو رحمة، إنه إله قد من قوانين صارمة صنعتها الأقوباء، إنه تجسيد سياسي واجتماعي واقتصادي وثقافي لأسطورة مصاصي الدماء «دراكولا» مع

فارق أساسى أن مصاص الدماء فى الأسطورة لا ينشط إلا ليلاً ليتصيد ضحاياه ، بينما إلا العولة نشط أبداً على مدى الأربع وعشرين ساعة «الكونية»، حيث لا تميز بين ليل أو نهار أو بين نوم أو يقظة . فارق آخر لابد من الإشارة إليه بين إلا العولة مصاص الدماء وبين مصاص الدماء العينى «إله السوق». كان مجرد تركيز حزمة من الضوء أو رفع عالمة «الصلب» كافياً لدفع مصاص الدماء فى الأسطورة للهرب . ولم يكن قتله يحتاج لأكثر من دق وتد خشبي فى صدره . مصاص «العولة» ، على الجانب الآخر ، لا تخيفه كل أضواء العالم ولا تصيبه كل الصليبان بدور ولو خفيف . لقد استوعب مصاص الدماء الجديد تجربة سلفه فى الأسطورة ، فصار هو صانع الأنوار ومنتج الصليبان فكيف يخاف منها؟ أكثر من ذلك أنه إلا العولة . مثل سلفه قادر على إعادة إنتاج نفسه فى أشكال وصيغة وملامح لا تخلو من جاذبية «شيطان لا تؤثر فيه التراتيل ولا عبارات الاستعاذه ولا الآيات القرآنية وهكذا تصبح دعوات «العودة إلى الدين» فى كل الثقافات - مسيحية ويهودية وإسلامية وبوذية وكونفوشيوسية .. إلخ . أشبه بمحاولات استخدام «الصلب» أو تلواه «العواوين» لمقاومة شر الشيطان الجديد ، إلا العولة . إنها أسلحة قديمة تحصن إلاه الجديد ضدها مستوعباً إياها فى بنية لاهوته . ليس معنى ذلك أنه لا سبيل لمناجزة الشيطان بأسلحة دينية ، بل إن سبيل المنازلة الممكن لا يكفى فيه استخدام الأسلحة الدينية التقليدية ، بل لابد من شحد أسلحة دينية لم يتحصن ضدها إلا «العولة» بعد .

لا ينبغي أن ننخدع بالتطابق الذى سرّه «هانتجتون» فى خطابه بين «الأديان» و«الحضارات» ، فجعل من كل دين «حضارة مستقلة متميزة» ، بهدف إبراز حضارة الغرب ، لا بوصفها بناء تركيبياً للحضارات الإنسانية ، ومجرد محطة من محطاتها أراد «هانتجتون» أن يجعل من حضارة الغرب «نهاية التاريخ» ، وأراد أن يجعل من «الثقافات» و«الأديان» - التي أصر على اعتبارها حضارات - خطراً على الإنسانية وحين استبعد من تحليله الأصوليتين المسيحية واليهودية من دائرة «الأديان» الخطرة كشف عن «الأيديولوجيا» الدينية المقنعة بقناع سياسى . لا يختلف خطاب «هانتجتون» هنا عن خطاب المتعصبين المسلمين إلا فى بنية السطحية فقط .

ماذا عن خطاب الكنيسة المسيحية الغربية ممثلة في «الفاتيكان»؟ ولدى أي مدى

يعتبر خطاب الفاتيكان الذي ينفي صدى خطاب «العلوقة» السياسي الثقافي من الملافتة للنظر والجدير بالإشارة أن الفاتيكان رغم اعترافه منذ المستينيات في وثائقه البابوية الرسمية بالإسلام ديناً إليناً فإن الاعتراف ببنيواداً محمد، أمر غائب تماماً . لا يكاد اسم «محمد» عليه السلام يذكر في الوثائق الرسمية للفاتيكان ولا في الخطاب البابوية الكثيرة . تعرف «المسيحية» باليهودية وتعرف بالقطع بنبوة «موسى» عليه السلام وهذا أمر تفرضه حقائق التاريخ الديني فمن الطبيعي كذلك وقد اندمجت التوراة والأنجيل في بنية «الكتاب المقدس» أن تصبح اليهودية جزءاً من التراث المسيحي وهو اندماج من طرف واحد، أى أن اليهودية لا تقر بال المسيحية ديناً ولا تعرف بنبوة عيسى عليه السلام «الإسلام» هو الدين الجامع، أى الدين الذي لا يستبعد أياً من اليهودية أو المسيحية ، ويقر بنبوة «موسى» و«عيسى» عليهما السلام ويعتبر الاعتراف بهما وتقديرهما واجباً دينياً على كل فرد مسلم. لنفترض إذن أن الدافع ليس تسamus المسلمين بقدر ما هو حقيقة أن الإسلام هو الدين التالي زمنانياً وهو «خاتم» الأديان.

ورغم كل الصياغات التبليغية لحوار الأديان وحوار الحضارات، فعلينا من منظور لاهوتى / سياسى ألا تتوقع من «الفاتيكان» أن يتعامل مع «الإسلام» كما يتعامل مع «اليهودية» ، ولا يجب أن تصيبنا حالة من «الفرغ» حين يعتذر الفاتيكان لليهود عن الاضطهاد الذى أصابهم ولا يعتذر للمسلمين عن جرائم «الحروب الصليبية». إن الاعتراف الكامل بالإسلام ديناً وبمحمد عليه السلام نبياً يهدى البناء اللاهوتى للكنيسة من أساسه، هذا هو السبب «الكامن» وراء ما يbedo انحيازاً غير مفهوم ضد الإسلام والمسلمين . لكن علينا ألا نفصل «اللاهوت» عن السياسة والاقتصاد، أى عن التاريخ والمصالح من منطلق هذا التاريخ وعلى أرض المصالح أمكن للفاتيكان أن يميز بين يهود اليوم وبهود «الناصرة» زمن المسيح عليه السلام ، فبراً يهود «اليوم» من دم المسيح عليه السلام وأصدر وثيقته بذلك. لكنه ومن على أرض المصالح ، التى تجمع تاريخ الكنيسة والفاتيكان بتاريخ الاستعمار منذ القرن الثامن عشر، لم يفصل بين يهود «اليوم» وبهود التاريخ، فأصبح الحق التاريخي لليهود فى فلسطين عاملاً وفى «القدس» خاصة قضية مسلماً بها . هل نطالب «الفاتيكان» بالاتساق مع نفسه ، فاما أن



يلغى وثيقة تبرئة اليهود من دم المسيح ، وإما أن يعلن أن يهود اليوم- الذين لم يقتلوا المسيح - لاحق تاريخياً لهم ولاحق سياسياً ولا دينياً لا في فلسطين ولا في القدس؟ . هل يمكن الآن أن نفهم أن للانحياز ضد المسلمين والعرب أسباباً أعمق من مجرد «الخوف من الإسلام»؟ وهل آن الأوان أن ندرك أن «الفزع من الإسلام» حالة منشأها العالم الإسلامي في ارتباكه التاريخي ، لكنها حالة أعطت مبرراً ليصوغ الغرب السياسي والإعلامي من خلال النفع فيها بالتهويل والبالغة أيديولوجية لتمرير دين «العلوّة» بمباركة الكنيسة والفاتيكان . ففي هذا الدين الجديد تحتل المسيحية الصهيونية موقعها ممتازاً . وفي القلب من هذا الموضع تصبح الدولة الصهيونية -دولة الاستعمار الاستيطاني- طفل العالم المدلل . هل يصلح إسلام الأحكام العسكرية- إسلام قانون العقوبات «الحدود» ومطاردة العقل واضطهاد المرأة والخوف من التساؤل- لواجهة تلك الأخطار؟ سؤال لابد من طرحة في نهاية مداخلتي . أرجو لكم التوفيق والنجاح من أعمق قلبي والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أرسل د. نصر حامد أبو زيد هذه الكلمة إلى مؤتمر القاهرة «معا ضد العنصرية» الذي نظمه مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان في الفترة من ٢٢-١٩ يوليو ٢٠٠١ ونشرها هنا بالاتفاق مع مركز القاهرة.

أدب ونقد

كتاب



النبيوة

بين

سلطانية الاشاعرة ولبيرالية المعتلة

أيمن عبد الرسول



في دراسة لكاتب هذه السطور ، أشاد بكتاب (على مبروك) ووصف الكتاب بأنه من أهم الكتابات التي نجحت في تطبيق البنية على تراث الاشاعرة والمعتلة فيما يخص مسألة النبوة (١).

ولأن الدراسة المذكورة كانت بمثابة تمهيد ، لإشكالية المنهج في التعامل مع التراث ، فها نحن نقف أمام نموذج تطبيقي ، يختص بدراسة مشروع فكري طموح ، لباحث ومفكر مصرى ، يدرس الفلسفة الإسلامية بأداب القاهرة ، أصدر كتابين وعدة أبحاث

ودراسات نشرت في مجالات علمية محكمة، ودوريات مهتمة بحياتنا الفكرية ، أما الكتاب الذي نحن بصدد الجدل معه، فعنوانه (النبوة من علم العقائد إلى فلسفة التاريخ محاولة في إعادة بناء العقائد) (٢) وهو يمثل بنية منهجية معددة ، متشابكة ، تعقد الواقع وتتشابك التاريخ والمثير للدهشة ، أن الكتاب المذكور من مرور الكرام ، فلا أحد توقف عنده ، ولا أشار إليه ، رغم أنه -فيما نزعم- يمثل نقلة نوعية ويكيفية ، في الكتابات الفلسفية التي تصدت للتعامل مع التراث ، متحصنة بوعي علمي راق بولغة عربية تستوعب منجزات ما بعد الحداثة وفي السطور القادمة ، لتأوقفة مع الكتاب ، لأنَّه يشير العديد من الإشكاليات ويحاول موضعية النبوة بوصفها فعلاً اتصالياً ، حوارياً ، بين الإلهي والإنساني ، فيتناولها كجدل صاعداً أولًا من الإنسان إلى الإله في نبوات النسق الأسطوري ، ثم كجدل هابط من الله للإنسان في نبوات النسق الديني ، ثم كيف حولها علم العقائد إلى مجرد نفي فيه الإنسان لصالح الإلهي والواقعي التاريخي ، صالح الميتافيزيقي التجريدي ، رحلة طويلة يقطعها الكتاب بين الجدل الصاعد والهابط ، والنفي الجدل للصعود والهبوط ، لعلنا لا نظلمه بعرضنا له.

٢

تمهيد وخمسة فصول، يتناول من خلالها مفكراً، الذي يمكن أن نصفه بالباحث /المفكر كل ما يتعلق بتاريخية وبنية (النبوة) في التاريخ، اللغة ، النسق الإنساني الأسطوري، النسق الديني الوحي، حاشداً كماً كبيراً من المراجع باللغتين العربية والإنجليزية ، يأخذنا في جولة موغلة في الجدة والجدة ، تصنع فيها الهواشم ، متتاً إضافياً ، لا غنى عنه لقارئ الكتاب إنها النبوة حين تختلف من العقائد ، لتنحصر في التاريخ والواقع الأرضي ، بتجلياتها المصرية، الأغريقية، الهندية، والصينية ، العبرية ، العربية قبل الإسلام ، ثم النبوات الوحيدة ، في الديانات التوحيدية الثلاث الكبرى.

في التمهيد يشير الباحث إلى أهم ما زودنا به القرآن الفائقان من مفهومات منهجية وإجرائية ، تتمثل في اللغة والتاريخ، وقد بدت هذه التوطئة في اللغويات الفلسفية ذات أثر بالغ في إسلام قياد الباحث منذ البدء وأعني أنها وجهته- منذ الوهلة الأولى- إلى رصد (الجوهرى والضرورى) القار خلف كل (مباشر) ومن هنا لم

يقنع الباحث- مثلاً بـ القول أن معنى لفظ (النبوة) هو (النبي) من نبأ أو نبا ، أو بالقول بأن معنى لفظة (الرسول) هو(المرسل) من رسول ، ذلك المعنى المعجمى الفقير الذى يتبدى أمام الذهن مباشرة ، بل أشر تركيز الانتباه على» المعنى المحايد ، أو الباطن فى البناء اللغوى«(٢).

ويحتل مفهوم (النسق) عند الباحث مكانة محورية ، حيث تحيل اللغة إلى نسق وجودى شامل: يستدعى التحسن بالتاريخية وهكذا يقول مفهوم النسق - وهو الخطوة التى لا غنى عنها لاتصال العلم وبناه .. إلى ضرب من ضروب الميتافيزيقيا المعادية للعلم ويبعد أن ذلك التناقض لن يفكة غير الاتجاه إلى مفهوم (التاريخ) الذى يكشف الآليات والشروط الإنسانية التى تتحكم فى عملية تكون النسق . وإن فابن (التاريخ) هو عامل الانتقال من صورية النسق إلى إظهار الفاعلية الإنسانية التى تحكمه . وهكذا تصنع الدراسة اللغوية فى مواجهة (نسق شامل) يطرح التاريخ (تحليلاً تكوينياً) له، فينتقل به من (تجريد) الميتافيزيقيا إلى(إنسانية) العلم، ومن هنا، فقط ، وجوب الانتقال من بحث ما تعنيه النبوة إلى بحث تاريخها ، أو الانتقال -في هذا الباب من الفصل الأول-حيث معنى النبوة -إلى (الفصل الثاني)-حيث تاريخها(٤).

فى الكلمة وحدها .. فى اللغة وحدها تصبح الأشياء وتكون(هيدجر) .

تتصدر هذه المقوله ،الفصل الأول من كتاب (النبوة) حيث يتناول فيه الكاتب الدراسة اللغوية للنبوة ، وأختلاف المصادر اللغوية والكلامية حول مصدر لفظة (النبي) بين احتمالين، الأول من (نبأ) ، النبوة ،الذى ،البشرة، أو من (نبأ) أي علا وارتفاع عن الأرض «كيف أثرت هذه الاختلافات اللغوية فى تشكيل النبوة كفكرة فى سياق أيدىولوجى يختلف عن الآخر ، فيرى الاشاعرة أنها من (النبيه) و(النبوة) ، ويرى المعتزلة أنها من (الرفعة) وهى مأخوذة من النبوة أو النبوة!!.

ولعل ثمة تساؤلاً ماكراً ألقى الأن على المؤلف واختيار عنوان كتابه حيث النبوة فيه مشقة من النبواه المعتزليه وهل بذلك علاقة بالانتصار المبدئى للفكرة الاعتزالية عن النبوة، أم أن الأمر مجرد (عنونه) لا علاقة لها بهذا الانحياز المذهبى الذى يرى فيه الكاتب أن المعتزلة انحرزوا للإنسانى والعقلانى ، مع العلم بأن كاتب هذه السطور يميل

ذلك مشاكلة جانبية لباحث محترم يحتم على ميروك.

- إن الاشتاقاق اللغوي للنبوة بالفعل ، أثر تأثيراً كبيراً في رؤية المعتزلة لإشكالية النبوة والرسالة ، حيث ترى المذاهب الاعتزالية أن النبوة جزءٌ على عمل ، وبالتالي يتدخل عنصر الاجتهاد البشري في تحصيل (النبوة) بينما هي النسق الأشعري نجد أنها اصطفاءٌ لها ، و اختيارٌ علويٌ لاتفاقٍ لبشرٍ لغيره ولا جمل!

ويأخذنا الباحث إلى المجال الدلالي للفظة (التي) والتطور الذي لحق بها، منهنما في تجلية البشرى /النسبة والمطلق /الغيبى فى المسألة، إلى حيث تذخر المصادر الأشعرية بالتمييز بين النبي والرسول، استناداً إلى النص الدينى الذى جاء فيه «ما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى» الحج (٥) فيتناولـ الباحثـ بالتشريع الدقيق بناء لفظة النبوة، والنبي والرسول فى النسق الأشعرى والاعتزالى، ثم متورطاً فى اللغة، يستعرض بناء لفظة النبي كلفظة أجنبية، من خلال اكتشافها فى اللغات العبرية، الإغريقية ، اللاتينية ، والإنجليزية ،ممهداً ، على نحو ما ذكرنا للفصل الثاني والحيوى والأهم ،والذى يعد أهم ابتكارات الكتابـ على كثرة مبتكراتهـ وهو(تاريخ النبوة) .

۳

يصح القول عن النبوة إنها ظاهرة كلية عامة، غير مخصوصة بشعب دون آخر، أو بعصر دون عصر، فهى ظاهرة شائعة على مستوى العالم بأسره، منذ أقدم العصور، ولذلك لا يوجد شعب لم يعرف ، بشكل أو بآخر بوجى الآلهة. فقد ظهر أناس ملهمون فى كل زمان ومكان تقريباً ، يؤمنون بأنهم وهبوا قوى روحية لم تتوافر لغيرهم⁽⁵⁾. ومن خلال هذا الفصل يتكتشف لنا البناء التاريخي للنبوة ، كما تشكلت عبر متعرجات الوعي البشري ومنعطف مخيالته فى التاريخ والحضارة، من مصر القديمة، حيث كان الكهنة هم الذين يقومون بالدور المهم فى توجيه الأقوال التى كان يدللى بها الآلهة. فالدور النبوى، منوط بالكافن ، وإن كان دوراً تفسيرياً أكثر منه نقلاً حرفيًا لما ينطق به الآلهة، حيث لم تكن طبيعة الآلهة نفسها تسمح بغير ذلك، وقد ظل هذا النمط من

استشارة الآلهة عن طريق الوحي قائماً في مصر لمدة ألفي عام ودون انقطاع ، وبأسلوب لم يتغير أبداً طوال هذه الفترة الطويلة .. ويبدو أن الإسلام نفسه أو وحده هو الذي وضع نهاية له.

أما نبوات الشرق القديم فقد أسهمت هي ونبوات الشرق الأقصى في تأكيد مقوله عمومية النبوة، وإن كان دورها سلبياً ، أو (لا فاعل) في الشرق الأقصى ، اعتماداً على باطنية الديانة (البراهيمية) حيث العودة بالإنسان إلى الروح الأولى وعلى هذا الأساس المعرفى للديانتين -الهندية والصينية - لم تكن ثمة حاجة إلى وسيط بشري أو غيره ، فتطور الديانتين كشف عن غياب مفهومي الوحي والنبوة ، إتساقاً مع طبيعة تصوّرها للدين والألوهية.

بيد أن النبوة عند الإغريق اتخذت معانى مغايرة ، فالنبي بوصفه مفسراً لإرادة الإله ، يظهر لأول مرة ، عند هومر ، ممثلاً في صورة بدائية بسيطة ، عندما دعاهم أخيل - دعا الإغريق جميعاً - لسؤال كاهن مقدس ، أو نبى ، أو حتى حالم أحلام ، لأن الحلم يأتي من زيوس ، عن سر غضب الإله أبواللو ، الذي تبدى في انتشار وباء الطاعون^(٦) وهذا ترتبط النبوة بالعراقة والكهانة والتنبؤ بالطالع في النبوة الإغريقية حتى صنع الإغريق آلة خاصة بالتنبؤ^(٧).

أما فيما يخص نصيب العرب من النبوة ، قبل الإسلام ، فيحاول مفكرونا حفروا ستكشاف نسق كامن وراء خلو الفكر العربي قبل الإسلام من أية ملامح تنظيرية دالة ، فيتناول بالتحليل البنيوي كل المظاهر التي يمكن أن تؤدي إلى النبوة ، عند العرب ، من أنساط تحيل إليها مثل الكهانة والعراقة ، إلى (الزجر) وهي حالة من حالات محاولة التنبؤ (بنجر) الطيور ، إن تيمنت بتفاعل الزاجر خيراً ، وإن تشامت ، (أى تيأسرت) تشاءم الزاجر مما هو مقدم عليه وهنا نصل إلى نبوات العرب قبل الإسلام تنتهي إلى ما أسماه الباحث (نبوات النسق الميثولوجي) الذي تتأسس فيه النبوة على (مبادرة إنسانية خاصة) ، يكون (الرد الإلهي) جواباً مباشراً - أما (نبوات النسق) الديني ، فلا تعد كذلك ، على العكس تعد مبادرة إلهية ، لا دخل للإنسان فيها ، فنبوات النسق الأسطوري تبدأ من الإنسان ، ويحشد الباحث عدداً كبيراً من الاستشهادات لتأصيل

مقولاته بهذا الصدد ، ليفرق بين نمطين من النبوة داخل النسق الأسطوري ، نمطى طبيعى متعلق بمرحلة الإحيائية والتعامل مع الطبيعة بشكل مؤنسن ، ونمط ذاتى يتأسس على التجربة الفردية المستقلة ، بعد تجاوز الموقف الاحيائى (٨) ثم ينتقل بنا إلى نبوات النسق الدينى فى الأديان الوحية.



ولعل نبوات النسق الدينى ، هي الأكثر إثارة للجدل ، حيث تم تحويلها -فى التاريخ -إلى إنساق مجرد من بشريتها لصالح الإلهى ، ولكن عند حفر الباحث فى بنية الفكرة ، تم الكشف عن حرمة من الأفكار يمكن اعتبارها ، على الإطلاق ، خصائص عامة لل فعل النبوي ، نعرض لأهمها:

أولاً: انبثقت النبوة من جدل (الخوف) و(الشجاعة) إذ لا يرى أنه لو لا تكفل (الشجاعة) -شجاعة النبي- بقهر (خوف الجماعة) لما كانت النبوة قد خرجت إلى حيز الوجود ، ولهذا فإن (الخوف) ضياع للنبي وإهدار وهو كذلك بالنسبة للموجود ذاته ، ففي حين أن (الشجاعة) تأكيد لها وإظهار سوها فعلها للوجود أيضاً -ولاشك أن ذلك يكشف عن الطابع الأخلاقي للنبي، كما أنه يكشف -من حيث أن المسألة الأخلاقية المتعلقة بطبيعة الشجاعة تقود بطريقة لا مهرب منها إلى المسألة الأنطولوجية للوجود الإنساني ، فالقول بأن (النبوة) تنبثق عن (الشجاعة) يعني باستدلال بسيط -إنه انبثاق عن محاولة لتأكيد الذات (نفسها) ، وذلك بالرغم من وجود ذلك الذى يميل إلى الحيلولة بين الذات وبين تأكيد نفسها ، وهكذا يكشف الارتباط بين النبوة والشجاعة عن الطبيعة الأنطولوجية للنبي، بوصفها محاولة لتأكيد الوجود لذاته ، ففي مواجهة كل ما يحول دون ذلك.

ثانياً: أن النبوة وهى تنبثق من (شجاعة فرد) تتهدى في مواجهة (خشية شعب) ، تأكيداً على أن الأنبياء يمثلون وعيًا فردياً متقدماً متميزاً عن الوعي الجماعي لأهمهم ، وإن كان (وعيهما) جزءاً من هذا الوعي الجماعي في ذات الوقت ، وهكذا تعكس (شجاعة النبي) تقدماً في (وعيه) . فبدا وكأن النبوة لا تجد (مطمحها) في الوعي الخامل أو الوجود البليد.

ثالثاً: ليست النبوة في جوهرها تنبؤاً ، بل (توسطاً) يؤسس (حواراً) بين الله

والإنسان والحق أن اللفظ العبرى(**Nobi**) ، لا ينطوى على دلالة أكثر من ذلك ، ولأن النبوة (توسيط) يؤسس (حواراً) فإن كل محاولة لجعلها (صوتاً منفرداً) تعد عدواً على جوهرها الأصيل.

رابعاً: إذا كانت النبوة توسيطاً يؤسس حواراً ، بين الله والإنسان ، يتصرف طرفاه بالندية فإنه يحق للإنسان من حيث هو طرف في الحوار -أن يسهم بدور في اختيار (الأداة) التي يتحقق عبرها الحوار، أعني النبي. ولذا فإن اختيار النبي لمهمته ليس فقط عملاً إلهياً، بل هو عمل له أساسه في الواقع الإنساني^(٩).

هذه الحزمة من الأفكار الحافة حول النبوة ، سوف تتجلى مرة أخرى عند عرض الباحث ومناقشته لأفكار الفرق الكلامية الإسلامية .

ويبدو التنبوات الوحشية -المزلة- كأنها بناء كلى شامل، يؤصل حواراً بين الله والنبي ، لصالح الإنسان ، مكوناً عدداً من النصوص المقدسة، التي نعرف بها حيناً وننكرها حيناً -إشارة إلى اتهام المصحف لكل من التوراة والإنجيل بالتحريف -ثم إذا كان البناء الإنساني العام للنبي قد تكشف عن أصلها (العيانى)، فإنه يبدو وكأن بناء العقائدي الخاص لا يكتشف إلا عن مظاهرها (المجرد) . فبینا النبوة -في الأول -(حواراً) بين (الإلهي) و(الإنساني) ، فإنها تبدو -في الثاني -خطاباً (إلهياً) غاب شرطه الإنساني في الأغلب.

ويتفق ذلك بالطبع، مع الطبيعة الخاصة لـأى علم عقائد مائلة في (اختزال) العيانى، ورؤى العالم بأسره من خلال المجرد، أي الله، فقط ، وهكذا يبدو العلم في جوهره ، تضخيلاً (بالعيانى) في سبيل (المجرد) . ومن هنا، فإنه يكتشف فيما يتعلق بالنبوة -عن (المظاهر المجردة) ، دون الأصل العيانى).



أما الباب الثاني من الكتاب فيخصصه الباحث للحديث عن البناء العقائدي الخاص، بدءاً من نشأة البحث الاعتقادي في النبوة بمنهج تحليلي ، يعني برصد كيفية تحول (العيانى) إلى (المجرد) تاريخياً وتتصبح نقطة البدء في هذا التحليل ، هي الواقع . وكيفية تحولها بسبب من التاريخ - لارغماً عنه ، إلى أبنية نظرية مجردة.

وقد أظهر التحليل المبدئي ، أن التناظير في العلم -علم العقائد -عموماً وليس النبوة فقط ، قد ابتدأ من (واقعة تاريخية) تتمثل في الخلاف حول الحكم السياسي أو الإمامة . ثم عن هذا الخلاف تفرعت جميع مسائل العلم -حتى أكثرها تجريداً- وأستوت وبالرغم من أن هذا الاستواء والتجريد قد حدث بفضل التاريخ، لا رغم عنه، إلا أنه قد تطور -فيما بعد- استناداً إلى آليات داخلية خاصة.

وأما التحليل المعرفي، فقد اختص به الفصلان الثاني والثالث من الباب الثاني . ويمضي هذا النوع من التحليل في درب معاكس للأول -ذلك أن نقطة البدء، فيه ، هي (الأفكار) وكيفية ردها إلى (الواقع) ، لا ردًا (اليا) تكون فيه الأفكار مجرد مرآة عاكسة للواقع ، بل ردًا (جدلياً) تحفظ فيه الأفكار بحياتها الباطنية وإمكانيات تطورها الخاص.

ويهدف هذا التحليل -فيما يرى الباحث- إلى رصد(الأفكار) لا في تناشرها وتشتتها -الذى يتعارض لاشك مع وحدة الواقع الذى ترد إليه -بل في حالة من التالف الباطنى والالتحام الذى تكون معه كلية متجانسة من التصورات ، تتكشف -بضرب آخر من التحليل- عن بنية مجردة، أو مبدأ شارح بتنظيم الأفكار جمياً في نسق واحد ، ويتولى تفسير كل العمليات الحادثة داخل النسق وقد اختص الفصل الثاني برصد بنية النسق الأشعرى ، وتفسيرها بالواقع ، بينما اختص الفصل الثالث ، برصد بنية النسق الاعتزالي(١٠).

وعبر فصلين كاملين يؤصل الباحث فكرة النبوة في البناء العقائدى من خلال الحوار-الجدل بين المعرفى والأيدىولوجى ، وقد يتبدى هذا الإجراء المنهجى ، عند قراءة الأساق الكلامية ، عن أن كل الصياغات العقائدية (شيعية، أشعرية، معتزليـةـ إلخ) قد يتعدى فهمها ، على نحو حقيقى ، بمعزل عن إطار أيدىولوجي معين .

ومن المثير أن تصوراً بلغ الغاية في التجريد ، أعني تصور(الله) ، يفلت أيضاً من هذا المصير إن تباين تصور(الله) -منزهاً عن الصفات أو موضوعاً بها إلى حد ما أو إلى حد التجسيم -لا يجد تفسيره إلا في الانتماء إلى إطار أيدىولوجي معين ، فإذا يرتبط التنزيه المعتزلي بأيدىولوجيا أدنى إلى أن تكون (البيرالية) ، إن جاز هذا التعبير

المعاصر ، فإن الوصف الأشعري يرتبط بـأيديولوجيا أدنى إلى أن تكون (تسلطية) ، وأما التجسيم عند بعض الشيعة الغلاه ، فإنه يرتبط -جوهرياً- بـأيديولوجيا هيمنة الإمام . وهكذا بدا وكأن الله ، حقاً، مرأة العصر تعكس ما يعانيه الإنسان -أو حتى ما يريده على قول هيجل.

وبدوره فإن مفهوم (النبوة) قد تبانت صياغته في جميع الأساق الكلامية بدءاً من تباین الرؤى الأيديولوجية المهيمنة على هذه الأساق لا شك . فإن تبادل الأيديولوجيا الأشعورية أدنى إلى أن تكون تسلطية ، لا مكان فيها إلا لهيمنة المطلق (إلهها في المجرد) وحاكمها في المتعين ، فإن النبوة باتت -تبعاً لذلك -لا تفهم إلا على نحو مطلق ، أي بوصفها تتعلق بالإلهي فقط ، دون أدنى اعتبار للإنساني وعلى التقىض فإن اعتبار (الإنساني) في النبوة ، قد ارتبط عند المعتزلة بهيمنة أيديولوجيا أدنى إلى أن تكون (ليبرالية) وإن فهمها حقاً من حيث هي أبنية ابستمولوجية -إلا من خلال تضارفها البنوي مع إطاراتها الأيديولوجية . وعلى هذا فإن هذه الصياغات تعد -مهما تجردت- ذات طابع تاريخي وإنساني معاً ومن هنا فإن قابليتها للتجاوز ليست أبداً موضع إنكار ، وهكذا فإن لكل (عصر) الحق في أن تكون له قرائته ، بل وصياغته لمجمل التصورات العقائدية ، لم دامت مقاصده الأساسية ما تتحقق من خلال قراءات أو صياغات قديمة (١١).

وفي النهاية ، وبعد أن وضع الباحث يده على مفتاح من أهم مفاتيح قراءة التراث ، مفتاح التلامح البنوي بين المعرفي والعقائدي ، مستخدماً آليات اللغة والتاريخ ، وعددًا كبيراً من المراجع ، لا يعييه عدم إثباتها في نهاية الكتاب ، فإنه يقدم قراءة متجاوزة بحق ، لكل من تسلطية الأشاعرة ، ولليبرالية المعتزلة ، على ما في مصطلحاته من مجانية ، إلا أنه يكشف لنا عبر صفحات كتابه كيف يختفي الإنساني الواقعي التاريخي تحت أبنية نظرية مجردة ، لا يمكن تجاوزها بعد تفكيرها . ولعلنا نتوقف مرة ثانية مع خطاب على مبروك ومنهجه ، للكشف عن إمكانيات الباحث المفكر ، الذي يحاول بناء فضائه الخاص ، ووسط ركام من إعادة الانتاج والصياغة .



إشارات

- (١) راجع دراستنا -تراث الوهم وهم التراث- أدب ونقد ، عدد ١٨٨ -أبريل ٢٠٠١
- (٢) الكتاب صادر عن دار التنوير -ط أولى ١٩٩٣ ، بيروت لبنان.
- (٣) على مبروك- النبوة ص ١٢ .
- (٤) السابق ص ٥٥ .
- (٥) بتصرف عن الكتاب السابق .٦٩
- (٦) السابق ص ٧٢ .
- (٧) السابق ص ٨٣ .
- (٨) السابق ص ٩٠-٩٢ .
- (٩) السابق ص ١١٤-١١٣ .
- (١٠) السابق ص ٢٩٨-٢٩٩ .

أدب ونقد

رسالة جامعية



التربية للتعايش . مدخل

إعادة صياغة العلاقة مع الآخر الديني

فاطمة فوزى

إن جريمة النشر التي ارتكبها جريدة النبأ في حق الأقباط .. لن تكون الأخيرة، ولا يكفي للتخفيف من حدتها القول بأنها تمس المصريين جميعاً .. بل يجب أن تكون المواجهة أعمق من ذلك، مواجهة بالبحث عن الجذور التاريخية من جهة، والبحث في أسس التعايش النابعة من التاريخ والجغرافيا والمعتقدات الدينية ، ثم بلوغه هذه الأسس في قيم لتنشئ كل أبناء مصر عليها .. لتصبح جزءاً من مسلكهم اليومي الذي يسمح لهم بالتعايش معاً ، للحفاظ على كيان كل فرد والحفاظ على كيان هذا الوطن. وإذا قامت دراسة علمية بهذه المهمة الوطنية الجليلة فجدير بها أن تلتفت إليها في هذه الآونة.. وأن نعيid الالتفاف والتخلق حولها لقراءتها وتقديرها والعمل بما فيها وإذا

تكررت أزمات هذا الوطن بصورة شتى حول ذات الموضوع، وكان لجهد أبنائه المخلصين كلمة في مواجهة هذه الأزمات فمعنى ذلك أن القائدين على الأمر لم يلتقطوا إلى هذه الكلمة . وإذا ظل الأمر كذلك من افتقاد العلاقة بين البحث العلمي والمجتمع . فلا ينبغى أن نلوم أحداً إلا أنفسنا ، وعلينا أن ننتظر مزيداً من الأزمات والتورات.

ومن أجل تحمل تبعات هذا الوطن والمشاركة في همومه أجرينا هذه الدراسة ومن أجل إبراء الذمة من السكوت عنها ، أحاول في هذا المقال التعريف بها .. لاكون قد بلغت وعلى كل أن ينهض بدوره ومسئوليته بعد ذلك.

والدراسة أطروحة لنيل درجة الماجستير وهي بعنوان «منظومة قيمة مقترحة لدعم الوحدة الوطنية»، وهي للطالب «خالد محمد عثمان» مدرس المواد الفقهية في التعليم الإعدادي والثانوى في المدارس الأزهرية ، وطالب الدراسات العليا في قسم أصول التربية - كلية التربية جامعة طنطا . وقام بالاشراف العلمي على هذه الأطروحة الاستاذ الدكتور حسن إبراهيم عبد العال» أستاذ ورئيس القسم، وعاونه في الاشراف كاتبة هذه السطور د. فاطمة فوزي عبد العاطي» مدرس أصول التربية بالقسم . وقام بمناقشة هذه الرسالة من داخل الكلية الاستاذ الدكتور المتفرع ورئيس القسم الأسبق «عبد الفتاح إبراهيم تركى» وشرف جلسة المناقشة بالأستاذ الدكتور «ميلاً حنا» المفكر المعروف عضو المجلس الأعلى للثقافة والكاتب بالأهرام وصاحب الاهتمام الفكري بقضية التعايش بين المصريين من خلال كتابه الرائد «قبول الآخر».

وقد دفع الباحث إلى إجراء هذه الدراسة ما لمسه في الواقع التعليمي الذي يمارسه في مدارس الأزهر من احتواء بعض الكتب الفقهية تجاه آراء متطرفة من أهل البيانات الأخرى ، منها ضرورة تمييزهم بشارات أو ملابس معينة ، وأن يشهر بهم.. وإذا كانت هذه الآراء نتاج أوقات معينة مثل فترات الحملات الصليبية .. فإن ذلك لا يعني أن تستمر وتدرس في وقتنا الحالى . وقد ربط الباحث بين هذه الآراء وبين ما يحدث في الواقع في منتصف التسعينيات وقت بدء التفكير في موضوع البحث - واستبسط أن تورات علاقات المسلمين بالأقباط هي نتاج تصوراتنا ، تلك التصورات التي نكتسبها تدريجياً عبر التربية ، وإذا كان علينا أن نزيل هذه التورات فلن يكون ذلك حقاً إلا بتربية تستهدف التعايش ومن هذه المقوله انطلق ليبدأ بحثه.

تقع الرسالة أكثر من ثلاثة صفحات من القطع الكبير ، تضم ستة فصول بخلاف الفصل التمهيدي الذي جاء في مقدمة الدراسة لتوضيح أبعاد مشكلة الدراسة والنتائج والتوصيات التي جاءت في نهاية الدراسة . وقد تناول الفصل الأول مقومات دعم الوحدة الوطنية وهي : الجغرافيا الطبيعية والجغرافيا البشرية ، واللغة المشتركة والحياة الاجتماعية المشتركة والدين المشترك والتاريخ الوطني المشترك ، والعامل النفسي والمصير المشترك واستخلاص الباحث في الفصل الثاني القيم الداعمة للوحدة الوطنية من تشريعات المسيحية والإسلام ، ودستور الدولة ، وتوصل إلى أن أبرز تلك القيم هي : الكرامة الإنسانية والمساواة والعدل في المعاملة ، والتسامح ، وحب الآخرين والإخاء والسلام الاجتماعي وقيمة المشاركة في التعليم والعمل والملك والانتفاع . وتوقف عند الشريعة الإسلامية والفكر الإسلامي ليقى الضوء على حكم التعامل مع الكاتبى فى البيع والإيجار والوقف والوصية والشهادة والشفاعة ، واتخذ موقفاً من قضية الجزية . كما اتخذ من وثيقة المدينة مرتكزاً للتحليل والتاكيد على أن التعايش مع الآخر الدينى فى الوطن الواحد فريضة دينية من المنظور الإسلامي للحفاظ على أمن المجتمع وأمانة ووحدته وتماسكه ضد أي عدوan خارجي أو تهديد داخلى ، كما ضمن ملاحق الدراسة هذه الوثيقة الأم . ووفق السير المنطقى للفكر العلمى فإن التساؤل المطروح فى هذا المنحى هو . إذا كانت كل هذه عوامل ارتباط فما للفكر العلمى فإن التساؤل وهو بعنوان «مظاهر وأسباب الإخلال بالوحدة الوطنية» بمعنى هذا الفصل تناول مظاهر الإخلال بالوحدة الوطنية من : أحداث عنف متتبادل ، ونكات شعبية وكتابات بعض المفكرين . ثم تناول في الفصل الثالث - أيضاً - أسباب الإخلال بالوحدة الوطنية من حيث : جذور الظاهرة وموقف المسيحيين من الدولة الإسلامية الناشئة ، ونصوص فهمت على غير وجهها ، وظل على تبعه للظاهرة خلال النصف الأخير من القرن العشرين من حيث الأسباب السياسية والأسباب الثقافية . وتوقف عند تجاهل الظاهرة باعتباره من الأسباب التي أدت إلى تفاقمها .

وبعد أن وصل العمل العلمي إلى تلك النقطة التي انتص في فيها جانبنا التناقض في علاقة المسلمين بالمسيحيين في المجتمع المصرى والتي ت أكد تاريخياً وثقافياً أن حسن التعايش ضرورة دينية ووطنية ومن جهة أخرى فإن الواقع المعاش يشير إلى أن

التوترات حقيقة يومية.. عند هذا الحد أصبح علينا-فريق البحث- التوقف لتحديد دور التربية للعمل في الاتجاه الأكثر رسوخا وهو بناء القيم المناسبة داخل الناشئة التي تترجمها سلوكياتهم بعد ذلك لإكساب التلاميذ منظومة القيم التي توصلت إليها الدراسة وهي نحو عشر قيم(المواطنة / المشاركة / المساواة / الكرامة الإنسانية / حرية الاعتقاد والتعبد / الانتماء للوطن / التسامح / السلام الاجتماعي / التكافل الاجتماعي / العدل في المعاملة) وسعينا عند هذا الحد في ثلاثة اتجاهات:

أولها تحديد خصائص نمو التلاميذ الذين نود بث القيم فيهم من حيث الخصائص العقلية والوجدانية التي يتميزون بها والتي تعامل معها التربية . ثم تحديد مفهوم القيمة وأهميتها والنوسق القيمي ، وكيفية توظيفه في موضوع الوحدة الوطنية وتحليل بعض الكتب الدراسية المقررة والتي تحمل بمضمونين هذه القضية وهي كتب التاريخ واللغة العربية والتربية الدينية.

وفي الفصل السابع والأخير من الدراسة أصبح من الممكن العمل على تحديد الدور التربوي المتكامل إزاء إكساب التلاميذ كل قيمة من قيم المنظومة التي توصلت إليها الدراسة، وذلك من حيث مفهوم هذه القيمة ، وأهمية إكسابها للناشئة سواء كانت أهمية دينية أو أهمية وطنية، وكيفية إكسابها للتلاميذ من خلال المقررات الدراسية وبالأنشطة الدراسية من إذاعة ومجلات حائط ورحلات وموقف المعلمين من التلاميذ وبموقف الإدارة المدرسية من خلافات التلاميذ التي تأخذ المنحى العقائدي بين ذوي الديانات المختلفة.

وبهذا وصلت الأطروحة العلمية إلى هدفها النهائي بعد مدى زمني يزيد على الخمس سنوات ويسعدنى أن أختتم هذا المقال بطرح أبرز النتائج والتوصيات التي توصلت إليها الدراسة.

خلصت هذه الدراسة إلى النتائج والتوصيات التالية:

أولا: أن مصر تملك مجموعة من المقومات تؤثر وبشكل مباشر وفعال على ترابطها ككيان موحد وهذه المقومات هي: الجغرافيا الطبيعية والجغرافيا البشرية واللغة المشتركة والحياة الاجتماعية المشتركة والدين المشترك والتاريخ الوطني المشترك والحالة السيكولوجية المشتركة والمصير المشترك . وعلى ذلك توصى هذه الدراسة بأن

تقوم المؤسسة التعليمية في مصر خاصة مرحلة التعليم الاعدادي ووسائل الاعلام والثقافة والمساجد والكتائش بتقييم التوعية الشاملة بكل هذه المقومات . ذلك أن التوعية في هذا الإطار تحقق دعماً مهماً للوحدة الوطنية، كما أن تعرف التلاميذ على أن جميع أبناء مصر المسلمين والمسيحيين يعيشون معاً في جماعات متداخلة لا يفصلهم فاصل منذ آلاف السنين ، وأنهم ينتمون منذ عهد الأسرات إلى أصل سلالي واحد، وأن لغتهم الدين تجمعهم وأنهم قد صنعوا عبر تاريخ طويل حافل الكيان المعروف الآن بمصر ، وأن مصير المسلمين والمسيحيين في مصر مصير واحد سوف يتحقق دعماً هاماً لقضية الوحدة الوطنية في مصر.

ثانياً:- كان للديانة المسيحية عبر بعض أبنائها كالنجاشي ملك الحبشة والراهب الذي حذر أبي طالب عم الرسول صلى الله عليه وسلم من قتل اليهود له إذا علموا بأمره وهو صغير وكان للديانة الإسلامية عند هزيمة الروم من قبل الفرس في بدايات الدعوة الإسلامية وفي غير ذلك من المواقف عدة شواهد على المحبة والتسامح والرعاية بين الديانتين الكريمتين وعلى ذلك توصى هذه الدراسة بأن تقوم المؤسسة التعليمية المصرية وخاصة مرحلة التعليم الإعدادي ووسائل الإعلام والثقافة والمساجد والكتائش بالتوعية بهذه الموقف المهمة ، ذلك أن التوعية في هذا الإطار تحقق عائداً إيجابياً مهماً تجاه قضية الوحدة الوطنية في مصر.

ثالثاً: خلصت هذه الدراسة أيضاً إلى أن المسيحية والإسلام والدستور المصري قد انفتقت جمعياً على مساحة كبيرة من القيم التي تدعم الوحدة الوطنية في مصر، وفي هذا الإطار توصى هذه الدراسة بأن تقوم مرحلة التعليم الاعدادي ووسائل الإعلام والثقافة والمساجد والكتائش بالكشف عن هذه القيم المشتركة بين الديانتين الكريمتين والدستور المصري ، لأن الرابط بين أجزاء هذه الثلاثية في هذا الإطار- تحديداً- يكسب قضية الوحدة الوطنية في نفوس كل المصريين أبعاداً بجدانية وعقلية هامة يمكنها القيام بدور مهم في إطار دعم الوحدة الوطنية في مصر.

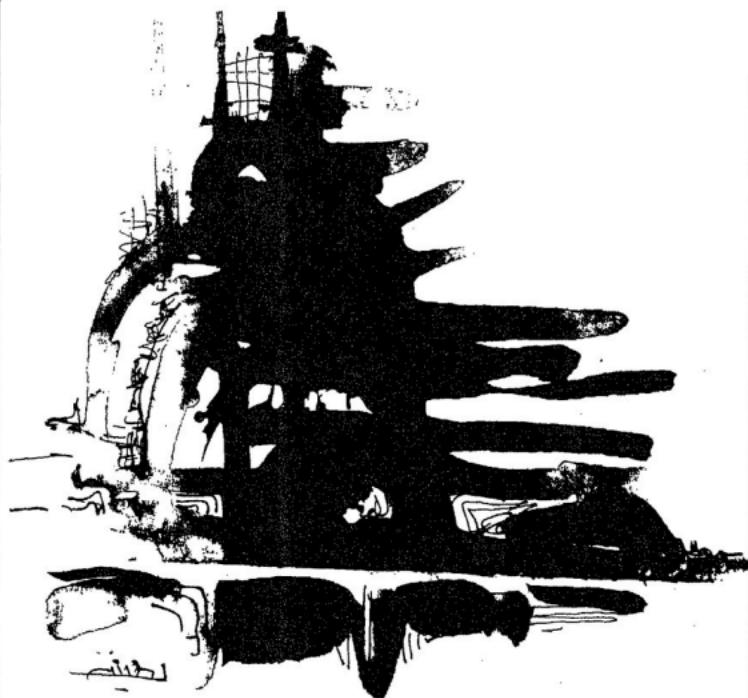
رابعاً: إن إنجلترا وفرنسا قد استخدمنا الواقعية بين أبناء مصر المسلمين والمسيحيين كى تتمكن هاتان الدولتان من الاستمرار لمدة أطول في احتلال مصر . كما توصلت هذه

الدراسة أيضاً إلى أن أمريكا وإسرائيل تحاولان الآن القيام بنفس هذا الدور لتحول مصر إلى بلد ضعيف مقهور تسهل السيطرة عليه وعلى الأقطار العربية من بعده وفى هذا الإطار توصى هذه الدراسة بأن تقوم أجهزة التعليم والاعلام والثقافة والمساجد والكنائس بالكشف الدائم عن هذا الدور حتى يعلم أبناء مصر المسلمين والمسيحيينحقيقة هذا الموقف.

خامساً: توصلت هذه الدراسة إلى أن هناك مجموعة من كتب التراث ما زالت حافظة بالأراء التي تؤثر بالسلب على قضية الوحدة الوطنية في مصر - لأنها ظهرت في ظروف تاريخية خاصة - وعلى ذلك توصى هذه الدراسة بالكشف عن الموقف الحقيقي المعاصر الذي يتخده فقهاء المسيحية والإسلام المعاصرون من قضية الوحدة الوطنية ، وأن تقوم أجهزة التعليم والاعلام والثقافة والمساجد والكنائس بالكشف عن الاجتهادات المعاصرة في هذا الشأن وفي هذا الإطار أيضاً توصى هذه الدراسة بأن تعد بورات إرشادية لوعاظ الكنائس والمساجد حتى يتعرفوا بدقة على الموقف والأراء التافعة في هذا الشأن.

سادساً: توصلت الدراسة إلى أنه كان للأحزاب السياسية القديمة في مصر ولجماعة الإخوان المسلمين دور مؤثر في تشكيل ملامح العلاقة بين المسلمين والمسيحيين في مصر . وإذا كانت الدراسة لم ترصد في السنوات الأخيرة امتداداً لدور الأحزاب السياسية المصرية في نفس الاتجاه السلبي السابق فإن الدراسة قد رصدت امتداداً حديثاً لدور جماعة الإخوان المسلمين أثر بالسلب على الظاهر موضوع الدراسة(١) وعلى ذلك توصى الدراسة بقيام وسائل التربية والإعلام والثقافة في مصر بطرح الفكر الإسلامي الوعي المتعلق بهذه القضية وغيرها من القضايا الهامة الأخرى ، ذلك أن محاربة الفكر بالفكر وقمع الحجة بالحجية هي أفضل السبل للقضاء على كل من يتعامل مع القضايا الإسلامية المهمة بغير وعي أو بسوء نية.

سابعاً: توصلت الدراسة إلى أن عدم وجود مشروع قومي كبير يستوعب قدرات وطموحات الشباب المصري خلال سبعينيات هذا القرن كان سبباً من الأسباب التي أسهمت في تشكيل ملامح العلاقة بين المسلمين والمسيحيين في مصر بالشكل الذي بدت عليه أثناء رصد «البحث» لمظاهر الإخلال بالوحدة الوطنية . وعلى ذلك توصى



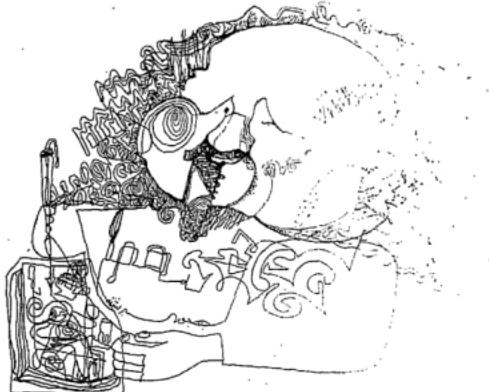
الدراسة يشارك الأجيال الجديدة من أبناء مصر المسلمين والسيحيين في المشاريع الكبرى ، ذلك أن تربية هذه الأجيال على قواعد العمل الجماعي المنظم من شأنه أن يسهم في وضع أقدام هذه الأجيال على منهج التعايش عند الاختلاف.

ثامناً:- توصلت هذه الدراسة إلى أنه ليس ثمة استراتيجية تعليمية واضحة المعالم مكتملة النضج قد أعدت لواجهة ما تعرضت له قضية الوحدة الوطنية في مصر في الفترة الأخيرة ، وأن هذه القضية قد تركت في مهب الريح على الرغم من كثرة الأبحاث والتوصيات التي أشارت إلى وجوب الاهتمام بها . وعلى ذلك توصى الدراسة بوضع استراتيجية تعليمية متكاملة تخدم هذه القضية.

قال مصطفى مشهور إنه حين يصل الإخوان المسلمون للسلطة سوف يفرضون الجزية على الأقباط.

أدب ونقد

تشكيل



جورج البهجوري وعدلي رزق الله:

بين سيرتين ! !

أشرف أبو اليزيد

تبعد أهمية قراءة كتب السيرة الذاتية التي صدرت للفنانين التشكيليين جورج البهجوري وعدلي رزق الله في أكثر من ناحية. فلابد السيرة الذاتية في عالمنا العربي شحيف في دفاتره، وهو قليل في عالم الأدب إن لم يكن نادراً، وغير موجود في عالم الفن في وطننا العربي. وهنا نقصد السير الذاتية التي تستحق التدوين؛ على طريق أيام طه حسين. وأصياء نجيب محفوظ. ورحلة فدوى طوقان الجبلية والضعبية. ومشاريع خمسين صلاح عبدالصبور، ومذكرات طالب البعلة، وغيرها. وما أكثر كتابنا وفنانينا الذين غافلوا ومضوا دون أن يتركوا لنا مثل هذا الكنز الأدبي الرفيع.

ونضيف سببا ثانيا في هاتين السيرتين هو لغة الكتابة، فلم تكن السيرتان محض تدوين تسجيلي، أو يوميات وحسب. بل نسق قائم بذاته؛ تكاد تضع الفنانين في خانة الكتاب المترسرين. وكذلك فإن البهجوري ورزق الله يمثلان مدرستين في الفن المصري والعربي المعاصر، لكل منهما أسلوبه الفريد الذي يجعل من قراءة سيرة أحدهما دخولا في متن التجربة التشكيلية التي تمتاز بالخصوصية والثراء، ويثبت تاريخهما العملي كذلك عظم الدور الذي اضطلعوا به في الحياة الثقافية المصرية والعربية. ونجد رابع الأمور وليس آخرها، في تكريس (أدب ونقد) هذا العدد لقراءة مفهوم المواطننة في مجتمعنا المصري. ومن هنا فإن توظيف الجذور الدينية المسيحية للفنانين في متن التجربة الكتابية، يعد مبحثا هاما، خاصة وأن موقف السيرتين متباين تماماً في الالحاح على هذه المسألة.

يتمثل رزق الله في سيرته الذاتية (الوصول إلى البداية في الفن وفي الحياة)، دور المنظير، المتعطف عن ذكر ما يبغض منه غير الأصدقاء، وهو يوجه للقاريء خطابا افتتاحيا حول أهمية الكلمة بموازاة الصورة. ويختتم الخطاب الافتتاحي ببيان أسباب ما جعله يحجم عن ذكر الحقيقة كلها في الكتاب الذي بين يدينا، يقول: تجنبت الكتابة عن كثير من سليميات وخطايات من سرقوا أياما من عمري، وصدقني إيماني، فلهذا يوم آخر وكتاب آخر.. وتجنبت الكتابة عن المرأة في حياتي رغم أهمية دورها، خوفا وهلاكا من مناخ النشر في واقعنا العربي... وكتبت فصلا آخر تحت عنوان الأصدقاء آثرت عدم نشره الآن خوفا من زيادة حجم الكتاب.

وكان رزق الله، وهو على كرسى الاعتراف، يخشى أن يغضب أحداً، مثلاً يابنى أن يلمس من يستحقون الغضب، وهو يترك الباب مفتوحا، للظن، لقراءة ما وراء السطور، في كل حادثة يوردها في كتابه الصادر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب، (في ٣٣٠ صفحة من القطع الكبير)، بخلاف بحمل صورته باسمه، سابحا مثل صوفي زاهد في فضاء من الحرف واللون.

نقرأ معه تراتيله الأولى تتقدّر الكتاب. وكأنه يمهّد لنا مواقفه ومحاطاته في الفن والحياة: أنا أعرف.. أعرف أني لا أعرف.. تعطيني وصيفاتك قطرات.. لكنك أنت وحدك تملّكين المعرفة.. لولادك ستكون حياتي عيّثا.. أتمنى لا يعيّبني الوهن قبل أن أصلك.. لتضمّيني ضمة المعرفة/ الموت. ويقول: باطل الأباطيل.. الكل باطل.. والنّفّ ليس قبض الريح.. ثم يقرر: كلّب حيّا مطلبني الفني.. الوصول إلى حدي الأقصى حلم حياتي في الفن.. ويُعترف: الفن بداية أبداً / الفنان على طريق البداية حتى موته الجسدي.. والوصول خدعة.. لو اعتقدها الفنان كان في هذا الاعتقاد نهايته.. الفنان خارج

على قانون وحالة لقانون. فوضوي وملزم في آن واحد! كيف؟ هذا هو سر جمال الفن. ورحلة رزق الله في سيرته محاولة لكشف هذه المتناقضات التي صدر بها سيرته.

نكتشف ونحن نعبر مع الفنان عدلي رزق الله فضول كتابه العشرين كيف تميزت حواسه منذ صفراً. إنها الحواس التي فطر عليها فأنهمته روح الفن، وحساسيته. رزق الله المولود في العام ١٩٣٩ بأبتنوب الحمام، بأسيوط. في صعيد مصر. يحكى عن رواح قريته، ذلك الجزء الذي أعده مدخلًا لفهم لغة الكتاب مثلما اعتبر بابا للولوج لعالم الفنان: ما زلت أذكر رواح الصعيد الحادة والحريفة والمزاحمة لك أبداً في كل مكان. روث البهائم في الزرابب وفي البيوت وعلى حافة الغيطان. هي مركز خير للأرض الزراعية حيث هو سماد الأرض الطبيعية وبه تجور الزيارات. فكلما ازداد عفن الروث كلما أعطت الأرض حياة لنبتتها. للغيط أيضًا رواحه المختلفة. فرائحة القول الحراري غير رائحة البرسيم غير الذرة، غير وغير... النباتات المختلفة تجود بروائح عبقة. حريفة ومدغدة للحواس بدرجات مختلفة ويدغدغات مختلفة أيضًا. ولأننا ما زلنا في باب الروائح. فرائحة التراب تركم الأنوف طوال الوقت وشتان ما بين تراب الجسر الناعم الجاف في عز الحر أو في القيلولة. ورائحة التراب بعد أن يبتتل بأكواز الماء أمام المنازل حيث الشوارع الضيقة الرطبة والطاللة. لكن عن بدل غيطان الزراعة فحدث ولا حرج. عن احتفاء الأرض العطشى وبقلة الماء المتسرب بين شعوقيها. ووشيش الأرض المستنقعة لام الحياة والروائح التي تجود بها بعد أن تبتتل تماماً. وحين تهب نسمات هواء تمبل أنزع النباتات وتخرج رواح. هل أقول ذكية؟

يسقط رزق الله. ونكتف نحن عن الاستشهاد بالرواوح، فيبعدها يتحدث عن رواح كل شيء:

التخيل، الأم، البيوت، الجدة.. ولا شك أن الفنان قصصاً مع كل ما ومن ذكر، وسنعلم أن حادثة ما في طفولة الطفل عدلي تبقى معه ثلاثين عاماً. تؤثر فيه، بكل شيء عاشه. إنها الذاكرة التي نحتفي بتقادها. ذاكرة الفنان. لكننا سنتحفي كذلك بذاكرة الفنان جورج البهجوري الذي يبدو أنه يتذكرة كل شيء. بداية من مقامه في رحم الأم!

يبدأ البهجوري سطور سيرته الروائية بهذه السطور: تكورت داخل بطن أمي. لاصقت ما بين قدمي وبطني. التحم رأسي بركريتي. ضاعت يدي وسط أحشائي. رغم الغشاء الذي يحيطني همت بالخروج، كلي فضول وشوق، لم أتنفس بعد. تنفس بتنفس أمي، تأثيري الحياة من خلال السرة التي تربطني بها. رئتها ترتجفان. أرتجف أنا أيضاً. تنفس. تنفس بدوري. تضحك

فأشعر برعشة تدغدغني . تأكل أو تشرب فأشعر بنشوة . فأندفع في هزة إلى الأمام وهزة إلى الوراء . أحياناً أصدع وأحياناً أهبط . لكنني غالباً ما أكون شبه نائم أو في غيبوبة جميلة . وتستيقظ حواس بهجوري وهو يصف رحلة بالقطار : نام القطار ونام المسافرون المتعبون معه .. لكن عجلاته تحت أخاذهم وأقدامهم تعاود حركتها الدائمة ويصبح صوت القطار مع منتصف الليل الصوت الوحيد مع شخيرهم .. وتنعكس عشرات ومئات الأشجار من النافذة في اتجاه ضد اتجاه القطار دون أن يتطلع إليها أحد حتى الولد هنا لا يتبعها لأنه ينام .. تتململ الأجساد وت بكى طفلة في نهاية العربة . ويحمل فلتتس بالقمر الأخضر وأنين ساقية منوف . بدأ الفجر بارداً . ثم دافئاً قليلاً قليلاً . وتفتحت شراعات نوافذ القطار بالتدريج وبدأت حالة ترقب الوصول إلى العاصمة . ولكن يبقى المسافرون كمسال ما بين النعاس واليقظة . والممحطة المقلبة (الواسطة) يصبح فيها باائع الشاي الساخن المتنقل وملاعقه تخلل مع صوت الكوب الزجاجي . فيتلهمون إلى بخار الشاي ليواظهم . فلا ينامون ويسهل آخرؤن من الصغار وبعض الكبار لفرحة اقترابهم ولقاءتهم بالعاصمة ويختتم البهجوري المشهد الطويل بدخول القطار محطة مصر (كانه ديناصور دخل حظيرته) ويردد : يا سلام مصر أم الدنيا .

وإذا كان رزق الله قد أراد لكتابه أن يكون سيرة حقيقة وكتاباً احتفالياً به . وبفنه . حتى أنه أضاف إلى متنه (نحو خمسمين صفحة) من الكتابات النقدية التي تناولت إبداعه . مثل النقاد الفرنسيين كلود لافاي . وهربرت هيرو . ولوسيت شولييه . والنقاد الشعراء اللبنانيين شربل داغر . وصلاح ستيه . وكتاب مصر وفنانيها ونقادها بدر الدين . وبيكار . وشاكر عبد الحميد . وزهران سلامة . وفاروق البقيلي . وإدوار الخراط . ومختار العطار . فإن جورج البهجوري أراد لما كتب أن يكون سيرة (رواية) . وإبداعاً خالصاً . وفي الجزأين اللذين صدرا عن دار شرقيات أيقونة فلتتس (٢٣٠) صفحة من القطع الصغير وأيقونة الفن (١٩٠) صفحة من القطع الصغير) قدم لنا عملاً روائياً كاماً . حتى أنه كمؤلف اختفى وراء قناع البطل شخصية فلتتس الأيقونة الرمز لاسمه .

أما المقارنة الأكثر وضوحاً فهي تلك التهممية التي تضع في عمل البهجوري . فهو لا ينسى أنه الساخر الأعظم . وأنه رسام البورتريهات التي تضج بالمالفة . وإذا شئنا أن نقتطف من الأمثلة فيضييق المقام والمقال . فالبهجوري . بفضل حرية الحكي التي تمنحها الصبغة (الرواية) لعمله . أعاد تركيب حياته من جديد . واضعاً على هواه شخوصه تحت بشرط اللغة الساخرة والنافذة في آن

واحد. والأمر عكس رزق الله الذي يضع خطوطاً عريضة بين ما حدث وما يصل إليه. وبينها دائمة إلى أنه فيلسوف الفن. والحق أن الحياة والأدب والفن تحتمل الوجهين معاً ولا تستغنى عنهما.

وإذا كان لنا أن نراهن على مقارنات أخرى، فسنجد أن البهجوري قد أعطى مساحة أكبر لطفولته وصباه. ونشاته، وأقاربه. ربما لأن مساحة التخييل الروائية ستكون أكثر رحابة مما لو بذلها لمجاليليه ومعاصريه. وهو عكس ما حدث لدى رزق الله الذي كرس آراء نقدية وتقديمية كثيرة تجعله شاهداً على عصره الفني والأدبي. ولم ينس أن يتجاوز التعليق على مجاليله من سنه. كنوع من المحاذير التي وضعها لنفسه. والقيم التي يفرضها بصرامة على قلمه حتى تصبح عادة فيه.

واليم أن رزق الله والبهجوري اتفقا على كون الرحلة الباريسية قد جعلت مرحلة ق. ب (قبل باريس) غير المرحلة بعدها. لقد كانت باريس لكتيهم ببداية مختلفة. وميلاً جداً. بعد أن وصل رزق الله إلى باريس وفي حوزته عشرون فرنكاً. هي كل ما تبقى لديه من المائة فرنك و٣٣ دولاراً المسموح بخروجهما من مطار القاهرة. رسم الفنان ١٠٠ لوحة كولاج صغيرة. في ثلاثة أيام. ودعت صديقتها نيكل إيتير الذي نزل ضيفاً عليها. الأصدقاء لمشاهدة عدل الذي حدثهم كثيراً عنه.

وذهلوا بجمال ما رسم عدل. وجنوا أكثر عندما عرفوا أن السعر المطلوب لللوحة هو ثلات فرنكات فقط. وكانت البداية التي قادته من نجاح فني إلى نجاح على مستوى تسويق عمله. عمل الفنان يومياً وبشغف. وبهجة. كالمسحور المأخوذ يسأل نفسه: هل جاءني الفن أخير؟

أما رحلة بهجوري فقد كانت بدايتها مع رؤية الأعمال الخالدة على طبيعتها (بعد أن تعجب من رؤيتها على صفحات الكتب التي كان يستعيرها من المكتبة ويعيدها ممهلة فيعاقبها أمينها). وفي المقطع التالي من سيرة رزق الله نقرأ باريس من خلال الفنانين: كنت أسير أنا وصديقي جورج البهجوري بشارع سان جيرمان بالحي اللاتيني تبادل الحديث. وفاجأني قائلاً: أنا سعيد بك لأنك معنا الآن في باريس تبحث عن العالمية. أجربت ساخراً: صديقي جورج إن هذه الكلمة زائفة وهي لا تعنوني في قليل أو كثير. اشمنط مني جورج قائلاً: كيف لا تعنيني؟ قلت له صدقني إنها كذبة كبيرة يروج لها البعض عن عدم فهم. ويروّج لها البعض الآخر عن سوء قصد.رأيت في عينيه أنسني سببته له مشكلة وضيقاً لم يكن يتوقهما مني. مقاجنا قلت له: أنظِ يا جورج الدم تحت قدميك. باخته كلامي فنظر تحت قدميه فلم يجد شيئاً. قلت له صدقني إن دم "موديلياني" و"فان جوخ" و"سيزان" وقافلة كبيرة من الفنانين المخلصين قد أریقت على هذه الأرض ولكنها جفت الآن ولا نراها ولكنني

أحسها بقلبي... باريس ستخدعك كثيرا. إنها متحف كبير نعم. نحن فيها نرى ونشاهد ونفهم ونتعلم ثم نرحل وكفى.

عندما قرأت هذه المحاورة في سيرة رزق الله، تذكرت ما كتبه اللباد إلى جورج البهجوري مرة: كلنا نحب باريس. لكن باريس - يسأل - بتحب مين؟ لقد آمن رزق الله واللباد أن لدى العرب ما يقدمونه. عملا على أن يكون مختلفا ومميزا. يقول رزق الله: أحببتك يا باريس لكن مصر هي القلب والنبع. فليكن ولتكن العودة واتخذت القرار.

تمثل البهجوري لأبيه عبد المسيح أستاذ اللغة الانجليزية جعله يفسح له صفحات كثيرة حتى لنکار نؤمن بأنه المثال الذي وضع الكاتب على لسانه آرائه. يقول الأستاذ عبد المسيح لتلاميذه: سيأتي اليوم الذي ينبغ فيه أولاد مصر في أنحاء الكرة الأرضية. فتراثنا عريق. وذكاء الجيل القادم سيكون له شأن كبير في نشر هذا التراث. سيكون من أبنائكم العالم والمؤرخ والطبيب والعلم والباحث والفنان. سينتشر أبناؤنا في أنحاء المعمورة يرفعون علم مصر في بلاد الفرنجة. فالمعدن المصري أصيل والاجتهاد والثابرة موجودان؛ لذا اتصحكم بالاهتمام باللغة الأجنبية هذه فهي سلاح جديد للنجاح في الحياة والتفوق فيها. وعند وفاة هذا الأب. وكان الأمر جزء من فيلم مكتوب بعنابة شديدة. يضع صبي صغير يده خلسة في سترة الأب الراقد وسط أفراد الأسرة. فينهره والده ولكنها يعثر في جيب السترة على قطعة طبشير بيضاء.

الفترتان اللتان يوليهما البهجوري اهتمامه. بعد طفولته وصباه. هما فترة دراسته بالكلية. وفترة عمله بمؤسسة روز يوسف. وينتهي البهجوري الفرصة ليخرج قليلا من عباءة الراوي ويلبس ولو قليلا معطف المسارد لهاتين المرحلتين. وفي المراحل الثلاثة يسهل البهجوري كثيرا في سرد كل ما له علاقة بالجنس. عن النساء اللائي رأهن خلسة وساهن. وفي احتفالية التخرج على طريقة الأصدقاء الخاصة. يقررون اختبار الجنس تحريريا بعد أن كان طوال سنوات الفنون الجميلة شفافيا. وحين يأتي دوره ويدخل غرفة نومها. لكنه لا يرتكب معها ما يشين. يكتفي بلحظه الأولى معها. فيتملص منها ويقبلها على الوجنتين شاكرا. لقد كرمه زملاؤه بدخوله قبلهم لكنه يتركها وكأنه يغسل يديه في ماء العفة..

المهم يبدأ التباين بين الكاتبين عندما يرد ما يشير إلى الجنذر الدينية المسيحية. فرغم أنهما لا يفصلان بينها وبين ما لدى المجتمع المصري من صفات وملامح واعتقادات إيمانية وحياتية. نرى

تأكيد عدلي على مصراته قبل أي تصنيف آخر. وعندما قلت له في حوار هاتفي لهذا وضعت صورة زوجتك سهير في جامع السلطان ممتن كتابك. أجابني بدهشة الطفل: هذا أحب الناجد إيه. وواهه لم أحظ ذلك الاختيار.

لا يوجد فن قبطي وآخر مسلم. هناك فن مصرى. نعم، أنا ضد التصنيفات. وحرست في سيرتي أن أكون هكذا. هكذا يؤكد لي عرق الله على الهاتف. وفي مقطع من كتابه وضع له عنواناً: حادثة صغيرة. يقول: كانت ابنتي تمر على يدي وعمرها أربع سنوات حين وصلنا فجراً مطار القاهرة.. ركبنا لوزين معاً وفي ميدان قصر الظاهر جاءنا صوت مؤذن الفجر جميلاً. وهادئاً. ومؤمناً. صرخت تمر بفرنسية رصينة. كانت لا تعرف وقتها العربية: بابا ما هذا المجنون. أنه يغنى ليلاً. ردت بالعربية التي لا تفهمها: عندي حق يا بنتي أرجع بيكي. سألهي السائق عما جرى بيمني وبين ابنتي. ضحك عندما شرحت له. عندما أحكي لتعم الحكاية تحشك الآن من نفسها فقد عرفت أنه مؤذن الفجر. واعتبرته فلأ حسناً لعودتنا ومقابلة بها حسناً مساوياً.

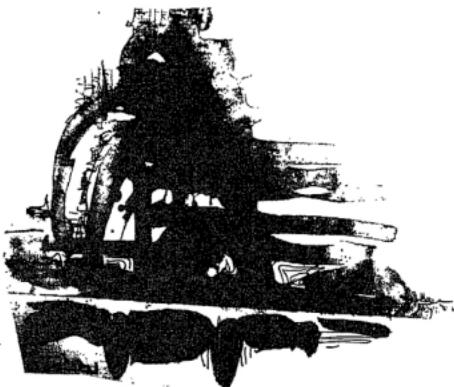
البهجوري يضع أقدامنا على بوابة عالم الأقباط في مصر. مؤكداً كلما أسعفته الحكمة والتفاصيل على مصرية ما يكتب ويحياً وامتراجهما. يقول: المجتمع المصري والقطبي بشكل خاص يفرض على المتزوج أن يتزوج شقيقها أيضاً! ونلاحظ الربط بين أيقونات مصر في النيل والمعبد والمسجد والكنيسة وكانتيه المسيحيين. يقول: بقى معبد الأقصر في حضن جامع قبيم يطل على النيل. لم يكن يعرف عندما دعاها لدخول المعبد أن جداراً من النحت البارز يحكي قصة الله (من) إلى النيل... تلك الليلة نامت في حضن الرجل الذي جمعتها به الكنيسة في لقائهما الأول. جاءت معه إلى الصعيد. إلى بلدته الأقصر. تعطيه جسدها وهي تحمل بصورة الله (من) في معبد الأقصر. وقد صهرتها أشعة إله الأخصاب الشمس. فأصبح جسدهما قطعتين من الجمر. تحت ضوء مصباح الجاز الكبير خلف المشربية. ويقول: متابعة الصلة. هكذا علمتنا أميناً من الصغر أن نكون على علاقة دائمة بالرب. ويسرد البهجوري عن يوم الأحد في كنيسة عزبة الأقباط: يرتدي الصبية الصغار ملابس الشمايسين المزركشة بصورة الصليب المكررة. يغدون وينشدون باللغة القبطية ألحاناً أصيلة تعود إلى أناشيد الكهنة وملوك آلهة الأسرة الثالثة. أكثر من ألف عام قبل الميلاد. أما في أعياد الميلاد وأعياد الغطاس فالطلقوس القبطية القديمة تصبح مهاصرة ومحدودة. وفي أعياد الزعف السابقة لأعياد القيامة يحمل الصغار زعافات قلب النخيل الأبيض ويجلسون على النوافذ وعلى درج البوابات يجدلون منها أشكالاً



جميلة تساعد على الحب والسلام والآيمان. والأب عبد المسيح محبوب من الشيخ مختار (ليس لأنك تعطي دروساً لابني في لغة أهل الفرنجية. ولكن، لأن لك قلب مسلم... ويؤكد البهوجوري في ثنايا حكاياته على أن حرص الأقباط على قربهم من بعضهم البعض. كان مجرد فكرة (تقليدية): كانت أمنية الصعايدة أمثالنا القادمين من قرى الجنوب. أن نحقق المسكن والإقامة في العاصمة والزواج منها. كما كان التفكير التقليدي هو اختيار ضاحية شبرا حيث يتجمع فيها أكبر عدد من أقباط مصر. ويقول أخيراً: الليلة هي ليلة المولد النبوى.. فلتتس بفارحة كبيرة شقيقه هنا للخروج إلى وسط البلد والاستمتاع بليلة العيد.. الأنوار في كل مكان والسرادقات والأفراح. يخرج فلتتس عن صمته وهدوئه يهلهل ويصفق في شوارع منفو وسط زفة المولد وأقبال جوقة من مداحي الرسول بملابسهم الزاهية المزركشة والزحام حولهما يفرقان فيه وجبات المطر تطير فوق الرؤوس وتتساقط على الأرض.

في الخاتمة بقيت ملاحظة. هي ما لمسته فيما قرأت من الوفاء النادر للفنانين. كلّيهما. لكل من أضاف إليهما. أو ساعدهما. ويبعدوا أن الاحتفاء بهذا الوفاء النادر أصبح واجباً. فيما تغوص أقدامنا في برّك من القطيعة بين الأجيال. بل وبين أفراد الجيل الواحد. وبعد. فلم يكن القصد من وراء ما سردت مقارنة بين المبدعين. والعملين. فهي مقارنة لا تستوي -إن جرت- إلا على الورق. وإنما أردت المقال تحية للأصدارين. ودعوة لجميع الفنانين والكتاب لامتناعنا بسيرهم الذاتية. لأنّهم ذاكرة مصر والأمة العربية.

أدب ونقد



ليس في البداع درج

طه سالم

«الحكم على الإبداع بمنظور ديني أخلاقي» هو القاسم المشترك الأعظم فيأغلب حالات كتب الرأى ومصادر الإبداع ، التي وقعت في حياتنا الثقافية المصرية والعربية في الآونة الأخيرة ، بدءاً من محاكمة مارسيل خليفة وليلي العثمان وعالية شعيب ، ومروراً بمحاكمة إبراهيم نصر الله وببس صلاح الدين محسن ، ومصادر رواية حيدر حيدر «وليمة لأعشاب البحر» ومصادر ثلاثة روايات هي «قبل وبعد» لتوفيق عبد الرحمن «أحلام محمرة» لمحمود حامد «أبناء الخطأ الرومانسي» لياسر شعبان وانتهاء بفتوى تكفير حيدر حيدر ، ومصادر كتب الشيعة وكتب أخرى من معرض القاهرة الدولي للكتاب في دورته الثالثة والثلاثين ومحاكمة د. نوال السعداوي والشيخ خليل عبد الكريم.

ولهذا فسوف تترك السطور القادمة على مناقشة ذلك المنظور الديني في مقاربة الفن والأدب . وينطلق هذا المنظور من ثلاثة أساس رئيسية :

الأساس الأول قانوني يستند على قانون- أو شبهة قانون -الحسبة ، الذي به حكم كثير من الكتاب وأوقفت عروض مسرحية وسينمائية (مثل نصر أبو زيد ، وفيلم المهاجر ، وكتاب ليس عوض «مقدمة في فقه اللغة العربية») . وهو القانون الذي استند إليه محمد عباس (كاتب جريدة الشعب) الذي فجر زوبعة «وليمة» حيدر ، والذي خشي فاروق حسني ، وزير الثقافة المصرية ، من أن يعتمد عليه مقدم الاستجواب في مجلس الشعب ، فقام بإجراءات العسف التي فجرت الأزمة ، والذي استند إليه رافعو الدعوى القضائية على د. نوال السعداوي بسبب آراء قالتها في حديث صحفي حول عملية الحج من وجهة نظر التصوف وعلى خليل عبد الكريم بسبب كتابه «سنوات التكوير في حياة الصادق الأمين».

والأساس الثاني فقهي فكري يستند على محاكمة ألفاظ الأدب بالألفاظ القرآن ، فيمنع أهل اللغة العربية من استخدام ألفاظ وردت في القرآن المقدس ، حتى صارت الألفاظ مقدسة.

والأساس الثالث تاريخي ماضى يستند إلى القول بمرجعية تراثية يلزم أن تكون هادينا الوحيد في الحاضر والمستقبل.

«الحسبة» لا وجود لها في القانون الوضعي والأهم أنه لا وجود لها في التشريع الإسلامي ، ويمكن مراجعة بحث المفكر الإسلامي المستير د.أحمد صبحي منصور في ذلك، حيث يقول في دراسته «الحسبة بين القرآن والترااث»، أن مصطلح الحسبة مصطلح مستحدث في تاريخ المسلمين من الناحية اللغوية ، وأنه لم يرد في القرآن الكريم وقد جاء في بعض الأحاديث التي تم تدوينها في العصر العباسي لتعبر عن العصر العباسي وعقائده ومصطلحاته ، والتي تختلف القرآن وعصر النبي عليه السلام. وأن هذا المصطلح اللغوي عن الحسبة كان يعني التطوع الشخصي ، ولا يعني التدخل في حياة الآخرين ، فالتدخل في حياة الآخرين له تشريع خاص في الإسلام الحقيقي ، كما أصبح له تشريع خاص في تاريخ المسلمين ونظامهم السياسي ، والتشريعان مختلفان.

ويؤكد د. منصور أن وظيفة المحاسب لم يعرفها عصر الأمويين مع أنهم كانوا

يقتلون أعداءهم من الخارج والشيعة والموالى بمجرد الظن والاتهام . وأن عصر العباسيين ، بما فيه من فتن وصراعات سياسية ، هو المناخ الذي تمت فيه ولادة حدة الردة وأقيمت وظيفة الحسبة .

ولأنه لا يوجد في الإسلام ولا في سيرة النبي عقوبة للمرتد ، فقد تكفل فقهاء الدولة العباسية باختراع جديدين لمعاقبة المرتد ، وأنه لا توجد في الإسلام وظيفة المحتسب فقد عثروا على موضوع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليكون مبرراً تشريعياً لوظيفة الحسبة .

ويقند د. منصور هذا البر المبر الشريعي بتاكيده على أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في تشريعات القرآن له ملامح مختلفة عن تشريعات الحسبة الفقهية ، فالامر بالمعروف أمر قوله تعالى والنهي عن المنكر نهي قوله ، أي نصح وإرشاد باللسان ، فإذا أصرّ الشخص على رأيه فهذا شأنه طالما لا يمتد ضرره إلى الغير وحقوق الناس في الدولة والأموال والأغراض ، ويكون الاعراض عنم يختار الصلاة انتظاراً لحكم الله تعالى يوم القيمة .

ومع كل ذلك ، فقد أصبح تشريع الحسبة (الذى بمقتضاه يستطيع أى مواطن أن يقيم دعوى قضائية ضد أى مواطن آخر ، بوصف الأول نائباً عن التقاليد وأداب الأمة والدين ، وبوصف الثاني خادشاً للتقاليد وأداب الأمة والدين) سيفاً مسلطاً على رقاب المبدعين والمفكرين ، بل أصبح سيفاً مسلطاً على رقاب المجتهدين داخل سياق الدين الإسلامي نفسه (مثل محمد سعيد العشماوى وخليل عبد الكريم وعبد الصبور شاهين وجمال البنا وصباحى منصور وغيرهم) .

ولكل ذلك ، فإن على الحركة الثقافية المستبررة -المصرية والعربية- أن ترفض قانون الحسبة مطالبة بإلغائه كلية ، إنطلاقاً من:

أ- إن الحسبة ليست قانونية ولاشرعية.

ب- إن القوانين العادلة فيها ما يكفى لمعاقبة أى اعتداء على المقدسات أو المعتقدات أو الأخلاق أو الدين.

ج- إن الحسبة كثيراً ما توظف فى تخلیص التارات الفكرية أو الشخصية.

د- إن الحسبة عقبة كثيرة فى طريق حرية الفكر والإبداع والاجتهاد التي كفלה

الدستور ، أى أنها غير دستورية.

هـ- إن الحسبة ساقية جهنمية ، يمكن لسيفها أن يدور على رقب فرسانها أنفسهم وهو ما وقع بالفعل عندما رفع الشيخ يوسف البدرى دعوى حسبة ضد د. عبد الصبور شاهين وكتابه «أبى آدم» وقد كان الشيخان ، البدرى وشاهين ، حليفين كبيرين فى إقامة قضية الحسبة ضد نصر حامد أبو زيد ، التى انتهت بالحكم بارتداده وتطليقه من زوجته ، وتسبيب فى هجرته إلى هولندا.

و- إن نقل الحسبة من يد أى مواطن إلى يد النيابة (وهو النقل الذى حدث بعد واقعة نصر أبو زيد، متصرف التسعينيات) لا يعدّ تقدماً جوهرياً. وكان المثقفون قد ارتأوا لهذا التعديل ، الذى ينبع بالنيابة تحديد جدية الدعوى من عدمها، غير منتبهين إلى أن ولاية النيابة (أو السلطة) ليست أقل سوءاً من ولاية الأفراد المتطرفين من أهل الإسلام السياسي، حتى وإن وقفت النيابة بعض المواقف النزيفية النادرة (كما حدث مؤخراً في حالة د. نوال السعداوي).)

لغة القرآن مقدسة ، لكن اللغة العربية التى يتحدثها الناس(العرب) ويكتبونها ليست مقدسة. الأولى مقدسة لأنها لغة السماء بمن صنع الله، والثانية غير مقدسة لأنها لغة الأرض بمن صنع البشر.

وعلى ذلك ، يتوجب علينا أن ننهى الخلط المغرض بين اللغتين ، الذى يقوم به المتطرفون - ومن لف لفهم من مفكرين أو رسميين عمداً- حينما يصفون على الثانية مسحة من قداسة الأولى ، حتى تظل أجزاء من لغة الأرض مربوطة بلغة السماء أو مصادرها لحسابها أو باسمها وهو الأمر الذى ينطوى على خطير جعل كلمات من لغة الكلام البشري السياق محرمة على أهلها من البشر العاديين.

ومن ثم ، ليس هناك في لغة الناس العربية التي يتحدثونها أو يكتبونها ألفاظ مقدسة أو محظوظ عليها أو محظورة الاستخدام الاعتيادي ، الأرضي ، المعاشى ، مجرد أنها وردت في لغة القرآن الكريم.

من عجائب هذا النزوع الضيق حالتان : الأولى هي اتهام الشاعر الأردني ابراهيم نصر الله بخدش الدين لأنه أنسنمي ديوانه الجديد «بسم الأم والابن» وهو اتهام

يتجاهل أن المسيحية تقول «باسم الآب والابن والروح القدس» ، وأن كل الزعماء يلقون خطبهم «باسم الشعب» ، وأن إسقاط الألف فى رسم كلمة «بسم» ليس من صنع الله، تكون مقدسة مقصورة على الله وحده، بل هي من صنع المدونين الذين «دونوا» القرآن الكريم. والثانية هي اتهام كاتب هذه السطور بالسخرية من «الفقه» الإسلامي لأنه أسمى ديوانه «فقه اللذة» ، وكأن لفظة «فقه» موقوفة الدينية على المعنى الديني وحده ، بحيث يغدو حراماً أن نقول «فقه السعادة» أو «الفقه الدستوري» أو «فقه الثورة». فهل تم احتكار مفردة «فقه» -يعنى بهم أو إدراك أو نظرية- لصالح المعنى الديني لا سواه؟ وهل رافعوا مثل هذه الاتهامات يدافعون بحق عن حرمة الدين أم يدافعون عن حرمة مختلفة؟.

إن النتيجة المدمرة التي يؤدي إليها منطق حجز بعض الكلمات عن التعامل اليومى -الأدبى أو غير الأدبى- لمجرد ورودها فى القرآن ، هي أن نغلق أنفاسنا عن كل الكلام ، لأن كل الكلمات قد وردت فى القرآن وهو ما ينتهي بنا إلى الخرس . ومؤدى هذه النتيجة -فى أهون الأحوال- هو أن تتعطل لغة الحياة الدنيا تعطلاً كاملاً أو جزئياً ، إذ يصير حراماً أن نصف شيئاً أو عملاً أو شخصاً بأنه عظيم أو قدير أو كريم ، لأن هذه الأوصاف وردت فى القرآن الكريم ، بل إنها بعض من أسماء الله الحسنى . وقد حدث بالفعل نموذج من هذا التحرير ، حينما أ Hatch المفكر الاجتماعى الاقتصادى المعروف د. جلال أمين ، منذ عامين ، على أن نصف الأديب المبدع بأنه «خالق» ، لأن «الخالق» هي صفة الله وحده !.

إن لغتنا العربية هي لغة البشر العاديين ، صنعتها البشر العاديون ويستخدمها البشر العاديون ولهم حق تطبيقها وتطويرها كما يشأون ويساء لهم تقديمهم العقلى والاجتماعى والحضارى .

واللغة مجاز كلها ، بما فيها لغة القرآن نفسها ، ولذا فإن إلصاق أوصاف أو أعضاء بشرية لله ليس محرماً ولا غاصباً من قداسة الدين ، بل هو آلية رمزية من مقتضيات الشرح والتلميح والتفهيم ونحن نعرف أن القرآن ذاته قد ورد فيه كثير من ذلك ، فالله فى القرآن له وجه ويد وكرسي وهو يمكـر ، بل خير الماكرين ، وهو يمشى باعاً ملـن يمشى إليه ذراعاً . كما أثنا نعلم أن مسألة التجسيد والتشبيه كانت إحدى المسائل

الكبير في السجال الفلسفى والفكري بين الفرق الإسلامية ، تلك الفرق التي نزهت جميعها الله عن التجسيد ، لكنها أولت الأمر كله على أنه لون من ألوان الرمز والمجاز والبلاغة التي تهدف إلى تقرير المعانى إلى أفهام المسلمين «لعلهم يفقهون» .
وفضلاً عما تقدم «فإن الألفاظ ليست شريفة أو رذيلة بذاتها ، وإنما تقيم الألفاظ بسياقها الكلى وبالمعنى الأعم الذي تشارك في تأديته مع غيرها من ألفاظ . ولو كان ورود اللفظ المذموم أو الجارح أمراً محظياً لما وردت في القرآن كلمات حول المسألة الجنسية أو أعضاء التنااسل عند المرأة ، مثل النكاح والفرج والدبر والإتيان وغيرها . ذلك أن الاعتداد إنما يكون بالإطار الذي ترد فيه الفكرة وبالهدف من الجملة كلها ، وليس الاعتداد بالكلمة في ذاتها معزولة مقطوعة .

وقد أفادنا الجاحظ -المفكر التراشى الراكن- إفاده بالغة في هذا الصدد ، حينما انتقد في رسالته «مفاسخة الجنواي والفلمان» أولئك الذين يستثون على الناس بدعوى التدين ، موضحاً أن «بعض من يظهر النسك والتقصيف ، إذا ذكرت أعضاء الرجل أو المرأة تقوز وانقبض ، وأن أكثر من تجده كذلك فإنما هو رجل ليس معه من المعرفة والكرم والنبل والوقار ، إلا بقدر هذا التصنعن . وشرح الجاحظ رأيه بقوله: «إنما وضعت هذه الألفاظ ليستعملها أهل اللغة . ولو كان الرأي لا يلفظ بها ما كان لأول كونها معنى ، ولكن في التحرير والصون للغة العرب أن ترفع هذه الأسماء والألفاظ منها». يتضح لنا ، إذن ، أن الذين يصرخون ضد المبدعين بسبب ورود بعض هذه الكلمات -في سياقات فنية وفكرية ذات دلالة أعمق من ظاهرها الفظ- إنما يكيلون بمكيالين ، ويدلسون على أنفسهم وعلى القارئ وعلى الدين جميماً . وهو التدليس الذي ينطوى- ضمن ما ينطوى -على سعي هؤلاء إلى احتكار اللغة . لصلحتهم وأهدافهم ورؤيتهم ، بينما اللغة بين أهلها سواء إنهم سبعة أو سبعين . يريدون أن يملكون ما لا يملكون وهذا هو عين «الاغتصاب»!

يرفع أصحاب التضييق على الإبداع والفكير شعار «المرجعية الدينية التراشية» كمعيار للحكم في مثل هذه القضايا الشائكة . ولنا على رافعى ذلك الشعار الملاحظات التالية:

- (١) ليست هناك، في حياة أي شعب ، مرجعية ثابتة خالدة مطلقة، على مر العصور والمراحل والأزمان . فكل جماعة بشرية تغير من مرجعيتها الثابتة وتعدل من مبادئها الجامعية، حسب عصورها المختلفة وتطوراتها المتتابعة.
- (٢) بافتراض ضرورة وجود المرجعية الدينية التراثية ، فإن أصحاب ذلك الشعار يقصرون تلك المرجعية على ألف وخمسمائة عام فقط من تاريخ الشعب المصري الطويل- هي عمر المرحلة الإسلامية -متجاهلين بذلك آلاف السنين السابقة ، التي حفلت بالمرحلة الفرعونية والمرحلة القبطية.
- (٣) وإذا قصرنا المرجعية على «المرجعية الدينية الإسلامية» وحدها ، سنجد أنها «حملة أوجه» -بتعبير على بن أبي طالب- تعطى لكل تيار من التيارات الإسلامية المتعارضة سندًا شرعية أصلياً . وسنجد أنها منقسمة إلى شيع وفرق ومذاهب ، يحل بعضها ما يحرمه الآخر من أصول والعكس ، ويقتفي بعضها بغير ما يقتفي به بعضها الآخر في مسائل تعد من الأسس ، بل وينفي بعضها البعض الآخر ، زاعماً جدارته الوحيدة في تمثيل المرجعية السليمة التي هي «صحيح الدين».
- (٤) وبذلك صار شعار «المرجعية الدينية الإسلامية» كلمة حق يراد بها باطل ، إذ تستخدمنه فرق بمفهوم وتستخدمه فرق أخرى بمفهوم مختلف : فمراجعة معاوية غير مرجعية الحسين ، ومراجعة الفزالي غير مرجعية ابن رشد ، ومراجعة الحجاج غير مرجعية الأشعري ، ومراجعة الشيعة غير مرجعية السنة ، ومراجعة جمال البنا غير مرجعية عبد الصبور شاهين ومراجعة السلطة غير مرجعية الناس ، ومراجعة طالبان غير مرجعية كمال أبو المجد.
- (٥) أما أهم ملاحظة نقدية على هذا الشعار، فهي التي يلخصها السؤال التالي: لماذا يقتصر مفهوم المرجعية على البعد الديني فيه؟ لماذا لا يتسع كذلك للتراث التاريخي والفلسفى والمعمارى والفكري؟ ولماذا لا يتسع للقيم الإنسانية التى تسعى الشعوب إلى تحقيقها : الحرية والعدل والتقدم؟ .
- القضية إذن ، هي أعمق من أن يتصادر وزير ثالث روایات ومن أن يهاجم كاتب إسلامي روایة حيدر حيدر ويفتش في الصور الشعرية عن الخادش للحياء والخلق الحميد ، ومن أن يشن متأسلمون بكتابية مستنيرة أو شيخ مجتهد ، قد يخطئ فيكون له

أجر وقد يصيب فيكون له أجران، أو يشوا بعنوان ديوان شعري «بسم» الفضيلة القضية في جوهرها الغائز هي ولادة المعيار الديني والأخلاقي في الحكم على الأدب من ناحية وهي غياب «التسامح» الحق- أي وجود الرأى الآخر مهما كان مختلفاً- في الحكم على اتجهادات الفكر من ناحية ثانية.

في الناحية الأولى- ولادة المعيار الديني على الأدب- يمكن الخطر في عدم الفصل بين الاختصاصات، ففي حين أن الحكم على الأدب هو عمل التقادم القراء، نجد أن الاختصاص يتضارب ، ليصبح المفتى في الأدب هو الشیخ ، والجنرال .

وفي الناحية الثانية- غياب التسامح في الفكر- يتغافل الجميع عن بيتي أبي نواس القائلين:

قل لمن يدعى في العلم معرفة
حفظت شيئاً وغابت عنك أشياء
لاتحضر العفو إن كنت امرأً حرجاً
فإن حظرك بالدين إزاء

ثم إن القضية في جوهرها الغائز هي وجود نصوص عديدة في أبنيتنا الدستورية والقانونية تساهم في حدوث وتقاوم ذلك التداخل في الاختصاصات ، في الأدب والفكر مما ينتج بالحتم حمى التكفير والتخوين والمصادر .
ما العمل؟.

العمل فيرأى هو:

(أ) السعي إلى إدخال التعديلات الدستورية والقانونية التي تجعل معيار الوطنية هو الرابطة «المواطنية» لا الرابطة «الدينية»، والتي لا تجعل محاكمة الأدب بمعيار الدين والحلال والحرام عملاً مشروعاً تستنده القوانين.

(ب) السعي إلى إحلال المرجعية المدنية الحديثة -المستقاة من الماثيق الدولية لحقوق الإنسان- محل المرجعية الدينية، حتى يغدو «الدين لله والوطن للجميع» ، وحتى تنقادى الملاحظات التي سقناها -منذ قليل- على المرجعية الدينية (مع كامل الاحترام والتوقير لكل الأديان).

(ج) السعي إلى فض التحالف العتيد بين الاستبداد السياسي والاستبداد باسم

الدين ، ذلك التحالف الذى كشفه جمال الدين الأفغاني من قبل فى « طبائع الاستبداد » ، حتى لا يتقوى هذا بذلك ، وحتى لا يظن فريق من الشعب أنه وكيل الله على الأرض ، ولا يظن فريق من أهل الحكم أن مخالفة نظامه مخالفة لله وعلى ذلك فلا ينبغى على المثقفين الديمقراطيين أن يراهنوا على « تنويرية السلطة السياسية »، فتنويرية هذه السلطة السياسية لم تكن يوماً اختياراً مبدئياً استراتيجياً ثابتاً ، منذ واقعة « الإسلام وأصول الحكم » في العشرينات وحتى الدفاع عن وليمة حيدر بإغلاق حزب العمل وصفيحته « الشعب »، في مطلع القرن الحادى والعشرين . كما لا ينبغى على النخبة المثقفة أن تستتجد بالسلطة السياسية إزاء أية أزمة فكرية ، كما حدث من الطرفين المتقابلين فى زوبعة وليمة . وقد رأينا أن الحكومة عصفت بالطرفين : أغلقت حزب العمل وجريدةه ، وصادرت الرواية وقدمت المسؤولين عن نشرها إلى النيابة وهو ما يؤكد أن هدف الحكومة إنما هو صيانة السلطة وليس صيانة الدين أو صيانة الاستقرار.

(د) السعى إلى ترسیخ رؤية متحضرة ترى أن الضرورات تتبع المحظورات ، في الفن ، كما في العلم ، والمرض ، والدين . وضرورة الفن المقصودة هنا هي ضرورة أن يكون حراً ، ومشرياً للنفس ، وكائفاً للعورات النفسية والاجتماعية والأخلاقية .

(هـ) تطوير نظم التعليم - الأساسي والجامعة - حتى تتسع لتدريس المذاهب الفكرية والدينية والجمالية المختلفة لما تأخذ به من مذاهب رسمية - في الفكر والدين والفنون - حتى تتعمق لدى الأجيال الجديدة حصانة القدرة على التمييز والقبول والرفض ، بدون وصاية علوية شعارها القاهر يقول: « أيها الشعب ، أنت قاصر غير راشد ، دعنا نختر لك الطيب ونبعد عنك الخبيث ».

(و) ينبغى ألا نخلط بين رفضنا التقدي للعمل الأدبي أو اختلافاً العقلي مع العمل الفكري ، وبين ضرورة دعم مبدأ حق ذلك العمل - الأدبي أو الفكرى - في الوجود . الموقف السليم - إذن - هو أن ندافع عن حق الكاتب في عرض رأيه ، وأن ننقد (بل ندحض) هذا الرأى إذا كان مخططاً أو منحرفاً أو ضاراً ، علي أن يكون ذلك الشخص قوله بقوله ، وقلماً بقلم ، ومناجزة بمناجزة ، وليس بالنفي أو التكفير أو الحبس أو المصادر .

أدب ونقد

وثيقة



بين البر والبحر

مصطفى عبد الرزاق

في مطلع يناير سنة ١٩٣٧ ، نشرت (مجلتي)
 أصحابها ومحررها وطابعها وناشرها أحمد الصاوي
 محمد ، مقالاً للشيخ مصطفى عبد الرزاق ، عن رحلته
 إلى مرسيليا.

المجلة التي كان من بين كتابتها طه حسين وتوفيق
 الحكيم وحسين فوزي وإبراهيم ناجي وإسماعيل مظہر ،
 احتفت بالمقال الذي احتفى بيوره بأحد بيوت الله ،
 كنيسة مرسيليا الشهيرة : نوتردام ده لاجارد .
 التحرير

اشتقنا إلى البر بعد أن عشنا في البحر أربع ليال ، على أن سفر البحر الذي ،
يبعدك عن الأرض وما فيها من جن وإنس ، وكأنما يبعدك عن السماء وما فيها من
ملائكة وعوالم علوية ، ولعل أهنا العيش ما كان بعيداً عن الجن والإنس والملائكة .

تستطيع في البحر أن تعرف لذة المطالعة في سعة من الوقت وهدوء وصفاء بال
وتحتاج أن تعرف لذة النوم في الهواء الخالص الطلق وأنذ الاستيقاظ في كرسيك
الطويل من غير نوم ، لا يشغل بالك شاغل ، ولا يقطع أحلامك زائر ، وتستطيع أن
تلعب القمار وغير القمار ، وأن تستمتع بالحديث والسمير ، وتستمتع بظلام الليل وبغيش
السحر .

قد استمتعنا ببعض ذلك -والحمد لله- ثم غدونا إلى مرسيليا صباحاً وكان مع كثير
من سجاير مصرية يريدون أن يمرروا بها من غير أن يؤدوا إتاوتها ، وتلك عقبة لا يذللها
إلا ما في عمال الجمرك الفرنسي من ظرافات تكلف قروشاً معدودة . ولما خرجت من
الجمرك بما معى من السجاير شعرت بوخز في مكان الفضيلة من نفسي ، إن هذه
هناك مهما تحملنا لها من أذار لا تخلو من غمز في قناعة الخلق .

زرت في مرسيليا كنيستها الشهيرة -نوتردام د لاجارد- القائمة على ربوة عالية
تشرف بك على المدينة كلها ، وترى فيها صورة ذات ألوان بدعة مرسومة بشوارعها
وحدائقها ، ونجادها ووهادها ، وضواحيها والبحر الأبيض المتوسط حولها نطاق من
سندس أزرق .

صعدنا في مصعد تارة ، وتارة على أقدامنا ، حتى بلغنا المعبد ، وكانت أحஸبني لا
أرى إلا جانب يزورون الآثار الفنية ، ويشهدون منظر المدينة البديع من ذلك المكان
العالى . لكنني رأيت في نواحي هذه الكنيسة الصعبة المرتفق في جوف ظلامها
المؤنس الرهيب ، عباداً يخرون للأذقان سجداً في خشوع وإيمان ، متوجهين إلى ربهم
بقلوب تدفعها صدمات الحياة ، إلى التماس العزة في كنف رحمته ، في سذاجة لا
يعرف الشك سبيلاً إلى يقينها . فاللهم إيماناً كإيمان العجائز . أليس الدين جميلاً في
إخلاصه ويقينه وجميلاً فيما يمسح من آلام البشر بيمينه؟ إنما يشوه الدين أولئك الذين
يريدونه كيداً وتضليلًا وقيداً للعقل والقلوب ثقلاً .

زرتنا بيت الله في الضحى ، وعند الأصيل ، خرجنا إلى متنزه مرسيليا الأكبر» الكورنيش » ، ولقد يخيل إليك حين تخرج من المبناء إلى المحطة أن مرسيليا بلد فيه فخامة وفية حركته ، لكن جماله قليل ، وأنت إذا طوفت في الكورنيش رأيت نواحي طريفة ، تكمل الغابات هامتها الذاهبة في السماء ، ويمتد البحر من تحتها إلى غير مرأى.

أويننا إلى مطعم هناك ، ترقى إليه في جنة عالية ملتفة الأشجار تصل بك إلى بناء أنيق تحف به الجبال في حل من الأزهار والرياحين ، وكأنك في سفينية حين تنظر إلى البحر منبسطاً بين يديك تضطرب حين تنظر إلى البحر منبسطاً بين يديك تضطرب أمواجه ، يبد أنك تشعر بأنس المقيم ، ولذة النعيم ، والموسيقى تصدح في ناحية ، فترسل أنقاما حلوة ، يحملها نسميم البحر ، ممزوجة بحيف الأمواه والأشجار ، وهمس التتاجي «ابتسم الحسان ، كل ما حواليك هادئ باسم جميل ، يبعث في نفسك عواطف هادئة جميلة.

المكان لطيف رشيق «معد لنزهة الطبقة العالية من أهل مارسيليا ، يجدد فيه مشهداً يريح النظر ، وسكنية تجمع شتات النفس ويعيشاً رغداً ، وقد خرجت من هاتين الزيارتين معتقداً أن في مرسيليا تقي بوفيها ذوقاً وما أحسن التقى مع الذوق.

على أنه في مرسيليا غير الذوق والتقوى أيضاً ، ودعت بعض الأصحاب في المحطة منتصف الليل ، ثم ركبت سيارة إلى الفندق ، ولا دفعت الأجر رضخت للسائل رضيحة رأها قليلة. فصاح مغضباً : أهذه رضيحة سائق في منتصف الليل ، وقدف في الأرض ما أعطيته . هناك ثارت في نفس حفيظة «حالصها هلع من شر هذا السواحل المفترول العضل المخمور من نبيذ آخر الليل وظن وقفتى الهادئة «ونظراتى الساجية تحفزاً للبطش ، فطار بسيارته لا يلوى ، وتركني أقول في نفسي : أليس خوف الناس من مظاهر القوة وخنوعهم لها يكون في كثير من الأحيان هكذا وهم قائمًا على ظواهر خادعة من ورائها ضعف وخور؟.

أدب ونقد

الديوان الصغير



مقدمة إفريقي ميت

الترجمة : غادة نبيل

النص : تشو ما نوكولو

وأنا أفتح بابي على مجتمعى السكنى

٢٠٠٠ يونيو

عندما صحوت كنت أتصبب عرقاً كما وأغلق ملاعاتى فى المكان الذى يجعل منها لو كنت فى المزرعة . لكن لم يكن العمل ستاراتى حاولت أن أتذكر ربى الخاص الشاق هو الذى بلل سريري هكذا . لقد والحمد لله . لم أستطيع ولم أفاجأ بذلك. إن مشكلاتى ليست من النوع الذى يمكن أن كان عرق الخوف. كنت أشعر كما لو أن ساحرة سكت الخوف بداخلى . تحكى لطبيب ساحر ففضحك قبل أن يبدأ العلاج.

لورأيتم كيف كان صدري يخفق.

الأعمال الفنية في الديوان : رؤوس طينية تمثل قنون حضارة إيفن ، نيجيريا

كانت بقایا حصادی لعام ١٩٩٩ .. فقط ثلاثة جذریات من حبات البطاطا الحلوة وبمجرد أن ملأت تلك البطاطات عینی ملا الصمت أذنی كذلك.

لم تكن «مابل» تلعن فرنها من مطبخها . ولدای آبل وکالاماتس لم يكونا ، يتعارکان حول من نسى أن يربط العنة أمس. كنت وحدى فى مجتمع السكنى ومعى فقط ثلاثة حبات من البطاطا الحلوة . وقتها تذكرت خوفى الخاص والمحدد وصار صدرى هادئاً لأن أهالى «إيكيرى» أيضا يقولون: عندما تتعرف على المرض الذى سيقتلك فإن الأطباء سيفقدون عن التهام أموالك.

تذكرة اسم الخوف الذى ملأني مثل بول ساحرة وعندما يكون للداء اسم فعلى الأقل يستطيع المرء أن يقدم له التحية بتأدب.

كان اسم الداء الجوع.

كان باقياً أسبوعان على الحصاد وجرى العرف أنه ما من حبة بطاطا يجب أن يتم إزعاجها في الحقول قبل يوم عيد البطاطا

إن مشكلاتي من النوع الذى يسمعه أشجع طبيب ساحر حتى متصرفها ويهرب . ألم أقابل كاتشيسٍ هكذا قبل عيد الفصح وقال إنه لن يضيع وقتاً بالصلادة وأن مشكلاتي قد تجاوزت ما يمكن للصلة والصوم أن يحله؟ فقط النكبات ليسـت بالشيء الذى يتباھى به الناس . وعدا هذا فى «إيكيرى أوتى» هذه لا منافس لها فى هذا والذى لم أعرفه في ذلك الوقت أن مازقاً أكبر كان قادماً من «وارى» .

لم يكن الوقت فجرأً تماماً بعد لكنــ كما يقول أهالى «إيكيرى أوتى» . الفاـشـ هو من يحتاج ضوء الشمس لتجمـيعـ عدةـ الحـقلـ الـتـىـ تـخـصـهـ . اـرـتـيـتـ مـلـابـسـىـ لاـ أحـدـ يـسـتـطـيـعـ أـنـ يـصـفـ مـنـزـلـىـ بـعـدـ الـآنــ بـاـنـهـ كـوـخـ مـنـ الطـينـ بـعـدـ ماـ كـسـوـتـهـ بـطـبـقـةـ مـنـ الرـمـلـ وـالـأسـمـنـتـ (عـدـاـ أـوـلـكـ الـذـينـ تـجـرـىـ الغـيـرـةـ فـىـ عـرـقـهـمـ وـيـعـقـلـونـ أـنـهـ دـمـ)ـ هـؤـلـاءـ السـحـرـةـ لـاـ يـمـلـكـونـ أـنـ يـنـسـواـ أـبـداـ مـاـ هـوـ موجودـ أسـفـلـ الـلـاصـقـ)ـ .

وعلى أعمدة محاصيل الحصاد في مقابل سريري المصنوع من الطوب الطفى



الجديد، كان الوضع خطيراً.

أطلقت عزتى العشار لكتى ترعى من المفترض أن تضع هذه العزرة الكسول بعد أسبوع.

وكما تخوفت فإن بعض البهاء من الشباب بدلة فارغة كانوا يتسلعون عند بابي، كانوا قد أرسلوهم إلى النهر ولكنهم كانوا هنا الآن يغنون أغانيهم السخيفية. باللهراء عدت إلى المطبخ. طبخت حساء الخضر المركب بستة بوصات من البطاطا وملء ذراع من «الخضروات» من حاجز النباتات القائم بين مجتمعى ومجمع «ماكارو».

لم أذهب إلى المزرعة اليوم.

بعد ذلك شاهدت التلفزيون الأبيض والأسود الذى ورثته عن أبي ، ولمنع الصورة من الاهتزاز مثل أفكار معتوه لأبد، أن أضربه بين الفينة والأخرى. هكذا قضيت اليوم الأول بعيداً عن المزرعة هذا العام : أضرب جهاز تلفزيون بلغ الثلاثين عاماً في كوخ من الطين كما لو كنت أطالع البرامج من الجانب الآخر من الكون.

يفترض أن أكره «ميم جوماي» لو لم

أكن أنا «ميم جوماي».

٢ يونيو

أيقظنى صوت «نوزواى» حدقت فى بطاطاى . أربعة عشر يوماً قبل حصاد القرية وكل ما هو متبق بطاطتان وثلاث عشر بوصة، منذ يومين فقط كان جدار حصادى عامراً بالبطاطا الحلوة ثم وقعت مصيبتى التى هددتني بالمجاعة. «مائبل» زوجتى على مدى خمسة وعشرين عاماً هجرتى من أجل شخص يعالج المطاط بالكبريت فى «وارى». أخذت عشر حبات بطاطا عن كل ابن كانت قد أجبته لي أما أنا فتعاركت مع حسابها إذ أن ثلاثة من الأولاد الذين طالبت بالتعويض احتكاماً لإنجابها لهم كانوا قد توفوا قبل أن يبدأوا الفلاحة بينما الآخران «أبيل» و«كalamatis» عادة ما أعطيانى سبباً لأنقضى لو كانوا ماتوا هم أيضاً.

لقد كان عدم إحساس «مائبل» بالخرزى وليس طريقتها فى الحساب هو ما انتصر فى الجدل. لو كنتم تأتون لمشاهدتها أول

نعم أقسم ولكن بالنظر إلى المهدور
الحالية فإن هناك أشياء معينة لا يجب أن
تحدث لرجل يبلغ التاسعة والأربعين من
العمر بدأت شعيرات أنفه تتحول إلى
البياض.

مضفت السوال و أنا أفكر ما إذا كان
ميم جوماى قد مات منذ أعوام ونسى
جسده في «إيكيرى» بالخطأ . تسللت إلى
مجتمعى السكنى لأفك رباط العزة
«نوازواى» كان قد فاز متظاهراً بأنه لم
يرنى ، ابتلع كعكاته المصنوعة من
الفاصوليا وهو يحرك عنقه مثل أصلة
عاصرة تقتصر أربناً.

قرفصت في مطبخ «مبابل» وقامت
بتسخين المتبقى من حساء الخضر. أكلت
بعضه وعدت إلى سيريري وأنا أفتقد جهاز
الترايزنستور خاصتي بشدة وأنتفحص
بطاطاتي مثلما يفحص الأطباء السحرة
وضع حبوب الكولا على أبسطتهم الإلهية.

كيف سأتمكن من أن أجعلها تكتيني
الأسبوعين القادمين حتى موعد الحصاد؟
نضج النهار وشاخ أمام عيني . رقدت

أمس عندما استيقظتُ ومعي ثلاثة بطاطات
تجمعت كل قرية «إبيرى أوتى» وتحلقـت
حولى رفيقاتها من النساء كالجوارح وأتى
الرجال أيضاً ولكن على حين أيدت النسوة
«مبابل» بحسب الشتائم على ظل الرجال
صامتين مثل أقارب معتهم يشعرون بالحرج
لو رأيتـوها وهـى تجذب حقائـى(١) من
علىـّ وأـنا بـداخلـه وهـى تصـحـى أـنـى بـدـلاـ
منـّ أـنـّ أـجـعـلـهـاـ السـيـدـةـ جـومـاـيـ فقدـ جـعـلـهـاـ
الـسـيـدـةـ «رأـسـ العـذـابـ». .

نعم أنا فقير لكنى أكره الفضيحة . كان
لابد أن أتنازل عن بطاطاتى . فـى تلك
الأمسية وبينما كنت فى اجتماع بالقرية
أـتـظـاهـرـ بـأنـىـ لمـ أـهـتـزـ بـكـلـ هـذـاـ عـلـىـ
الـإـطـلاقـ،ـ أـخـذـ «ـأـبـلـ»ـ جـهـازـ التـراـيـزـسـتـورـ
الـخـاصـ بـىـ وـمـرـوحـتـىـ وـتـبـعـ أـمـهـ،ـ أـمـاـ
كـالـامـاتـ»ـ فـقـدـ تـرـكـ المـنـزـلـ قـبـلـ ذـلـكـ
بـأـسـبـوـعـ فـىـ وـاحـدـةـ أـخـرىـ مـنـ عـلـيـاتـ نـصـبـهـ
الـتـىـ تـسـتـهـدـفـ الثـرـاءـ أـغـيـاءـ!ـ .

لو كانت تلك الساحرة الشريرة تركتـىـ
منذ خمسة عشر عاماً أـقـسـمـ أـنـىـ كـنـتـ
سـأـتـزـوـجـ مـنـ جـدـيدـ بـنـهاـيـةـ الـأـسـبـوـعـ.ـ .



اتفقوا اليوم على أن يكونوا أغبياء . نمت
مبكراً.

٣ يونيو

في الساعة الثانية صباحاً بدأت عنزتي
تشفو وعاود صدرى الذى لا لزوم له
خششاته هناك سببان مخترزان وقويان
لماذا لا يجب أن يقترب اللصوص من
عنزتي . أولاً أنها الوحيدة التى أملتها وثانياً
أنها عشار جداً . وإذا ما انتظروا أسبوعاً
آخر يمكنهم أن يسرقوها دون تدميرى
 تماماً . لكن لو كان للقضيب أن يستمع
صوت العقل هل كانوا سيسمونه قضيباً؟ .
كان الظلام في الخارج حالكاً وأى من
هذه الأسباب لم يكن قوياً بما يكفى
 بالنسبة لي كى أخاطر بحياتي من أجل
حيوان وهكذا أخذت بندقيتي ذات
المساورتين الخاصة بأى الراحل وصوتها
إلى القبر . هشمت صمت تلك الليلة .

إذا لم يكن بمقدوري أن أنام لماذا يجب
أن ينام أى شخص آخر؟ .

بعد ذلك حتى عنزتي سكت غير أن
قلبي كان يخشش كما لو كانت

على سريري ثم جلست ثم رقدت مرة
أخرى ثم اعتدلت . هكذا قضيت ذلك النهار
المخزى في البيت وبدون جهاز الراديو لم
أكن قادرًا على إسكات سخرية البناء
الضاحكين الواطى غيرن طريقهن إلى حيث
النهر لكي يعبرن بنافذتى ساحرات
شريرات .

في المساء أكلت آخر حساء خضر
وربطت العنزة . لم أترك مجتمعى طوال
اليوم .

ما هو الوجه الذى يجب على أن أضعه
لأنظر إلى القرويين في اليوم التالي على
اليوم التالي لل يوم التالي على هجرة أسرتى
لى من أجل شخص يعالج المطاط
بالكبربت؟

غداً يجب أن يكون أفضل ، قرية بلا
جوى مثل «إيكيرى أوتى» كان يجب لها أن
تعثر على نعمة جديدة عن هذا .

بعد ذلك حاولت أن أجده شيئاً يستحق
المشاهدة في التلفزيون ولكن حيث أن كل
الأزرار كانت تكسرت فقد استخدمت
زريحتي للبحث عن قناة لكن الجميع كانوا

الرخصاصة اخترقت جسمى.

أقسم أنه ما لم تخل عنزتى مربوطة عند
جيранى(٢) بحلول الصباح سوف أخذ
بندققى وخراطيشى الأربعه الأخيرة إلى
ساحة القرية وليكن ما يكون الناس يجب
أن يدركوا أن قضيباً صغيراً لا يجب أن
يكون سبباً لخطف زوجة رجل آخر.

بحلول الصباح كان الباب من حفرة
المرحاض(٣) قد استولى على فتحتى أنف
عنزتى . يالسحر الأسود. على إحدى
الساقيين كان أثر لدغة ثعبان.

منظر حالة الحمل الضخمة الميتة تلك
صعقنى أكثر من هجر زوجتى . أسرعت
إلى المرحاض وجلست أفكر فى المعاناة
التي عانيتها فى حياتى . ياللهراء .. إذا
كانوا يريدون لي أن أدفن مع كل مشاكلى
سيحتاجون لتابوت كبير جداً.

لقد مضت شهور منذ أكلت لحماً من أي
نوع بينما الآن أمامى ذلك الجبل من اللحم
والذى كنت قد أعددت خططاً هائلة
لاستخدامه . الله عنده قضايا كثيرة ليحكم
فيها فى السماء لماذا لم ينتظر الشعبان
يعالج المطاط بالكريت !.

لتلد عنزتى ولبيتاع جدياً صغيراً بالكامل لو
أراد؟.

ولكن إذا كان الشيطان سيتخلى عن
الشر فمن يمكن أن يقوم بتوظيفه ؟ لتأتوا
وتروا كل اللعاب الذى ابتلعته وأنا أقطع
العنزة.. يالشعبان والشياطين! لو قلت لكم
كانت هناك أربعة جديان بداخلها ما كنتم
لتصدقونى «أربعة».

دفت جزءاً من الجثة فى مجمعي
السكنى وبحلول الليل أنزلت الباقي فى
حفرة المرحاض. ما حدث قد حدث ولو كان
الأب القس سينطق بكل موعظة يمكن أن
يمتنى بها فمه فمن المستحيل أن ينتهى
القدس.

ذهبت إلى المزرعة اليوم. ما زالوا
يتغامزون وهو ينظرون إلى لكن هذا شأنهم

لست أول رجل يفقد زوجته ولن أكون
الأخير، فقط لو كانت زوجتى محترمة إلى
حد أن تخرج فى أثر مالك أرض أو شئ
من هذا القبيل ولكنه رجل من الشارع
يعالج المطاط بالكريت !.



ياللثعابين السامة والشياطين . قلت له

أنه إذا لم يترك بيته قبل أن أفتح عيني
فإن أحدها من سيرور العضات التي على
جسمه لن يصدق أنت لا أملك كلباً.

ورد على بأنه حاز اسمه «الرمان» لأنه
لم يحدث أن عاد خائباً فكان أن أخبرته
أنه سريعاً ما سيعرف الفرق بين الذبابة
التي تبع القمامنة إلى الذروة وتلك التي
تتبع الجثة في القبر وهذا أخرج صفاره
ولوح بها في وجهي قائلاً إنني أعبث بفكرة
القبض على واحتجازي وأن نفخة واحدة
في صفارته سوف تأتي بالشرطة، لكن
صوته هو أيضاً كان يرتعش.

لهذا قلت له أن هذا لا يهمني ولكن عليه
أن يصفر أيضاً طلباً لتعش . وبينما كان
يتائب للمغافرة ظل يصرخ أنا معاشر
القرويين أغبياء نحن الذين لا ندفع
الضرائب ونظل نصرخ في طلب مياه
المواسير فقلت له إن رحم آية قرورة يحتوى
على أحلام جميلة كثيرة مجهمضة ثم أغلقت
بابي وذهبت إلى المزرعة .

إن الموظف وحكومته هم الأغبياء . كما

لم يسبق أن فحصت البطاطس من قبل
مثلاً أفعل الآن . بطاطتان وثمانى بوصات
قطعت وسلقت أربع بوصات . أليست ندرة

لحم الغزال هي ما جعلت الغزال ذلك
الطعام المميز الذي صاره؟ .

آه.. من كان يتتصور أن يأتي اليوم
الذى يسلق فيه ميم جوامى البطاطا
بالبصنة!

وصل موظف الحكومة المحلية بينما كنت
أستعد لمغافرة المكان إلى المزرعة . كان يريد
ضربيه المجلس .. قلت له إن المال شئ لم
تعرفه جيبي منذ أشهر وقال هو أنه ربما
كانت هناك مؤامرة تحاك لأن كل من في
القرية كان يقول الشئ ذاته . وقلت له إن
القمر الذي رأه الجميع لم يكن سراً بل أنه
قال إنه لن يخرج من بيته بدون ضربتيه
وعندما أخذت أدواتي وطلبت منه أن يرعى
منزلى .

وهنا قال أنه سيأخذ بطاطاتي . نظرت
إليها وإلى البوصات الخمس من البطاطا
الباقيه وبدأ صدرى يخشش ثانية .



لو كان هناك أي منطق في البحث عن شيء

في جيب شخص يبحث بدوره عن شيء.

٥ يونيو

الشائعات تروج أغنية جديدة عنـي . كلما عبرت يتوقفون عن الغناء ويبداون في الضحك .

على أية حال هذا شأنهم . استخرجت بعض النبيذ من النخلة الوحيدة في مزرعتي كان عيد ميلادي . إذا لم أكن أستطيع أن أكل كإنسان على الأقل أستطيع أن أشرب الخمر كإنسان .

فاجئني «إيكىتي» أثناء الشرب وقبل أن أتملص كان قد دخل بيوق شراه وفيما جلس «إيكىتي» يعتصر نبيذى رحت أفكرفى

«ماـبل». كل تلك السنوات كنت أمشى مختالا لأننى تزوجت من إمراة لا يدرو عليها عمرها . زوجات رفاقى كن ييدين كأمها لهم بينما زوجتى كانت تبدو كأيـنتى واعتقدت

أنـى دفعت ثمن امتيازى هذا عندما بدأت أسمع الشائعات التى تربط «ماـبل» ببعضـو المجلس وبالجزار وبصاحب وكالة البريد . لكنـ كانـ عليها آخرـ الأمرـ أنـ تهرـبـ معـ

شخص يعالج المطاط بالكريـتـا .

أيها الشـيطـانـ امتحـنـىـ بـعـضـ المـالـ

أليسـ الأـفـضلـ أنـ تكونـ لـكـ زـوـجـةـ تـبـدوـ مـثـلـ

أـمـكـ؟ـ كـنـتـ أـفـكـرـ كـلـ هـذـهـ الـأـفـكـارـ الشـرـيرـةـ
الـتـىـ تـجـعـدـ وـجـهـ الرـجـلـ وـتـجـعـلـ أـشـبـهـ بـكـيسـ

الـصـفـنـ لـدـىـ كـهـلـ عـنـدـمـاـ نـهـضـ «إـيـكـيـتـىـ»ـ

لـيمـشـىـ .ـ عـنـدـ الـبـابـ قـالـ لـىـ «ـأـنـاـ أـسـفـ عـلـىـ

ـمـاـ حـدـثـ لـعـنـتـكـ»ـ قـضـيـتـ سـاعـةـ بـعـدـ أـنـ

ـذـهـبـ «ـفـالـحـوـسـ»ـ مـحـاـلـاـ أـنـ فـهـمـ كـلـمـاتـهـ

ـأـسـفـ عـلـىـ عـنـتـتـىـ!ـ

ـهـجـرـتـنـىـ زـوـجـتـىـ وـلـمـ يـأـتـ لـلـمـواـسـاـةـ

ـهـجـرـنـىـ أـوـلـادـىـ وـلـمـ يـأـتـ .ـ ثـمـ تـمـوتـ عـنـتـتـىـ

ـوـيـظـهـرـ.ـ كـيـفـ عـرـفـ بـمـوـضـوـعـ عـنـتـتـىـ بـادـىـ

ـذـىـ يـدـهـ .ـ

٦ يونيو

ـذـهـبـتـ إـلـىـ الـكـيـسـهـ بـلـاـ إـفـطـارـ .ـ لـأـعـرـفـ

ـأـىـ نـوـعـ مـنـ الشـيـاطـينـ دـفـعـنـىـ لـاقـومـ بـدـفـنةـ

ـأـبـىـ الثـانـيـ الـعـامـ الـماـضـىـ .ـ

ـكـانـ أـسـبـوـعـ الـأـعـيـادـ أـخـرـ مـرـةـ كـانـ فـيـهاـ

ـعـضـ الـمـالـ فـيـ جـيـبـىـ وـكـانـ كـلـ سـلـفـةـ ماـ

ـزـالـ أـمـامـىـ كـلـ مـنـ «ـفـاسـمـينـ»ـ وـ«ـكـيمـبرـىـ»ـ

ـلـأـسـدـدـ لـهـمـاـ .ـ مـاـ الـذـىـ جـعـلـنـىـ أـفـقـدـ وـزـنـىـ



هل يمكن أن يجعلنى الجوع أبداً الآن أم أن المجرم بداخلى كان نائماً. فى الليل طبخت القرعة بقليل من البطاطا. لم تكن حتى حلوة.

٧ يونيو

رأى «شنتس» أصلة عاصرة فى مزرعته اليوم وبidle من أن يصرخ طالباً النجدة مثل رجل «إيكيرى» حصيف صارع الثعبان كعمتعوه. الغبي الطماع . كل ما فعله اليوم كان شئ الثعبان . كان كتفه ينزف لكنه لم يأبه طالما احتفظ لنفسه بذلك اللحم.

سلفت الشمس جلدي ببطء بينما شوت المرأة أحشائى . هل كنت مغفلًا منذ سنوات لأنى لم أتجه إلى «وارى» بشهادتى المدرسية؟.

لكن هذا ما فعله إدام بالضبط. ثمان وعشرون سنة فى الوزارة قبل أن تتم إحالته للعيش وهو يجدو فى نحافة نخلة وفي مثل سعادتها . الممتلكات البائسة التي حصلها بعد عقود من الوظيفة دخلت فى غربة نصف نقل وقضى عامين آخرين فى السفر إلى «وارى» للاحقة مستحقاته كما

هكذا إن لم تكون إهاناتهم؟ . فى الأسبوع الماضى أمسك طفل فى السابعة بقماطنى(٤) فى اجتماع القرية وهو يولول أن أبوه يحتاج ماله ليدفع مصروفات مدرسته.

كنت دائمًا من الجوع عندما وصلت إلى الكنيسة لكنى لم أتمكن من البقاء حتى النهاية . ألقى القس «أيو» خطبة عن الفرنسيين المناقين كالعادة لكن فى كل مرة كان ينطق بمأثرته الشهيرة : «الويل لكم» كان الجميع يحدجوننى.

ولأننى رأيت كل عائلة «منتسو» فى الكنيسة ، نزعت قرعاً من منزلهم وأنا أعبر سياج النباتات. الجريمة الدينية كانت مؤامرة بين سكين تستخدم كمحطم يملكتها السارق (أنا) وبين ساقى المقوستين. كانوا قد تقوسا حتى قبل أن أصل إلى القرع وقبل أن أدركى كان القرع فى حوالى.

على الفور أحسست بالندم. لكن ما حدث قد حدث.

في كل حياتي بعدهما كبرت لم أخذ أبداً شيئاً يخص إنساناً آخر إلا بالطلب منه

كانت الشائعات صحيحة لكتلت أنا نفسى
ميت . وقال إنها إشاعة حمقاء لكنه يرددوها
بالضبط كما سمعها .

كان من حسن حظ «نوازوای» أن
سكنى الذى استخدمه كمحطم كان البيت
لأنه أعرف أن مستمعه القايم سوف
يعرف كيف يقول الناس أن العنة المتحلة
التي أكلها ميم جوماى ماتت «بسم ثعبان»
وأدرك فخوه الأغنيات الساحرة الجديدة
وسبب الضحكات التى كانت تتفجر من
وراء ظهرى . ظللت أعن «نوازوای» طوال
الطريق إلى المنزل .

٨ يونيو

المتبقي حبة بطاطا واحدة وما زال
أمامى سبعة أيام والله سوف يساعد من
يحبهم . غادرت المزرعة مبكراً لكن أحضر
دفنة ابن عمى «جورنى مان» وبالنسبة
لكونها جنازة رجل فقير كان الحضور جيداً
على الرغم من أن الأغلبية جاعت لإبداء
إعجابها بالتابتون .

مات «جورنى مان» فى ديسمبر الماضى
ولكن لأن له ابنأ فى روما رفض كبراؤنا

أنه تعلم طرقاً غبية في المدينة كذلك .
عندما بلغه أن إكراميته كانت جاهزة
اقترض مبلغاً من المال ونظم حفلة حمقاء .
ما زلت أذكر الكراهية في عيني ابنته
وهي تقدم الأرز واللحم الذي نادراً ما
يأكلونه أنفسهم في المنزل . وقد ماتت في
حادثة وهو في طريقه عائداً بإكراميته . عاد
السامري الصالح النصاب بجثته إلى
ساحة القرية وهو ينكر أنه وجد أى مال
مع «إدام» .

بعد ذلك قابلت «نوازوای» على طريق
«كباتى» وقد ظل ينظر يميناً ويساراً وقرب
رأسه الشمامية الشكل من أذني . قال إن
ما سمعه بطريق الخطأ في السوق كان من
المثير للاشمئزان إلى الحد الذي لا يمكنه
أبداً أن يكرره بنفسه ما لم يكن المرء أشبه
بالأقارب وقتله لأن يقول ما عنده ويتركتنى
أمضى لحالى وهكذا أخبرنى كيف أن
الناس يقولون إن الجوع هو ما جعلنى أكل
عنزتى المتحلة .

قلت له إن عنزتى ماتت بسم ثعبان ولو



كان «إيفيتو» يعرف أنه بلا أصدقاء كما
كان يعرف ولع أهالى «إيكيرى» بالانتقام
من أفعال الناس السيئة فى جثتهم وبهذا
اشترى لنفسه تابوتاً باهظ الثمن احتفظ به
أسفل سريره كما أنه حفر وخصص قبرًا
ضحلًا فى قناء داره وكان يحسب أنه مهما
كانت أية مشاعر بغيضة يكنها جيرانه له
إلا أنه عندما تبدأ رائحة جثته تفوح فإن
أحدًا ما سوف يدفعه فى تابوتة ويدفع به
داخل قبره.

لسوء الحظ دهسته عربة نصف نقل فى «
إيبوتو» وتقرخت جثته على مدى أسبوع
لكن «إيبوتو» بعيدة عن «إيكيرى أوتى» ولم
يهم أحد بإحضاره إلى تابوتة فى موطنه.
أما عن «جورنى مان» فلم يكن أحد على
استعداد لدفع كوبو(٥) واحد لتابوتة بعد
الهزيمة فى موقعه البار.

قاد الكبار مسيرة دفن تابوت «إيفيتو»
وهكذا أيضًا رقد جوزى مان فى تابوت
أغلى من منزله، عندما شاهدت جثثمان
«جورنى مان» ارتعشت وأدركت لماذا يقولون
في المثل أن الدجاجة يجب أن تنتبه إلى ما

الطماعون دفنه، «ادفنته، ادفنته «ظل رفاق
مرحلته العمرية يضغطون لكن الكبار كانوا
يريدون الحصول على لياث إيطالية وكانوا
يعرفون أنه متى تم وضع «جورنى مان» فى
المقبرة لن يستطيعوا اعتصار أي شيء من
إبنه وهكذا تركوه فى مستودع الجثث.
تخيلوا! طيلة خمسة أشهر، رجل ما من
الجسم ظل نائماً وهو عريان فى سكن
للجث حيث الإيجار أغلى حتى من الإيجار
فى فنادق «وارى».

الكبار تقبلوا الآن أن ابن «جورنى مان»
الذى هجر أباه فى حياته قد هجره أيضاً
فى موته. لا أعرف كيف استطاعوا تسوية
فاتورة مستودع الموتى. كل ما أعرفه أنهى
لأدفع أية ضريبة . تمت تسجية جثمان
الرجل الميت فى تابوت «إيفيتو» بعض
الناس كانوا يسمون «إيفيتو» رجالاً شriers
لكن هذه كانت كذبة عارية، الحقيقة أن شهره
كان قد تخمر بل إن السحرة المعروفين
كانوا حريصين لا يتشاركون مع «إيفيتو»
خوفاً من الإصابة بال بواسير إذ كانت هذه
وسيلة المفضلة فى الانتقام من أعدائه.



إن مصيبيتها تلك كانت أحوجية . آخر مرة التققط حيواناً عن طريقها كان في الأسبوع الذي سبق بدء قيام «شنتس» بفلاحة الأرض بين النهر وبين أرضي، ومهمماً كنت مبكراً في الوصول إلى المزرعة إلا أنه دائمًا ما يكون سبقني.

سوف أضبهه في يوم ما وكمما يقول أهالي «إيكيري»: الحبة التي تخرسها الدجاجة من أعلى ليست مقدورة لعدة الماعز .

أما عن موضوع الماعز فلا يمكن أن يحصل المرء على النوم إذ أتنى في كل مرة أغلق عيني أرى ذباباً يدخل زرافات في فتحات الأنف الحمراء لعنزتي لكن على أية حال لماذا قطعت تلك العنزة؟.

ببساطة كان اليأس هو السبب . انظروا إلى أين وصل بي الأمر كله؟ . كنت قد دفنت أجنة الماعز وأحسناها فوراً لكنني أيضاً كنت قد أطعمت كلب «ماكرو» جزءاً منها خلسة .

ذلك المهجن الطعام لم يكن قد أكل أبداً مثل ذلك المقدار من اللحم في حياته .

حدث لقريبياتها الكبيرات في عيد الميلاد لأن مصيرها سيكون هكذا ، وأدركت كذلك لماذا يقولون أن ما يأكله المرء هو ما يحمله إلى قبره .

أولاد «جورنى مان» ظلوا يتناقلون القصة أن الإيدز قتل أبياهم وما أود معرفته هو من أين التققط «جورنى مان» الإيدز؟ هل يصاب الناس بالإيدز نتيجة أكل قشر الشمام؟ .

إنهم يحاولون الظهور بمظهر من يريد التقاط صورة له وهو مصاب بمرض الناس ذات الأهمية كما لو كان التعرف على جهة شخص ما بالجوع أمر صعب .

٩ يونيو

بالأمس عشت على الفواكه كي أتمكن من أكل البطاطا اليوم . عندما تكون قد جربت الاثنين سوف تلاحظ الفارق بين التوت الأسود والطعام . قمت بقياس بوصتين من البطاطا وسلقتها مع ملء وعاء صغير من السبانخ مصيبيتها المنصوبة فارغة ولهذا قمت بتحمير بعض من حشرة الأرضة الجافة في زيت التحليل .



واضطررت لإشعال بعض الأخشاب لكي أذقه.

١٠ يونيو

ما زال باقيا خمسة أيام على الحصاد تلاشى النوم مني عيني قبل الرابعة فجراً حاولت وحاولت لكن عيني كانت تحملق مثل عيني أرملة في الحداد . رقدت في مكانى أعيد حساب آخر أحد عشر بوصة إذا كانت شمة موهبة لم نناقشها عندما خلقتى الله فهى موهبة الصوم. إن فكرة يوم كامل بدون طعام تصيبنى بالصداع خاصة عندما تخيل الرجل الذى يعالج المطاط بالكبريت يأكل بطاطاتى ويعاشر زوجتى.

وجهها لوجه مع الجماعة لابد من الاعتراف أن الجوع وحش قبيح.

لاحظت أن «ماكسويل أوتومبلى» يفقد الوزن بشكل هائل وحتى «أوتودو» ضبط مؤخرا يطارد دجاجة «أوبى» بالنيل الذى يخص ابنه.

الرجل الهرزو لكن أهالى «إيكيرى أوتى» ظلوا يقولون منذ سنوات - وهذه حقيقة - إن سلطان البحر فى الوعاء لا

أدفعه خارج مجمعي السكنى.

بحلوال المساء عندما رجعت من المزرعة لم يكن ثمة أثر له . كانت الساعة السادسة عندما بدأ «كارورو» تتنحى : لورأيت صدرى يخشش . سمحت بمرور ساعه كاملاً وعندما هدأت الأمور سألت «كارورو» عند سياج النباتات : أين كلبك؟.

قالت إنه مات وبدأت تتنحى مرة أخرى . كان ذلك عندما رميته بقية عنزتى فى حفرة المرحاض . إن الدموع التى ذرفتها وأنا أدفع عنزتيلًا تستحق الذكر مقارنة بتلك التى زرفتها وأنا أدفع أجزاء عنزتى.

على الأقل لم أكل عندما أخبرتني «ماكارورو» أن كلبهما قد دهسته سيارة أجرة «جونى باس ستوب» ما أثار حيرتها هو لماذا كان الكلب أكثر كسلًا من أن يفلت من سيارة قديمة مهتمة بلغت عامها الثلاثين استقبلت ذلك الخبر الخاص المحدد كرجل.

الم يكن خريا بي أن أكل لحم عنزتى كرجل أيضاً ول يكن ما يكون؟.

البيريم . هناك أنواع عديدة من الجحيم عدا تلك التي تنتظر الخاطئين في القبر.

لو رأيتم نوع المعركة التي خضتها مع نفسى .

ركعت في الظلام قبل الافطار بسكيني في يد وبذور البيريم في اليد الأخرى . كانت معدتي تصرخ أنتي يجب أن أذبح الفأر وأفطر وكان رأسى يقول لي أن أقوم بتسميم الفأر ولص المصيدة وأآخر الأمر حسمت الفطرة السليمة الخلاف .

لو أنتي غادرت منزلى في الرابعة فجراً لأنها فحص مصيدي سيدعوني الناس ساحراً فوق كل مشاكلى ، ولو كنت أريد أن أكل لحاماً من مصيدي مرة أخرى كان على أن أحمل مشكلة اللص بشكل حاسم في ذلك الصباح نفسه .

وهكذا رميت ببذور البيريم . وبدأ فأر المزارع يمضغ ثم حدثت له تشنجات ومات . بعض الحيوانات ملعونة . نفس العنق الطويل الذي كان ينزل به في الحساء هو الذي وضعه في النار . نهضت وبغادرت فوراً . لقد بكيت على إمرأة وبكيت على ماعز

يجد أى عزاء في أن عائلته تسلق معه . لكنى جائع .

أخذت بعض بذور البيريم وغادرت المنزل في مثل هذا الوقت المبكر أمكننى أن أسمع قوقة دجاج في منزل «ما اتباناج» المظلم . لاغروا أن الناس يسمونها الساحرة . وأنا أقترب من مصيدي سمعت ذلك الصوت الجميل لحيوان يبكي . بدأ صدري يخشش مرة أخرى لكن بسبب قوى هذه المرة . كان هناك فأر مزارع في مصيدي .

إن لم يكن بمقدوري أن أقول الحقيقة في مفكرتى لا أعلم أين يمكننى أن أسردها .

كنت أرتعد وأبتلع ريقى وأنا أنظر إلى فأر . لو رأيتم كم كانت عيناه تلمعان ! في ضوء بطاريقى ، كان شارباه يرقسان كما لو كان يتحمس في آنيتى ذات الفحم الساخن .

إن فأر المزارع هو فأر المزارع لكن ربما لأننى لم أكل آية لحوم منذ أشهر كان يبدو كبيراً مثل ذكر الظبي . مددت يدى في حقيبتي لنزع أحشائه ولمست أصابعى بذور



لن أبكي على فار أيضا.

عدت أدراجي إلى البيت وسلقت أربع
بوصات من الأحد عشر بوصة من البطاطا
المتبقيه وذهبت إلى المزرعة كالعاده فوجدت
أن الفار قد تمت إزالته . لم أكن أعرف أنه
من الممكن أن تغنى بعد أن تكون قد
تعرضت للسرقة.

١١ يونيو

في المزرعة لاحظت خطأ من اثار
الأرضية يأتى من ثلة نمل جديدة وسكت
بعضا من الكيروسين عليه. لم أعمل كثيرا
لكنى سرعان ما تعبت وفي أسوأ لحظات
ارتفاع حرارة الجو جلست في الظل وأنا
أحلم بفار مزارع مشوى.

في المساء سلقت وأكلت أربع بوصات
من البطاطا ثم ارتديت طقم الدانتيل الذى
كنت أعددته للدفن الثاني لأبي وذهبت إلى
منزل «شتنس». كانت زوجته تعد البيض
الذى فقس سألهما: «أين زوجك؟». وقالت
أنه ذهب إلى الصيدلى لشراء دواء للأسهال
فسبألهما متعاطفا «حقا» وأسرت إلى أنه
منذ العصر وكل من فى البيت يتبرزون

كجاج الحقول.

الأترون شر البشر؟ هؤلاء لديهم دجاج
فى المنزل ويأكلون البيض كل يوم لكنهم لا
يتركون لى فئرانى «هذا أمر سئ جدا»
قلت لها.

«قولى له أنه فى المرة القادمة عندما
يأخذ لحاماً من مصيدى سوف يكون سماً
 حقيقياً وليس بنور البريم».

وسقط فك المرأة إلى أسفل مما فضبع
حقيقة فعلتها بينما عدت إلى بيتي وأنا
أفك أن التضحية بفارى هكذا قد أصبحت
 تستحق.

١٢ يونيو

حقاً أنا لا أعرف كيف دخلت محل «
باريكا» في طريق عودتى من المزرعة هذا
المساء.

كان ملصق اعتراه اللون الرمادى خلف
أغنى رجال «إيكيرى» ينصبح لا سلفيات
اليوم جرب غداً». «ابتسم بمحبة لي».

«لم ترك منذ زمن طويل يا رئيس
جوماي».

بالنسبة لباريكا كل مستهلك رئيس.



من أجل الطعام وليس من أجل القصص، لكن إن كان سماع حكاية هو ثمن الطعام فانا كنت يائساً ومضطراً لدفعه.

بدأ «باريكا» يحكى وهو يسند رأسه على ملصق «لا سلفيات اليوم»:

«كان الضبع يطبح حساء الخضر الذى اشتهر به، وكانت رائحته ساحرة إلى حد أن كل الحيوانات تجمعت حسداً لكن التى أكلته بفضل لسانها الحلو كانت السلفة.

الآن تذكر كيف؟ وعدت السلفة الضبع أن تعطيه ابنته الجميلة ليتزوجها في مقابل حسائه، وكانت تلك صفة لا تقاوم في نظر الضبع الذى كانت رائحة فمه الكريهة قد

جعلته عازياً شهيراً. وبعد ذلك بشهور عندما فسد الدين انعقدت المحكمة أمام الأسد وجاء الضبع يعرض قضيته. هل تتذكر دفاع السلفة؟ «أيها الملك أعطاني الضبع حساه وهو يعلم أنه لا ابنة لي وأنا مازلت بلا بنات لكن عندما يصبح لى بنات فمن المؤكد أن الضبع سوف يحصل على عروسه».

توقف «باريكا» هنا لكي يبيع بعض

قلت له إن الناس لا يقومون بالتعزية بأياد فارقة وأن فراغ يدي هو ما أبعدنى.

ضحك «باريكا» وأجاب بمثله الخاص: «حقاً يا «جوماي» ولكن كل ما هو ضروري للتعزية في موت عزوة هو سكين السلح». توقفت: كان المثل مستخدماً وإن لم يكن ملائماً غير أن الصلة التعلقة بيني وبين الماعز الميتة جعلتني أفحص وجه التاجر الكهل بحثاً عن نبرات ماكرة مضمرة.

وادركت لماذا يقول سكان «إيكيري» أنه في وجود قزم قد يكون الانحناء إهانة حقيقة. قررت أنتي في وضع لست أملك معه ترف المحسانية.

قلت: «جئت إليك طلباً ليس .. س .. س .. س. س. سلفة يومين «وأنا أضع كيساً من السميد زنة ٢ كيلو جرام عند ماكينة الدفع وواصلت كلامي: «أنت تعلم جيداً أن أمامنا ثلاثة أيام قبل الحصاد وأنتي قمت بزراعة بضعة مئات من شجيرات البطاطا». أجابني: «هل تذكر قصة السلفة والضبع» فسألته أية قصة تحديداً؟.

لم يعجبني مسرى الحديث. لقد أتيت



التوقف حتى انتهى كل الطعام . الأكل شيء جيد وكل من يختلف مع هذا الرأى فليفسح لي مكاناً لأكل.

١٣ يونيو

آه، كنت أعتقد أنتي أعنانى قبل الآن . اليوم كان بداية كابوسى الحاد المجرد . من الصباح وحتى الخامسة كان لسانى هو كل ما تحرك داخل فمى ما زال أمامنا يومان على حصاد القرية لكن أوانى طبخى كانت فارغة مثل فراغ عقل معتهو . لابد أن هذه القرية مكرسة للشيطان . كم تبدو تقاليدها شريرة . لماذا لا يستطيع رجل أن يقتلع حبة بطاطا قبل تقديم الأضحية الجماعية فى عيد حصاد القرية؟

عندما عدت من المزرعة عرجت لأصل إلى عصادة الحمام مثل عاجز عبر سياج النبات قال لي «نوازوای» أنه بينما كان «كالاماس» يخدع الناس ذات اليمين وذات اليسار وما بينهما كان ابني الأكبر «أبل» يبعث بالمبوعتين من قبيلة ذلك الرجل الذى يخلط المطاط بالكريت طلباً ليد فتاة

الأرغفة . كان بعض النمامين ممن بدوا أكثر اهتماماً بحكم الأسد من التسوق ينتظرون بصبر تجولت في محله وعندما صرت قريباً من الباب دلفت منه إلى الخارج وليحتفظوا بالقصة .

اتجهت إلى مصيبيتى لأجد فار قصب يجاهد لكي يخرج منها . لم أكن أعرف .. ما بين عشائى وما بين نفسى -من مثنا كان يرتعد أكثر من الآخر . كان ظهر خرطومى هو الذى أجهز عليه .

لم أكن أعرف - ما بين العرق على فروته الخفيفة وما بين اللعاب فى فمى - أى السائلين كان أكثر من الآخر . عدت إلى بيته فوراً . لابد أنه كان حيواناً صغيراً لأننى أكلته دفعة واحدة وكان قد انتهى .

بل لابد أنه كان فاراً طفلاً لأن الغظام الوحيدة التى تبقيت فى أبيتى كانت مخالب الجوع شئ فظيع . بمجرد أن بدأت أكل لم أستطع أن أتوقف . ابتلت آخر ثلاثة بوصات من البطاطا وفي نيتى أن أجعل الوجبة تمتد حتى الحصاد لكنى لم أستطع



من «أوباجا» للزواج . ظللت واقفاً على
لأخذ مساهمته في دفع فواتير المستشفى
قدمي رغم هذا .

في تلك الليلة ذاتها ذهبت إلى بيته أطلب ما
عرضه فقال لي غداً ذهبت إليه في بيته

اليوم التالي وقال لي «غداً». قال لي «غداً»
ثماني مرات قبل أن أسبه وأغادر .

لكن ألم يكن ذلك من عشر سنوات؟ منذ
ذلك الحين ونحن نقوم بتحية بعضنا البعض
ونأكل حبوب الكولا سوية .

وصلت إلى مجتمع السكنى قبل
السادسة مساء وبقيت ساعتين متظراً ،
ورغم الرائحة الصادمة لحساء الأفانج
المبعثرة من المطبخ لم تأت السيدة «إيتونج»
بالعشاء إلى الريده كالمعتاد إنما تناول
أفراد العائلة الاختفاء في المطبخ الذي هلو
منه فيما بعد بكوب ماء وسلامكه أسنان
واحدة:

الرئيس «إيتونج» نفسه الذي كنت
أقاسميه خزانة ملابس في الصيف الخامس
اختفى بلا خجل وعاد لينام أمامي لم
أغادر إلا بعد ما بدأ شخيره
لم أكن أنا من كتب رسالة يائسة
إلى «أبل».

بعد الاستحمام اكتشفت سحلية في
إحدى أواني طبخى العقيمة . كانت قد ماتت
منذ أيام . رميتها ورأيتها كيف يمكن أن

أموت ميّة سحلية ، موت بلا إرث .. أظل
راقداً في سريري أربعة أيام قبل أن
يكشفوني وحتى وقتها سبقني القافى في
حفرة باصرخة أو حداد . غسلت آذيني
مكتئباً . يجب أن يكون موت الإنسان
مختلفاً عن موت السحلية .
لاحظت أن منزلى بدأ يتراقص أمام
عينى .

ارتديت ملابسى ببطء بعدما قررت أن
عروس ابنى لا بد من عائلة «إيتونج» الكبيرة
الشرية ذات الأبناء الذكور الثمانية وبلا ابنة
واحدة . لم يكن قراراً سهلاً في عام
١٩٨٩ عندما تمت عملية استئصال الزائدة
الدودية لكalamatis زارنا رئيس القبيلة
«إيتونج» في المستشفى ، ولكن يعطى
انطباعاً مؤثراً لدى الفلاحين الواقعين
بجوار السرير عاتبني لعدم ذهابي إليه



جلست أرقب يدي اليمني تخريش أكثر
المداهنهن غباؤه.

فى الظهيره قمت بزيارة ابن عمى
كيمست». «نزيانيا» يأكل جيدا سواء أكان
هناك حصاد منتظر أم لا . كل ما فى الأمر
أن الشر قد سمع عقول الناس وفى أيامنا
هذه الاخوه فقط هم من يأتون من نفس
الرحم.

فقط لو يستمع الناس إلى صوت
ذكرياتهم من حين آخر.

ألم تتفجر فضيحة العاقافير المغشوشة
منذ تسع سنوات فقط عندما أنت
Cid المباحث الجنائية في طلب «نزيانيا»؟

ألم يكث مختبئاً في مرحاض حقل قبل
أن يبتلع أحدهم رشوة ليغلق القضية؟
ورغم هذا في آخر مرة ذكرت ذلك الجميل
سألنى بوقاحة مادا أصبحت عليه كلفة
تأجير مرحاضى لكي يدفع لى مرة واحدة
وأخيرة.

أياما كان فلن تؤتي وصولى إلى بيت
«نيزانيا» كان مثاليا . كانت يد الهانون قد
توقفت للتو عن ذك البطاطا وكانت الرايحة
المسيطرة لحساء «البانجا» تملا الهواء .

جلست أرقب جوعى وهو يلتسم
إحساس بالخزي . لا أعرف المعجزة التي
حدثت لأنبل فى أسبوعين ، لكن إذا كان
يملك المال لكي يتزوج فتاة من «أوبيجا»
فلا بد أنه يملك المال لاطعام أبيه ليومين لا
استطيع النوم كثيرا هذه الليلة . لو بعثت
بالرسالة مع «جوني باس ستوب» أول شئ
 صباح الغد يمكنني أن أحصل على المال
من «أبل» بحلول المساء .

١٤ يونيو

أنا أكثر ضعفاً من أن أنهض للزراعة.
رقدت فى مكانى أحلم بالأكل وأستمع إلى
أصوات فى الشارع تتحدث عن حفلات
تنكرية ورقصات لعيد الحصاد .

أعدت قراءة رسالتى إلى ابني . كانت
تبدو رسالة كتبها رجل يرقد منبسطا على
بطنه على الأرض . تصارع خجلى مع
جوعى . حاولت تمزيق الرسالة لكنى كنت
أشاهد الموقف مشدوهاً وأنا أقوم بثني
الورقة .



البديئة لتقول لي أنتي لا أستطيع دخول
بيت أخي؟».

«أفتحي قلت لك . دعيني أخبرك بشيء»
ثم حدث شيء غريب للصوت بدأ طفوليا
ثم اشترخ في منتصف الجملة وانتهى بزئير
غاضب:

«قلت أنهم غير موجودين ما هذا؟ امش
من هنا».

ترنحت للخلف وأنا أهتز بالسم في
صوت «كيمست» تغيرت مبتعداً وأنا أحترق
من الخجل.

كانت قدماي تأخذانني ناحية موقف
السيارات لأبعث برسالة الاستجاد
إلى «أبل». رغم كل شيء فقد كان حسناً أن
التقى بنوازوى في الطريق . قرب فمه مني
إلى الدرجة التي شتممت فيها نفحة من
حساء الفاصوليا المتخمر.

اللعنة إن هذا العالم لمكان شرير هذا
فم «نوازوى» فواح برائحة الفاصوليا وهو
رجل لم يقم بعمل صباح واحد طيلة عشر
سنوات.

بدأ يتكلم وقال أنه لو لم نكن متحدرين

إن أحد تقاليد «إيكيرى» التي لا
يستطيع أحد أن يشكو منها هي ذلك
الترحيب الكريم الذي تستنهضه أوقات
الوجبات . ففي «إيكيرى» يعد من الأكثر
شرفاً أن تقر في نصيب أولادك من الطعام
على أن تذكر الطعام على زائر أوقعه حسن
الحظ في أن يدخل عليك أثناء تناول وجبة.
أما أنا فلم أدخل فقط أثناء وجبة بل

ووجدت ابن عمي كذلك في مزاج مبتهج، إذ
أنتي سمعت صوت خسكة «نيزانيا» المهولة
وأنا أقرع الباب.

توقفت الخسكة كما لو كان صاحبها قد
سقط في نهر : بعد ذلك سأله طفل:
«من بالخارج؟».

قلت: أنا عمكم جوماي . أفتحوا الباب .
كان هناك بعض الهمس ثم وبصوت بدا
مشدوداً بقرار أنها لن تسمع بأن يتم
تقليص حصتها إلى النصف أجابت الطفلة
«إنهم ليسوا هنا».

حركت مقبض الباب وطمأنتها «أنا عمك
جوماي أفتحي»

كنت قد بدأت أغضب ، فمن تكون تلك



بحلول المساء سوف أعود رجلا ميسوراً
لكنى أولاً كنت محتاجاً لقوتى لكى أحصد
البطاطا . لقد ترك لي أبي أربعة أشياء :
المنزل ، البندقية ، التلفزيون واسم العائلة .
بينما كنت أدفع بجهاز تلفزيوني
الأبيض والأسود فى حقيبة الجوت
أحسست وكأننى أبيع حقى فى الميلاد .
فى منزل الكهربائى ، كانت زوجته
منشغلة بشئى مرتبة سريرهم وهى تحول
بيتهم إلى محل .

«أوكيسى» نفسه كان يجلس على
مقعده العالى يقوم بلحام أحشاء جهاز
ترانزistor صغير وحوله كانت كل تلك
الأجهزة التى أجبرت الضواائق أصحابها
على بيعها . كان قد نظفها الآن تمهيداً
للحصاد وليسر الموسمى لأهالى «إيكيرى» .
وضعت تلفازى على المقدى الذى يعمل

جالساً عليه . قلت لأوكيسى الذى لم يكن
رجلًا مهذباً تماماً : «إنه يعمل مثل جهاز
جديد . أنت تعلم أنهم لم يعودوا يصنعون
أجهزة تلفزة قوية مثلاً كانوا يصنعونها
في الماضي . في البداية ظننت أنه قد رأى

من نفس الأصول . وقلت له أتنى فى عجلة
من أمري فأخبرنى كيف انتهت مناقصة
زواج «أبل» وتم سؤال المبعوثين ما إذا لم
يكن حقيقياً أن أهل العريس فقراء إلى حد
أنهم يعيشون على لحوم الحيوانات الميتة
و يتم ملاحظتهم إلى بيتهم من جراء فضيحة
ذلك وأعتقد أن «نوازوای» كان سيقول
أكثر لكى كنت قد عرضته مرتين قبل أن
يفعل وظل يجرى في شارع «كاراتاي» وهو
يصرخ كما لو أنه كان يتحدث مع أحد
وليس مع رجل .

بعد ذلك وقف كنخلة ذيل طلعها
بداخلى ذلك الفراغ الذى يعترى رجالاً
كان قد دفن ابنين للتو . لم أكن بحاجة
لعرفة لتقول لي أتنى لن أراهم بعد ذلك
أبداً . ولم أكن أنا الذى أمرت يدى أن
تعمق الرسالة التى كنت كتبتها لأبل .

١٥ يونيو

يوم الحصاد . الفجر . حتى الموتى
يمكهم أن يشعروا بالإثارة التى تعيشها
«إيكيرى» . كنت من الضعف بحيث لم
أستطع أن أرفع خرطوماً من على الأرض .

بخرطوم فقط . كانت تلك أطول رحلاتي على الإطلاق .

قابلت المزيد من الفلاحين المنهارين الذين دخلوا في حالة هيستيريا ورأيت بطاطا كثيرة مغطاة بالثقوب لكنى لم أنبس ببنت شفة ، مرة أخرى كان ذلك الصمغ فى فمى .

على كان متوجهًا .. لكن هذا العالم شرير . ألم يعد يوجد شيء مثل الرحمة ؟ ألم يعد يوجد عدل ؟ ألم يعد يوجد مرتب عقب شهر شاق من العمل ؟ شيء مثل الحصاد بعد زرع قطيع قطيع ؟ .

كانت أول ثمرة بطاطا أحفر الأرض لاقطعها مغطاة بالثقوب . كان بها ما يكفى من الشما ليجعل الثمرة صحيحة ولكن ليس بما يكفى ليعيها أو لاكلها .

لم أحفر لاستخرج واحدة أخرى . كانت المشية عوداً إلى منزلي هي الأقصر ولكن مزدحمة بالذكريات . تذكرت اليوم الذي أسميت فيه ابنى الثاني . كنت قد كتبت لأبى أن يبعث باسم .

كان والدى فى «أتاجبا أونو» وقتها يشغل وظيفة «مشهلاطى» فى وكالة بريد .

فبعث برسالة يرد فيها : «كالاماتس» .

قلبت الاسم من كل نواحيه . كالاماتس

شيئاً مضحكاً في لراديو الذى كان يقوم بإصلاحه لكن عندما استمر في الضحك بعدها سقط منه الجهاز وانكسر أدركت أنه لن يعرض على شراء التلفاز . عادت الخشخة إلى قلبي وكان لعابي قد صارت مصمغة . عدت إلى بيتي .

كانت الشمس قد سطعت جداً وبمكرا قبل أن يسمح لي الخزي أن أدخل بيته ماكارو . رجوت : «أرجوك هل يمكن أن أحصل على طبق لويكة (٦) .

لم أكن قد فعلت ذلك أبداً من قبل . نظرت إلى من عينيها عرفت أنها كانت خائفة من أن أبدأ البكاء في حضورها . أسرعت إلى المطبخ لتاتي إلى ببعض الطعام وبمجرد أن وصلت إلى بيتي كنت فعلاً أبكى من شدة الخزي .

كانت الساعة الثامنة قبل أن أتجهز للمزرعة . بمجرد أن خطوت خارج المنزل كانت أول دفعة من الفلاحين قد عادت .

كانوا يصرخون «أرضية» خنافس . ونظراً للطريقة التي كانوا يتغلبون بها كان يمكن أن نظن أن المشكلة في بناطيلهم وليس في بطاطاتهم . تركت سلة الحصاد التي أملتها تسقط وعدت إلى المزرعة



أترك لقريري إرثاً . إذا لم يكن الرجل يقدر على أن يجد الراحة لرفقيه يمكنه على الأقل أن يستخدم ركبتيه. لقد زحفت في الحياة كسحلية لكنني لن أموت كسحلية، هأنذا راحل إلى ساحة القرية ول يكن ما يكون.

الهاوش:

(١) الحقاء: قطعة قماش تُفَل على الحقو والإليتين كنطا.

(٢) **Onugbu**: كلمة باللغة الهاوسا في نيجيريا تعنى جيران . اضطررت للبحث عنها فى قواميس بلغات الهاوسا والسواحيلى والابيو من وإلى الانجليزية لم أجدها وسائل مواطنًا إفريقيا ليس من نيجيريا عنها فافتادنى بمعناها (الترجمة).

(٣) حفرة المرحاض: المقصود حمام المزارع ويكون في مكان مفتوح ومغطى حفرته بينا خشبي أو من الصاج.

(٤) قساط: هي هنا **Wrapper** ويقصد قطعة قماش يتم لفها حول الوسط أو لبسها على الكتف.

(٥) كوبون: عملة من البرونز وهي وحدة مالية مستخدمة في نيجيريا.

(٦) لويكة **Pap**: طعام لين للأطفال أو المرضى.

وسائل «جوني باس ستوب» الذى كان قد قام بتسليم الرسالة فى سيارته الأجراة ما إذا كان ثمة اسم مثل «كالاماتس» بين أهالى «أوتاجيا أونو» وقال إن مهمته تنحصر فى توصيل الرسالة وليس ترجمتها . وهكذا أسميت ابنى الثاني «كالاماتس». وعندما كان الناس يستفهمون مني عن الاسم كنت أقول لهم أن يحتفظوا بالسؤال إلى حين زيارة أبي كى يسالوه ألم يكن هكذا عندما أتى أبي ليزورنا فى عيد الميلاد المجيد ليسأل ما إذا كان الاسم فصيلة من النباتات كنا نشير إليها عندما نذكر «كالاماتس» أم أنه طفل لائل بشرى؟ وهكذا سأله «ألم تكون أنت من بعث بالاسم؟ وقال «لا» وأنه أملى الاسم «كليميتس» لكاتبة الخطاب وأن ذلك الولد ظل ينكمث رأسه ، ظل ينكمث رأسه وكتب ما كتب.

لكن فى ذلك الحين كان الوقت قد فات وكان «كالاماتس» قد أصبح «كالاماتس». الحائى كان قد أخطأ فى حياكته ولابد إذن أن يصبح الخطأ صرعة جديدة.

الآن أنا فى البيت فى البندقية أربعة خراتيش أخرى . هذا يكفى . سوف أحملها إلى ساحة القرية وأصفى الحساب مع الأشرار. لقد ترك لى أبي إرثاً وسوف

هذه الترجمة

بعد أن أنجزت ترجمة هذه القصة بدأت أنتقب عن آية معلومات قد تكون متاحة في الدوريات والمطبوعات والمعاجم الخاصة بعلم الآباء الأنارقة عن الكاتب لم أجد شيئاً، والمثير أننى أثناء ترجمة النص الإنجليزى - وأنا لا أعرف إن كانت الإنجليزية هي لغة الكتابة لدى الكاتب أم أن ما قرأته نفسي كان مترجمًا - أننى ظلت أتعثر بكم لا بأس به من الكلمات الإفريقية التي كان المؤلف يحتفظ بها كما هي أى لا يفعل سوى أن يكتبها بحروف إنجليزية فتظل شفرة مستعصية ومستغلقة حتى على بعض الأنارقة منن لا يتقدنون لفته الألم وهو الأمر الذى دفعنى إلى الإصرار على التعامل مع النص ومحاوله الاستعانة ببعض قواميس اللغات الأفريقية مثل الهاوسا - الإنجليزية، أو الإيبو (كما تنطق وصححها لي طالب سنغالى بنصف سخرية عندما نطقتها كما تكتب «إيجبو») أو حتى اللغة المستبعدة عن نيجيريا موطن الكاتب وهى السواحلية. ثم توسع الأمر عندما فشل هذا المسعى وفشل كذلك لجوشى إلى قواميس أوكسفورد وبستر العمالقين فالكلمات ليست إنجليزية واستعنت بفهارس مكتبة الكونجرس الأمريكية فى محاولة بائسة لمعرفة الاسم المرادف لبعض أنواع الحبوب مثلًا. ولم تسعفي الموسوعتان البريطانية والأمريكية أو معجم الكلمات العشوائية الغربية بالإنجليزية وبمساعدة الطالب السنغالى الذى تعرّفت عليه أمكن سد الثغرات فى بعض الكلمات (لغته تختلف عن الهاوسا ولغات نيجيريا الأخرى). ثم كان علي أن أجد شيئاً - لنفسى - عن تشوما نوكولو.

كل ما توصلت إليه أنه أصدر مجموعة قصصية سابقة على المجموعة التي تنتهي إليها القصة التي قمت بترجمتها من الجريدة الإنجليزية التي وقعت في يدي صدفة وأن اسم تلك المجموعة هو «حكايات إفريقية على حافة السجن» وقد طبعت في نيجيريا عام ١٩٩٩. بينما القصة الحالية ما هي إلا جزء من عمل سيصدر قريباً. وهذا كل شيء. ربما لم تعجبني القصة جداً وربما أصابني شيء من خيبة الأمل المشوب بالملل الناتج عن الإطالة، هناك أكثر من ربما وإن كنت لا أريد إفساد الأمور بتصدير رأى إليكم منذ البدء لكن يمكن أن تكون هذه الصعوبات، وبقيتى بأن القصة تقول شيئاً جوهرياً في صميمه نتاج للتماس الثقافى والاجتماعى بين واقعنا وواقع بعض الدول الإفريقية أو لنقل ببساطة من ذا الذى يمكن أن يقرأ قصة عن الفقر فى مدغشقر مثلًا - متى كانت مميزة حقاً - ولا يخرج منها بكراهية وإدانة أشد وأعمق لل الفقر حتى ولو كان يعيش حياة مرفهة فى حى بيقرلى هيلز بالولايات المتحدة؟ وبالمناسبة نحن أيضاً فى مصر لدينا «بيقرلى هيلز». بل وأكثر من بيقرلى هيلز واحدة.



ربما كانت الأمثال التي لجأ إليها الكاتب كثيرةً ووجدت فيها سدى لبعض مقولاتنا في مصر وربما كانت مجهلية الكاتب بالنسبة لـ «مثيرات». ربما كان المقال القديم الذي كنت كتبته من سنوات بعيدة في جريدة وظل يتعرض للتجايل. كان من ديكباتورية العسكر أو العسكرية البغيضة وما تعلمه مع الكاتب النيجيري الشهيد كين سارو ويوا الذي أعدمه سلطات بلده رغم استغاثات منظمات العفو وحقوق الإنسان على صفحات الجرائد البريطانية بعد ما كشف فساداً لدى الشركات وتورطت فيه حكومة بلده واحتجزوه طويلاً بالسجن ثم أعدمه بليل. هكذا. وتم منع المقال نهائياً لأن التجايل أدخله - لسوء الحظ أو لسخريته - في تمام يوم ٢٢ يوليو أى الاحتفال بذكرى الثورة المصرية. وقيل له هذا.

ولكن من المؤكد أن في تشابه النهايات - ولا أعلم إن كانت النهايات أحياناً تتتشابه - ما بين موقف بطل هذه القصة ومشهد النهاية.. أو قرار الختام في قصة «ليس للعقيد من يراسله» التي بها قرأت ماركيز لأول مرة في بريطانيا وأنا طالبة في الثامنة عشرة من العمر ما حسم الأمر لصالح ترجمة كاتب لا أعرف عنه سوى اسمه ولم أجد ذلك الاسم مدرجاً في معاجم الأعلام حتى بين الكتاب النيجيريين الذين يكتبون بالإنجليزية مثل بين أوكرى مثلاً، وربما لخوف أنت: أن أجد كل ما ينقصنى اليوم من معلومات عنه غداً - كما حدث مع ويوا - فيما لو تعرض للقتل أو الافتيا.

أدب ونقد

مسرح



ظواهر نهاية القرن في المسرح الإنجليزي

دافيد هير، تسييس الدراما السيكولوجية

د. محسن مصيلحي

مدخل: حين ترك دافيد هير (المولود عام ١٩٤٧) جامعة كامبردج عام ١٩٦٨ كان قد أسس موقفين مهمين في مسيرته الأيديولوجي والمسرحية : الموقف الأول هو محاضرة تذكارية عن رايموند ويليامز- خلافه الأيديولوجي مع اليسار- خاصة مع أستاذ الأدب الإنجليزي رايموند السياق الاجتماعي البريطاني حتى في ويليامز- فقد كان رأى هير مخالفًا لرأى السبعينيات الثورية . ولا شك أن هير- كما العديد من المشقين المتفائلين بالثورة في أثبتت السنون - كان محقاً في رأيه . الموقف الثاني هو تعرف هير بالنشاط انجلترا . قال هير وقتها إن أي إنسان يزور

التقنيات التي استخدمها وطورها برنتون (المسرحي في الجامعة ، وفور تخرجه أقدم مع آخرين) على تأسيس فرقة مسرحية وحده فيما بعد .

كيف كتب هير للمسرح؟

حين أخلَّ الكاتب المسرحي الشاب (وقتها) سنو ويلسون باتفاقه مع الفرقة بتسليم نص في موعد محدد اضطر هير للإمساك بالقلم وكتب مسرحية «تسمى كيف تصرف بروفي الطيب» وهي المسرحية التي أهلته فيما بعد لدخول مسرح الرويال كورت مديرًا أدبياً ثم كاتباً مقیماً للمسرح . بعدها كتب هير «ماذا حدث لبليك»، ومنذ لحظتها لم يتوقف عن الكتابة . لكن اللافت أن هير «لم يسقط في تلك المحروقة من المسرح خاصة الاهتمام بالجانب السيكولوجي للشخصية الدرامية حتى في بدايات اشتغاله بالتأليف المسرحي . فقد لاحظ هير استغراق الدراما الانجليزية وقتها في الاهتمام بالفرد أو بحالته العقلية دون اهتمام بالسياسة الاجتماعية حوله (كما يحدث في مسرحيات العبث مثلاً) . لكن هير أمن منذ البداية بأن البشري يعيشون في جماعات ، وأن على الدراما أن تعكس هذه الحقيقة(١) .

في حقبة السبعينيات كتب هير عدة مسرحيات أهمها المعرض العظيم (١٩٧٢) وأستان وابتسامات (١٩٧٥) «ولعق هتلر» (١٩٧٨) ، لكن أهمها هي مسرحية «وفرة»

صغيرة أسمها الفرقة «النقال» أو المحمولة، رغم أن درايته لم تكن كبيرة بالتجارب المسرحية الجديدة عند «ادوارد بوند» مثلاً ، أو بأهمية زيارة فرقه البرلير إنسامبل التاريخية لانجلترا في أواسط الخمسينيات . لكن أحداث العام ١٩٦٨ ، العام الذي أنشئت فيه الفرقة، كان عاماً شديد الأهمية في تشكيل وعي هير السياسي وهذا الوعي ظهر بوضوح في إقدام هير على التجوال بفرقة المسرحية في الأماكن المحروقة من المسرح وخاصة تلك المحروقة من الأبنية المسرحية وقد بدأ هير مخرجاً لهذه الفرقة التي ظلت تقدم عروضها حتى عام ١٩٧١ .

خلال هذه الأعوام أخرج هير مسرحيات غريبة إحداها عن يوميات كافكا وأخرى لجان جينيه وفي ليلة من ليالي العرض لم يكن هناك إلا متفرج واحد هو هيوارد برنتون ومن تلك الليلة ارتبط الاثنان هير وبيرنتون فكتباً معاً بعض المسرحيات أهمها «براغدا» (١٩٨٥) عن الفساد في المحليات ، كما أن هير قام بإخراج بعض مسرحيات برنتون مثل «فاكهة» التي شهدت ما عرف باسم تقنيات التحرش بالتلفرج وهي

هير عام ١٩٧٥ نموذجاً فريداً في مسيرة **fanshen** وعنوان المسرحية نفسه يدل على معانٍ عديدة أهمها التحول من نير العبودية إلى الحرية واكتساب ممتلكات جديدة، وموضوعها التحولات التي شهدتها قرية صينية صغيرة منذ انسحاب اليابانيين حتى عام ١٩٤٩، أي نجاح أو فشل هذه القرية في تطبيق مبادئ الثورة الصينية.

وهذه المسرحية البانورامية الضخمة (أربعون شخصية) هي إعداد لرواية شهيرة بنفس الاسم للروائي الانجليزي وليام هنتون، واللافت أن آلية إنتاج المسرحية وتجسيدها كان يتوازى تماماً مع الآليات تطبيق النظام الديمقراطي الجديد في الصين: فقد انتجت المسرحية بواسطة فرقة شهيرة تسمى جوينت ستوك (شارك هير في إنشائها) وهي فرقة تقوم على أساس المشاركة الجماعية في ورش إبداعية وكانت هذه المسرحية هي الوحيدة التي أخرجها وليام جاسكيل، أحد أهم المخرجين اليساريين في إنجلترا وربما كان هذا هو السبب في صياغة هذه المسرحية وفقاً للمنهج الملحمي البريختي، وهي الصياغة التي لم يكررها هير فيما بعد (٢).

وقد تحققت بريختية المسرحية ليس فقط في موضوعها الشوري ، أو في محاولتها

التي تعرض بشكل ملحمي لحياة بطلتها «سوزان تراهيرن» منذ نهايات الحرب الثانية حتى وصلت إلى الاحتياط الحياتي الكامل عام ١٩٦٢ وقد اشتهرت هذه المسرحية بسبب قيام النجمة السينمائية ميريل ستريپ ببطولتها حين أعدت للسينما . في هذه المسرحيات - وفي غيرها - تبلورت سمات مسرحيات هير في السبعينيات كالتالي:

- (١) تدور أحداثها بين أفراد الطبقة الوسطى، مع الاهتمام الخاص بأدوار النساء .
- (٢) اهتمام بعرض مشكلة الفرد في إطاره الاجتماعي والسياسي «مسرحية العرض العظيم مثلًا تدور حول سياسات وزعامت حزب العمال في انتخابات عام ١٩٦٤ ، في إطار بانورامي للأحداث . لكن هير لم يتوجه نحو المسرحية السياسية بمعناها التقليدي ، بل قدم شخصيات درامية من لحم ودم .
- (٣) رغم الاهتمام بالجانب السياسي فإن هذه المسرحيات تطرح من الأسئلة أكثر مما تقدم من إجابات.
- (٤) تحرض هذه المسرحيات على عرض وجهتي النظر المتصارعتين بنفس القوة والحياد وتمثل مسرحية التحول التي كتبها

أُنها تتبع الأنماط الإنسانية المختلفة
لإنسان العصر الحديث ، بل تتحقق أيضاً
والمتصارعة في إطار هذه القضية الكبرى
على مستوى العرض المرئي : فقد تعددت
مع التركيز على نموذجين أحدهما صحفى
القصص فى تقنية انتقالات أقرب إلى
يسارى والأخر كاتب روائى يمينى يفوز
المونتاج السينمائى واستخدمت اليافطات
بتقنية الجدل دائماً.

وفى مسرحية برافدا التى أشرت إليها
من الشخصية للتعليق على الحدث الدرامى
قدم هير نقداً ساخراً لمى مسيرة أحد أباطرة
الصحافة الرجعية ومن خلال هذا النموذج
إلخ . ولكن أكثر الجوانب أهمية في هذه
المسرحية هو أنها لم تقدم إجابات سياسية
طرح هير قضية أكثر شمولاً هي أسباب
جاهزة لأى من مشاكلها المطروحة وأهم
خاصية هؤلاء الذين يتدخلون في صياغة
هذه المشكلات هو الصدام بين المبادئ
الفردانة والمبادئ الجمعية ، بين الرضوخ
للنظام الإقطاعى والتحول إلى النظام
الديمقراطي . وكان ثمن الصدام مروعاً.
وكانت هذه هي المسرحية الأولى
فى حقبة الثمانينيات خرج هير من
التي لا يخرجها هير لنفسه خلال ١٢ عاماً.

عام ١٩٩٣ قدم المسرح القومى
الإنجليزى الضيق إلى النطاق
الدولى الأوسع وقد نظر بعض القادة إلى
ظاهرة ازدهار المسرح السياسى فى
السبعينيات باعتباره نتاجاً لليأس جيل
باعتبارهم أجزاء من ثلاثة متصلة تعالج
ثلاث مؤسسات مهمة فى صياغة الواقع
الستينيات من إصلاح العالم (أو إصلاح
إنجلترا على أقل تقدير) (٢) . خرج هير إلى
العالم الأوسع مع مسرحيته خريطة الدنيا
(وتعالجها مسرحية مسابقة الشيطان التى
قدمت لأول مرة عام ١٩٩٠) والثانية القضاء
أثناء انعقاد مؤتمر لليونسكو هناك .
(وتعالجها مسرحية القضاة المتذمرون التى
والمسرحية تتبع الأنشطة الرسمية للوفود
قدمت لأول مرة عام ١٩٩١) ثم المسرحية
الأخيرة وهى غياب الحرب التى تتقى
التي تناقش موضوع الفقر فى العالم كما

الزعيم الحقيقى للحزب. ثم ساعت العلاقة بين هير والحزب تماماً حين تحولت المسرحية إلى فيلم تلفزيوني (قيضت لى الظروف مشاهدته) لأن الأمر بدا وكأن هير ينشر غسيل الحرب القذر على نطاق أوسع.

وموضوع المسرحية الأخيرة ، غياب الحرب ، هو الفشل الشخصى ، ومن ثم ينبع غسيل الحرب القذر على نطاق أوسع السياسي لزعيم حزب العمال جورج جونز أثناء الانتخابات . ودافيد يقدم صورة هذا سعي بعض حكمائه لإنهاء قطيعتهم لهذا الكاتب المسرحي اللامع فسمعوا في ترشيحه للقب «سير» من الملكة وهو اللقب الذى حصل عليه عام ١٩٩٧.

يتصبب عرقاً إذا ما أخرجه مذيع تلفزيوني بحلول منتصف التسعينيات تأكيد الجميع من التغيير الكبير الذى طرأ على أعمال دافيد هير، ذلك أنه كان قد ابتعد كثيراً عن الاهتمام بالموضوعات السياسية والاجتماعية بالمعنى المباشر واقترب من الدراما السينكلوجية لفرد ولكن دون أن

يفقده إطاره الاجتماعى فى أى لحظة. وهكذا وجدها بعض النقاد يشيرون إلى أن مسرحيات هير فى النصف الأول من التسعينيات هي مسرحيات عن «شخصيات طيبة فى مواقف اجتماعية سيئة خلال سنوات حكم مارجريت تاتشر»(٤).

وللحظة المتفحصة إلى أعمال دافيد هير تثبت أن هذا التغيير فى أعماله هو تغير كمى وليس كيف، كل ما فى الأمر أن هير بهذا الشكل المخزى وكان من الواضح أن كان قد وصل إلى ذروة نجاحه فى محاولته

سياسات وزعامات حزب العمال ، بل والنظام الانتخابى الحزبى كله وقدمت المسرحية لأول مرة عام ١٩٩٢.

السياسى لزعيم حزب العمال جورج جونز أثناء الانتخابات . ودافيد يقدم صورة هذا الزعيم السياسى بشكل مثير للجدل : فهو من جانب ضعيف ، يضرب أقرب مسامعديه لانه سرب سراً من أجندة السياسية ،

يتصبب عرقاً إذا ما أخرجه مذيع تلفزيوني لكنه من جانب آخر شخص نقى من حاز للبساطة غريزى الرغبة فى النجاح .. لكنه فى النهاية يفشل رغم أنه يقدم صورة مخالفة للصورة التقليدية المنفرة للحزب اليسارى.

ولكى يكتب هير هذه المسرحية فقد سمح له حزب العمال بأن يطلع على مجريات الحملة الانتخابية الأخيرة للحزب فى بداية التسعينيات وعلى ملفاته ومناوراته بعض زعمائه ، ونصائح خبراء العلاقات العامة لهم .. إلخ وحين قدم هير المسرحية على المسرح اعترض أعضاء الحزب بشدة على تقديم صورة زعيمهم بهذا الشكل المخزى وكان من الواضح أن هير كان يكتب عن شخصية نيل كينون

(٦) ، توم (في نهاية الأربعينيات) استعادة عشيقته السابقة كيرا (في نهاية العشرينات) بعد قطيعة دامت عامين ، اختفت خاللها تماماً عن الانظار ومن الغريب أن إبوارد ، ابن توم ، يصل أولاً لكي يستتجد بهذه الفتاة إخراج أبيه من حالة الاكتئاب الشديدة التي لازمه بعد وفاة زوجته بمرض السرطان . ثم يصل الأب توم نفسه بعد قليل إلى شقة كيرا المتواضعة الواقع على الطريق الدائري للندن ، بعد أن قررت أن تعيش حياة الغالية العظمى من الانجليز - أو هكذا تقول وهذا اللقاء يفجر بالطبع ذكريات ما حدث في الماضي بين الشخصيات ، لكن المهم هنا هو أن هذه العودة لا تتم لاتساع الفارق الطبقي والفكري بين الشخصيتين رغم أنهما يقضيان ليتهما معاً في سرير واحد . ثم يصل إبوارد صباح اليوم التالي ليتناول إفطاره مع كيرا في شعيرة تدل على توصل كيرا إلى نوع من الاتساق .

وكما نرى من هذا التأثير السريع فإن هيبر يقدم عدداً قليلاً جداً من الشخصيات ليدير «الجدل» أو «التناقض» ما يحدث في الواقع الراهن لمسرحية ضوء سماء (١٩٩٥) قليلاً؛ فهي تتعرض بينماها ليس فقط على المستوى الشخصي أو العاطفي بل أيضاً على المستوى السياسي .

الدائبة لتحقيق التوازن بين الذاتي والموضوعي ، الفردي والجماعي ، الشخصي والسياسي في أعماله المسرحية . بل إن هذه النظرة قد تكشف أن أعمال هيبر بشكل عام ، حتى المبكرة منها ، كانت محاولات لتحقيق هذا التوازن وأنه لم يكن أبداً كاتباً سياسياً إذا كانت السياسة تعنى الابتعاد عن تجسيد مشاكل الفرد وزرعاته وأحباباته . ويرغم أن الإطار الفكري العام لدافيد هيبر ينحو نحو اليسار إلا أنه من الصعب تصنيفه أو وضعه ضمن أي نوع من أنواع المسرح السياسي التقليدي لأنَّ ظلَّ في معظم أعماله ، يعتمد على الواقعية التقليدية كإطار يقدم من خلاله حياة أفراد من الطبقة الوسطى في غرفة معيشتهم في الأغلب الأعم (٥) .

في النصف الثاني للستينيات قدم هيبر عدة مسرحيات تمثل جوهر تلك التركيبة الفريدة من الشخصي والسياسي ، من المشاكل السيكولوجية للفرد البرجوازي في إطار الاجتماع العام وهذه المسرحيات هي:

(١) ضوء سماء

ما يحدث في الواقع الراهن لمسرحية ضوء سماء (١٩٩٥) قليلاً؛ فهي تتعرض بينماها ليس فقط على المستوى الشخصي أو العاطفي بل أيضاً على المستوى السياسي .

مثلاً، فإذا كانت كيرا قد اختفت فجأة حين بين الرجل والمرأة وأهم ما يحدث في هذا الحاضر هو محاولة كل من توم وكيرا التأثير العاطفي على الآخر مع تبادل الاتهامات أحياناً بأن الآخر هو الذي أفسد العلاقة.

كيرا: لقد سعدنا لست سنوات وكتبت أنت الذي أفسدتها فمعك حين يكون هناك شيء صحيح لا يكون هذا الشيء كافياً أبداً، إنك لاتقيني وزناً للسعادة . بل إنك حتى لاتراها . لأنك دائمًا تريدين المزيد.(٧).

وإذا كانت كيرا تلوم توم هنا بنقضي نفس أدي به إلى تعمد إظهار خطاباتها إليه أمام زوجته فإنه هو نفسه يلومها بسبب آخر تماماً، إنه يلومها لأنها لم تقبل أبداً طبيعة عمله، رغم اقترابها الشديد من عالمه الشري وهذا دليل آخر على المنهج الأعمالي بعبارة أكثر بساطة نحن نشهد هنا صداماً بين امرأة تمثل نحو اليسار ورجل أعمال يميل نحو اليمين.

وكما نرى فإن هذه الصياغة الدرامية التي يخلط بها هير بين العام والخاص، أو بين السياسي والسيكولوجي ..أى رؤية الفرد في سياقه الاجتماعي العام، وقد اعتبر بعض النقاد هذه المسرحية مسرحية سياسية بالمعنى الواسع للسياسة ، أى صاحب سطوة غير منكورة في صياغة الحاضر ولأن هير كان قد وصل إلى تمام نضجه المسرحي في تلك الفترة فإنه لا يكشف عن هذا الماضي في سياق سياسي ، أو حتى مسرحية شكسبير دقة استرجاعي وإنما يتركه يتفجر كما لو كان بدقة وكلها تمكن «سياسيًا» في الإيمان العميق بأن هناك بالفعل شيئاً يسمى

علم الزوجة بعلاقتها بزوجها توم فإن ما حدث من تفتحوعي سياسي لفتاة كيرا بعد نموذجاً دالاً على قدرة هير على مزج

الشخصي بالسياسي . لقد خرجت كيرا من الإطار الشري لأسرة توم، وكانت مقربة للأسرة كلها حتى الزوجة ، لكن تكتشف بؤس الغالية ومعاناتها في حياتها اليومية لهذا السبب قررت كير أن تعمل مدرسة

في مدرسة فقيرة وأن تتوقف عن التعامل مع أجهزة الإعلام باعتبارها أجهزة لتزييف الوعي وفي ذات الوقت كان توم يزداد ثراء مع انحياز النظام الحاكم لأمثاله من رجال الأعمال . وبعبارة أكثر بساطة نحن نشهد هنا صداماً بين امرأة تمثل نحو اليسار ورجل أعمال يميل نحو اليمين.

تركيز على عرض التفاعل بين الفردي والعام، الشخصي والاقتصادي وبالتالي التفاعل بين الماضي والحاضر باعتبار الماضي صاحب سطوة غير منكورة في صياغة الحاضر ولأن هير كان قد وصل إلى تمام نضجه المسرحي في تلك الفترة فإنه لا يكشف عن هذا الماضي في سياق سياسي ، أو حتى مسرحية شكسبير دقة استرجاعي وإنما يتركه يتفجر كما لو كان بدقة وكلها تتمكن «سياسيًا» في الإيمان العميق بأن هناك بالفعل شيئاً يسمى

وهي عائدة من لندن من عرضها المسرحي المسائي في سيارة أجرة تعود إيزمى إلى منزلها لتجد ابنتها إيمى وصديقتها دومينيك وقد أحست هذه الأسرة السوية ^{الحقيقة(٨)}.

تعتبر مسرحية وجهة نظر إيمى إذ أنه يستغل كتاباته بعض الأعمدة في الصحف التجارية لكي يحقق مصالحه الشخصية ولكي يستفيد مهنياً من يكتب عنهم وهو المبتدئ في عالم الصورة السينمائية والتلفزيونية ومن المفید هنا أن تقارن بين دومينيك وإيمى التي تعتمد وجهة نظرها على مبدأ أساسى هو ضرورة منح الحب بغير شروط ، هذا المبدأ الذى يعترف به دومينيك نفسه وإن بعد فوات الأوان . يقول دومينيك.

يقول دومينيك.

لومينيك : أنت تعرفين مبدأ إيمى : عليك أن تحب كل الناس يجب عليك أن تحبهم عليك أن تمنحهم الحب دون أى شرط على الإطلاق عليك فقط أن تمنحه وفي يوم من الأيام ستاتيك جائزتك في يوم من الأيام سوف يرتد إليك هذا الحب(١٠).

من خلال تلك اللحظات التاريخية الأربع يقدم هير المصارع بين شخصياته في طريقين الأول هابط (هو المسرح) والآخر صاعد (هو التلفزيون والسينما) فالشاب دومينيك يعبر عن وجهة نظره المجتمع وأن هذا المجتمع يشكل أفراده كما يشكله هؤلاء الأفراد في عملية ديانكتيكية لا تنتهي أبداً .. أو ليست هذه تربة السياسة ^{الحققة(٩)}.

(٢) وجهة نظر إيمى :

خطوة مهمة في مسيرة دافيد هير الدرامية خاصة في سياق محاولته مزج الشخصى والذاتى بالعام والموضوعى(٩) ولتجسيد هذه المحاولة فإن هير يدير مسرحيته بنائيا حول أربع لحظات زمنية في حياة أبطالها تبدأ من منتصف صيف ١٩٧٩ حتى عام ١٩٩٥ بمعنى آخر ، يتوقف هير عند نقاط فاصلة فيما عرف باسم الحقبة التاتشرية التي غيرت وجه الحياة في بريطانيا وإلى الأبد وهو في هذه التوقفات يحاول رسم صورة بانورامية للفرد وسط التقلبات الاجتماعية الحادة . وفي هذه المسرحية يستخدم هير المسرح ذاته ليحتل قلب مسرحيته باعتبار أن ما يجري فيه يعد انعكاسا لما يجري في المجتمع . بطلة المسرحية ESME (٤٩) سنة) ممثلة معروفة في حى المزار المعروف باسم ويست إند، وهي تقطن في مدينة مجاورة لlundن . وللدلالة على تيسير حالها تقدمها المسرحية في المشهد الأول

ووجهة نظر جيله كله في المسرح من والرفيق دومينيك ، بين مبدئها في ضرورة الحب ومبداً رفيقها لكتها تفشل . فالألم تتحدر حالها الاقتصادية بفعل المصاربة من التغيرات ما جعل الصورة المرئية تحفل في الأسهم والبورصة ، بينما يصعد رفيقها في ضرورة الأخذ ، تعانى إيمى حتى تدفع المرتبة الأهم بين الفنون وفي مناسبة من المناسبات يقولها دومينيك واضحة : «لقد حياتها ثمنا لهذا الوضع الشائن . تحاول احتلت الصورة مكان الكلمة» ولأن الواقع إيمى مرة بعد أخرى أن تقرب بين أمها ورفيقها إلى قمة السلم الفنى والاجتماعى الاجتماعى كان يسرر هذه النظرة فإن دومينيك ينتقل من نجاح إلى نجاح على لأسباب لا تنتهى إلى الموهبة أو السلوك المستوى المهني حتى يقوم أول أفلامه الأخلاقي الرفيع . هكذا تتخل إيمى تمنح نفسها حتى يتوقف قلبها عن الحفagan .

أما على المستوى الشخصى فإن حياته مع إيمى -التي نراها في المشهد الأخير من مسرحية وجهة نظر إيمى بيلور دافيد هير علاقات شخصياته المركبة حين يرينا إيزمنى وهى تتأهب لكي تلعب دورها الصغير فى مسرحية من المسريحات . ساعتها يظهر صعوبة بعد الأخرى : فهو لا يقدم على الزواج منها ، حتى بعد أن ينجبه كما أنه يخونها دائمًا مع شقراوات السينما .

على الجانب الآخر يعرض هير لانحدار أحوال نجمة المسرح إيزمى : فهي تكافىء بطبق «وجهة نظر» إيمى أو مبدئها ، بعد أن ماتت وكانت موتها كان لازمًا لكي يتغير ثانوى في مسلسل تلفزيوني شعبي فيما كانت ترفض التمثيل في التلفزيون مبدئياً . ثم نراها عجوز في الفصل الرابع وقد تكون عاطلة في الفصل الثانى ثم تضطر في الفصل الثالث لقبول العمل في دور ثانوى في مسلسل تلفزيوني شعبي فيما على غواص الزمن والوضع المالى البائس للمسرح ولأمثالها وتتفهم إيزمى وربما هدتها الأعباء الاقتصادية ، تقوم بدور في مسرحية بالملابس التاريخية .

وبين شفى الرحى ، بين الأم إيزمى هبته ، في إيماءة تدل على اتساق وجودى ،

انحراف هير نحو الجدل هو السبب في أن النقاد قد أطلقوا على مسرحيته وجهة نظر إيمي أكثر مسرحياته ميلاً إلى أسلوب برنارد شو ومثل شو أيضاً يقدم هير في هذه المسرحية صورة قائمة لإنجلترا في سنوات حكم اليمين التاشيري.

(٢) قبلة يهودا

في سياق اهتمام مفاجئ بالآدib الأيرلندي الشهير أوسكار وايلد أقدم دافيد هير على اتخاذ بطله لمسرحية قبلة يهودا (١٩٩٨)، لكن هذا لم يمنع هير من الاشارة المتكررة إلى أن موضوع مسرحيته الحقيقي هو الصراع بين الحب والكرابية. ما يعنيه هذا هو أن هير يستخدم وايلد انعكاساً لما يحدث في المجتمعـ كما قلت المثلثة لمناقشة موضوعه الأثير: كيف يؤثر المجتمع في الفرد وكيف يصطدم هذا الفرد بمجتمعهـ ولتحقيق هذه الغاية لجأ إلى اختيار واحد من أكثر المجتمعات محافظة ورجعية وهو المجتمع الفيكتوري، كما لجأ إلى اختيار واحد من أكثر الكتاب فردانية وذاتية وهو أوسكار وايلد. وبين الطرفين، كما أنه يوازن بين هذه الاهتمامات التقليدين يدير دافيد هير مسرحيته قليلاً وأسلوبه في صياغة السمات السيكلولوجية للشخصيةـ فالمسرحية تثير الاهتمام بموضوعات نفسية متعددة مثل التركيب النفسي للممثةـ وعلاقة الأم بالابنة الوحيدة، والرغبة في النجاح بائى ثمنـ . وربما كان يهوداـ فالمسرحية تنقسم بنائياً إلى فصلين

وإن لم تقبل العنف والدموية اللذان يتسم بهما فيلمه الأخير.

تنتقل إيزمي من غرفتها إلى موقعها خلف ستار المسرح ، مع ممثل شاب حيث يصب كل منها الماء فوق رأس الآخر،

استعداداً لفتح الستار عن المشهد الأول للمسرحية التي يعرضانها . في مشهد شعاعي بسيط وكان الممثل الشاب يمسح بنزيت التقديس رأس الممثلة العجوز فيما تقوم هي بتعميده ، ينهي هير هذه المسرحية وكأنه يؤكد أن المسرح سيظل دائماً مكاناً مقدساً للاحتفاء بأحزان الإنسان وأفراحه، بانكساراته وانتصاراته .

ولكن هير يبدو مشغولاً بالمسرح باعتباره انعكاساً لما يحدث في المجتمعـ كما قلت المثلثة شغلت المجتمع الانجليزي كثيراً طويلاً ومفعمته بالجدل حول موضوعات متعددة شغلت المجتمع الانجليزي كثيراً مثل المضاربة في البورصة أو الاستثمار في الأسهم أو انهيار شركة لويدز ..إلخ إلى اختيار واحد من أكثر الكتاب فردانية وذاتية وهو أوسكار وايلد. وبين الطرفين وأسلوبه في صياغة السمات السيكلولوجية للشخصيةـ فالمسرحية تثير الاهتمام بموضوعات نفسية متعددة مثل التركيب النفسي للممثةـ وعلاقة الأم بالابنة الوحيدة ، والرغبة في النجاح بائى ثمنـ . وربما كان يهوداـ فالمسرحية تنقسم بنائياً إلى فصلين

يضاهى كل منها الآخر، ويركز كل منها على لحظة حاسمة في تاريخ أوسكار وايلد. تقع أحداث الفصل الأول في إحدى غرف فندق كادوجان في لندن، بعد ظهر يوم الجمعة ٥ أبريل عام ١٨٩٥، وأهمية هذا اليوم ترجع إلى أنه اليوم الذي خسر فيه وايلد قضيته التي رفعها ضد والد «صديق» بوزي وهو ماركيز كويزنيري. بهذه الخسارة يستطيع الأب ابلاغ البوليس والقبض فوراً على وايلد المتهم بالقيام بتصورات سلوكيات «سودومية»، والجميع يعرف أن الماركيز قاعده هذا لا محالة، ما لم ينفذ وايلد بجلده إلى أوروبا هاجراً «بوزي» أو «لورد الفريد دوجلاس». أمام هذا «الاختيار» يقدم هير ثلاثة اختيارات: الأول هو موقف بوزي الرافض للهرب وايلد بجلده إلى فرنسا، ذلك أنه يرى أن الحب الإغريقي بينهما يستأهل مثل هذا الصمود في مواجهة الأب الظالم (وإن كان حكمه بالظلم على الأب يعود إلى أسباب أخرى تماماً). الاختيار الثاني أكثر حيدة وهو موقف روسي **Ross** (أول رجل في حياة وايلد) الذي يختار هروب وايلد لأن السجن والإهانة ينتظران وايلد. ويمثل روس هنا موقف كونستانس زوجة وايلد. أما الاختيار الأهم فهو اختيار وايلد

١٢٢

الحب أو العطاء ، مستغل يعيش عالة على وايلد المفلس المحطم وسرعان ما يثور وايلد عليه لكن خطاباً صغيراً يصل إلى بوزى من أسرته يغير الموقف تماماً إن الفيكتوري كله هو الشخصية الحاضرة الغائبة في كل صفحة من صفحات المسرحية . هذا المجتمع يطارد فريسته أوسكار وايلد في كل لحظة من لحظات حياته : أثناء محاكمة لا يرى وايلد إلا عيوناً متعطشة لمائه وفي الشوارع يبصق الناس عليه وب قبل أن يصل إلى الفندق تكون الصحافة الفاضحة هناك لكي تكون شاهداً على لحظات القبض على وايلد وفي اللحظات الأخيرة من الفصل الأول الواقع . فالفضل الأول يظهر وايلد على وعي يذكر خادم الفندق أن الجماهير قد تجمعت بأنه يلعب دور الشخصية لمجتمعه في مأساة في طريقها للنون لكي تقضي على وايلد .

يقدم دافيد هير هذا المجتمع في صورة من صنع الآخرين واللافت هو أن بوزى هو أكثر من يفهم وايلد بالاستسلام للقدر والصيرورة والمكتوب .

بوزى : أجلس هنا وقل لنفسك إن مصيرك قد تقرر .. إن الموضوع كله مكتوب سلفاً على النجوم (١١) .

وفي الفصل الثاني يتتحول وايلد للعب دور آخر هو دور الشهيد ، أو دور المصلوب : ففي عام كامل مثلاً من عامي سجنها اعتاد وايلد أن يبكي في نفس الساعة التي بكى الإعلان عنها .

سبب آخر لثورة المجتمع الانجليزي فيها المسيح .

ومن الواضح أن "روس" و"بوزى" يمثلان جوانب مختلفة من ضغوط المجتمع على أوسكار وايلد ، إلا أن المجتمع الفيكتوري كله هو الشخصية الحاضرة الغائبة في كل صفحة من صفحات المسرحية . هذا المجتمع يطارد فريسته أوسكار وايلد في كل لحظة من لحظات حياته : أثناء محاكمة لا يرى وايلد إلا عيوناً متعطشة لمائه وفي الشوارع

يبيصق الناس عليه وب قبل أن يصل إلى الفندق تكون الصحافة الفاضحة هناك لكي تكون شاهداً على لحظات القبض على وايلد وفي اللحظات الأخيرة من الفصل الأول الواقع . فالفضل الأول يظهر وايلد على وعي يذكر خادم الفندق أن الجماهير قد تجمعت بأنه يلعب دور الشخصية لمجتمعه في مأساة في طريقها للنون لكي تقضي على وايلد .

يقدم دافيد هير هذا المجتمع في صورة من صنع الآخرين واللافت هو أن بوزى هو أكثر من يفهم وايلد بالاستسلام للقدر والصيرورة والمكتوب .

بوزى : أجلس هنا وقل لنفسك إن مصيرك قد تقرر .. إن الموضوع كله مكتوب سلفاً على النجوم (١١) .

سبب آخر لثورة المجتمع الانجليزي فيها المسيح .

الحب أو العطاء ، مستغل يعيش عالة على وايلد المفلس المحطم وسرعان ما يثور وايلد عليه لكن خطاباً صغيراً يصل إلى بوزى من أسرته يغير الموقف تماماً إن الفيكتوري كله هو الشخصية الحاضرة الغائبة في كل صفحة من صفحات المسرحية . هذا المجتمع يطارد فريسته أسرته تعرض عليه المغفرة وبعض الفضة إذا ما هجر وايلد .. وهذا ما يفعله سريعاً . وتكون هذه هي الخيانة الثانية لوايلد ، الذي يقرر البقاء هناك وحيداً فيما يظلم المكان من حوله .

وكما استخدم هير المسرح كنهاية عن المجتمع في وجهة نظر إيمى فإنه يحرك شخصياته هنا في قبلة يهودا باعتبارها شخصيات واعية بأنها «تعب أدواراً» في الواقع . فالفضل الأول يظهر وايلد على وعي يذكر خادم الفندق أن الجماهير قد تجمعت في طريقها للنون لكي تقضي على وايلد .

يقدم دافيد هير هذا المجتمع في صورة شديدة القبح والتشوء باعتبارها مجتمعاً أخلاقياً منفصماً : إنه مجتمع يغضض عينيه عن ممارسات وايلد لكنه ييرز أنسيابه إذا أعلن وايلد هذه الممارسات . إن وايلد بهذا الإعلان يكون كمن وضع المرأة في وجه المجتمع الفيكتوري . ولهذا تكون ثورة هذا المجتمع عنيفة ضد وايلد . إن جريمة وايلد في المسرحية ليست الجنسية المثلية بل الإعلان عنها .

ففي عام كامل مثلاً من عامي سجنها اعتاد وايلد أن يبكي في نفس الساعة التي بكى الإعلان عنها .

والحادي أن العالم ينجح في النهاية في إنهاء علاقة الحب .. بل وفي إنتهاء حياة وايلد نفسه بعد قليل.

(٤) طريق الألام

تمثل مسرحية طريق الألام (التي قدمت على المسرح عام ١٩٩٨) مكانة فريدة في أعمال دافيد هير لأسباب عديدة نجملها في التالي، انتظارا لترجمتها وتقديمها لقراء العربية لأنها مسرحية عن:

(أ) إنها أقرب إلى «التقرير الدرامي»، أو قراءة الموقف الدرامي بين بين الفلسطينيين والإسرائيليين لأنها مسرحية تسجل أسباب زيارة دافيد هير لإسرائيل ، ثم لقطاع غزة، للمرة الأولى عام ١٩٩٨ كما أنها تقدم تفسيره الشخصي للصراع الدامي في الشرق الأوسط واستنتاجه المستقبلي الصراع هناك(١٢).

(ب) لهذا السبب فإن المسرحية عبارة عن مونولوج طويل ، يتقمص فيه الرواى جزئيا بعض الشخصيات التي يلتقاها على الجانبين العربي والإسرائيلي.

(ج) إن دافيد هير نفسه -وربما للمرة الأولى في حياته- قد وقف على خشبة المسرح ليقدم هذا المونولوج ، وهو يشير في النص المنشور إلى أن المؤلف هو أنساب من يقدم المسرحية على خشبة المسرح

المحافظ هو إيرلندي أو سكار وايلد : فالمجتمع الإنجليزي قد يسمح لوايلد بأن يلعب دور المسامر ، لكن إذا تمادي وايلد في مسامرته بشكل يقلل من هيبة الإنجليز فانهم يشرعون ضده كل أسلحتهم باعتباره «أجنبيا» إن هذا المجتمع يفضي على وايلد الإيرلندي لكنه يتغاضى عن «الجرائم» المشابهة التي يرتكبها «بوزي» لأنه انجلزي

بل وأرستقراطي . هذا المجتمع القاتل لا يترك وايلد وشأنه حتى وهو في إيطاليا ، فهو يرسل إليه رسلاه هناك لكي يقطع صلته بالمحبوب بوزي حين ينقل روسي غضب زوجته كونستانس يثور وايلد: روسي: هل تتعجب من أنها غاضبة ؟ إنه الشيء الوحيد الذي تطلب منك هي ألا تقطعه! .

وايلد: هي؟ ليست هي فقط ! العالم بأسره (يضحك بمرارة) أنت جميعا حقاً أنت جميعاً قساة كل فرد منكم. العالم يضعن في السجن لكي يثبتوا أن بوسفهم تتمير علاقتي بلورد الفريد بوجلاس.

روسي: العالم؟ . وايلد: نعم وهل أنت تكتشف أنكم لا تستطرون ولذلك فإن العالم يبحث عن انتقامه(١٢).

ولقد قوبل أداء هير بكثير من الاستحسان حين قدمها في لندن ثم في بروكواي بعد ذلك.

(د) إن الباعث على الزيارة يتسع تماماً مع الموضوع الذي يشغل هير خلال العام لتحقيق السلام.

(ز) نشر هير مسرحيته تلك للمرة الثانية في صحيفة الجارديان العام الماضي مع مقدمة يشير فيها إلى أن هذه السحرية قد نجحت بالفعل في لفت أنظار لإسرائيل إن الإسرائيليين ما زالوا يقاتلون الدائر في الشرق الأوسط ولهذا السبب فقد تحول موقف هؤلاء من السلبية إلى الثلثى الإيجابى أو المشاركة في محاولة حل القضية الشائكة.

(ح) على عكس كتاب كبار آخرين فإن قراءة «دافيد هير للموقف الراهن تحمل قدرًا كبيراً من التماط مع القضية الفلسطينية ، لكنها نظرة لافتة قدرتها على نقد بعض سلبيات رأها هنا وهناك ومن أكثر الأمور أهمية هنا - على الأقل بالنسبة لـ - هو نظره هير - الكاتب الغربي إلى وجود إسرائيل باعتباره محكمًا عليه بالفناء لأنهم «غرباء» بالمعنى الأيكولوجي

ـ أي أن التكوين المجتمعي والبيئي للمنطقة بمجموعاتهم : هؤلاء الكتاب هم هير نفسه وهيرتزل وشكسبير والمسرحية متواترين ، أو «أجساد غريبة». (و) يلعب المسرح دوره الذي يكاد يكون تقليد الان كانتصاراً معبّرة عن حال المجتمع : وفي طريق الآلام (وهو الطريق الذي قطعه المسيح حتى بقعة الصلب) يشير هير إلى علاقة ثلاثة كتاب مسرح

(٥) سريري الزنك

شوعياً أنا استخدم الصدمة كاملة (١٤). والسرير المشار إليه هو سرير الموت، وهذه المسرحية هي الأخيرة في إنتاج هير المسرحي حيث قدمت على المسرح في العام الماضي ومسرحية سريري الزنك ليست غريبة على موضوع هير الأثير وهو الإيمان بالحب - العطاء وإن كانت المسرحية تنظر إليه من الزاوية النقيضة وهي زاوية الإدمان بكل تجلياته ، بما في ذلك «إدمان الآيديولوجيا» والمسرحية تنويع قوية هذه المرارة على علاقة الفرد بالمجتمع بقوتها تتبّع الحدث الدرامي.

وبول شاعر «صحفى مفلس» وهو يصل إلى منزل فيكتور لإجراء حديث صحفي مع واحد من أباطرة الانترنت في بريطانيا (١٥) ، هو فيكتور المتمدن دائمًا عن مثل هذه الأحاديث . ولكن الموقف ينقلب إلى نقائه حين نرى أن فيكتور هو الذي يقوم بدور المحاور كما أن الحوار يدور حول حياة بول وخاصة شعره وإدمانه للخمر

ومحاولة إحدى المنظمات (وتسمي AA) مساعدته ولسبب ما يقوم فيكتور بتعيين بول في مؤسسته الكبرى كتاباً أو مبتکراً لشعارات لترويج الشركة وربما يعود سبب التعيين إلى عطف فيكتور ، أو رغبته في تبني بول ، أو تكفيلاً عن فقدان حياته لـ الشاعرية، أو رغبة في التباہي بتوظيف فيكتور: بشكل ما . من الواضح أن الصحف اعتادت القول بأنني كنت ماركسيًا ذات مرة . إنهم غير قادرین على استخدام الكلمة الصحيحة . أنا في غاية الإصرار . أنا لم أكن ماركسيًا . لقد كنت

فيكتور: كنت شيوعيا

بول: نعم

فيكتور يتوقف

ماذا تعنى؟ هل هذا هو سبب نشوئه اهتمامك بالعقائد؟

فيكتور: بشكل ما . من الواضح أن الصحف اعتادت القول بأنني كنت ماركسيًا ذات مرة . إنهم غير قادرین على استخدام الكلمة الصحيحة . أنا في غاية الإصرار . أنا لم أكن ماركسيًا . لقد كنت

الشعراء في مملكته .. كل هذه أسباب جائزة والنص غير حاسم فيها . لكن اللافت هو أن فيكتور المجرب يبدو وكأنه يقوم عمداً بالتقريب بين بول وإلزا ، أو يبدو على الأقل إحدى أمسيات الصيف .. إلى أن يشربه غير واع بأن التقارب بينهما سيحدث لا بول في النهاية ..

محالة . فإذا كان بول يعالج من الإدمان فإن لكن المسألة أكثر تعقيداً من ذلك: إلزا كانت مدمنة في الماضي ، كما أن فالخمر عند بول تعنى القدرة على كتابة كلهم شاب في مقتبل العمر .

وكما هو متوقع يحدث «الالتقاء» بين بول بول الخمر إثر علاقة عاطفية فاشلة تركته وإلزا . ويتحول بول إلى صديق للعائلة هائما شريداً وإلزا تحاول جاهدة أن تعيد وهذه الصدقة تقدم وجهتها نظر متعارضتين في «الإيمان» ، أو في الإدمان تفشل في النهاية لأنها تكتشف أن بول يعني أدق . فالشاعر بول يؤمن بجدوى هذه الجمعيات أو المنظمات ، لكن تجربة فيكتور مع الحزب الشيوعي الإنجليزي السابقة .

لقد وصلت علاقة إلزا بزوجها فيكتور تركته «مؤمناً» بأن مثل هذه التجمعات لا تشفي المريض من دائه بل وتحول إيمانه إلى طريق مسدود ، كما يبدو ذلك أنها ترفض أن تتوجب لفيكتور أطفالاً لأنها إن المنظمات تحل بدلاً للإيمان بشيء حقيقي لأنها تشفي «المريض» من كل رغبة وهي لا تريد انجاب المزيد من التعباساء إلا الارتباط بها . وجهة نظر فيكتور هي أن للدنيا ورغم أن فيكتور ساعد إلزا في التوقف عن إدمان الخمر إلا أنها تنتظر نظرة شك إلى المستقبل في ظل المنافسة بول للخمر ولذلك فإن بول لابد أن يتوقف الشرسة التي بدأ فيكتور نفسه عانها .

ورغم أن فيكتور يتربع على عرش شركة الرغبة ذاتها ، بل عليه أن يكون قادراً على رأسمالية ناجحة إلا أن هير يجعل هذه

للاعتراف بأنه فكر في مقوله يونج بعد موته فيكتور: «حين نحب شخصا آخر فإن هناك إغراء في أن نحب ما نفتقده في أنفسنا فقط . لكن البحث عن إكمال أنفسنا مع شخص آخر لا يمكن أن ينجح أبدا». هذه المقوله عن التوقف الابدي للأكمال بالآخر تعنى أنه توقيع لا مهرب منه لكنه محكوم بالفشل في النهاية . ويبعد أن هذه المقوله هي التفسير الأنسب لمحاولة فيكتور تعويض ما ينقصه (من شاعرية وإيمان) في شخص بول ، لكن هذا اكتمال لا يمكن أن ينجح أبدا . وبهذا الفهم تكون سيريري الزنك قد نجحت في الموازنة بين جوانبها السياسية وجوانبها السيكولوجية ويكون دافيد هير قد نجح إلى حد بعيد في فرز أشياء يصعب مزجها في المسرح، وأهمها الجوانب الذاتية والسياسية في تكوين الشخصية الدرامية.

هوماش ومراجع

(١) أقدم مير على إعداد بعض العروض المسرحية عن مسرحيات عالمية شهيرة مثل مسرحيات بيرانديللو قواعد اللعبة (١٩٧١) وبريفت حياة جاليليو (١٩٩٤) والأم شجاعمة (١٩٩٥) وتشيكوف إيفانوف (١٩٩٧) وأخيراً شنتزل الدائرة والقمر (١٩٩٨) أسمها الغرفة الزرقاء (١٩٩٨) والتي قامت ببطولتها على المسرح لنجمة السينما الأمريكية بيرمان.

Richard allen Cave, New(٢)
British Drama 1970-1985. Col-
in Smythe, 1989, P.188.
John bull , New british(٣)

المكانة مردودة إلى قدرات فيكتور التي حصلها حين كان منتميا إلى الحزب الشيوعي وإن فيكتور ما زال قادرًا على النظر إلى المجتمع الانجليزي نظرًا تحليلاً ، كما أنه قادر على النظر المتعمق إلى ما وصلت إليه الرأسمالية العالمية وفيكتور يفهم أيضًا أن المناقضات هي التي تقف في قلب الحياة فإذا توقف المناقض توقف الحياة بورغم هذا كله فإن تجربة فيكتور مع الحزب ومبادئه الايديولوجية قد زرعت الشك في قلبه(٤). لم يعد فيكتور مقتنعاً بأن الإيمان في حد ذاته يشكل قيمة بل أن القيمة تكمن في الشيء الذي تؤمن وربما كانت التغيرات التي شهدتها الانظمة الماركسية سبباً رئيسياً في فقدانه الإيمان ، لكن النظام الرأسمالي هو الآخر يفقد شركته أو مؤسسته الخاصة بفعل المنافسة الشرسة في السوق العالمية. ثم يموت فيكتور في حادث سيارة بعد أن يترك بول هذه الأسرة ويعود إلى مؤسسته العلاجية. إن الجانب السياسي أو الاجتماعي في مسرحية سيريري الزنك يعد جانباً مهماً ، لكن الجانب السيكولوجي في تركيب الشخصيات الثلاث: فيكتور وبول وإلزا إن أنساب المدخل إلى فهم هذه العلاقة السريعة والغريبة التي نشأت بين بول وأل كوبين هو المدخل النفسي . ففي المشهد الأخير للمسرحية -مثلاً- يعود بول

David Hare , The Judas Kiss , Faber & Faber , 1998	P.42.	Political Dramatists, Macmillan.1984, P.10.
Ibid , P. 89.(١٢)	Janelle Rienelt, After Brecht :British Epic Theatre.	The University of Michigan Press, 1994,P.142.
(١٣) استخدم دافيد هير بعض عناصر سيرته الثانية في مسرحية أثيان وابسamas كما استخدمنا في مسرحيته التالية سيري الزنك ، ولكن طريق الالم لا يستخدم عناصر من سيرته الثانية «بشكل مستتر» وإنما يشكل مباشر واضح . ورغم هذا كله فإن لا يعد من الكتاب الذين تعتمد مسرحياتهم اعتماداً كبيراً على سيرة حياتهم.	Carol Homden, The Plays of David Hare, Cambridge University Press, 1995, P.231.	(٤) أشار بعض النقاد إلى أن اختيار هير لشخصية صاحب الطعام لم يكن مصادفة ، ففي تلك المفبة (الصحابيات) كان أمثال هذا المالك قد ارتفعت أسمائهم في الحياة العامة لدرجة أن الصحف كانت تتحدث عن حياتهم الخاصة وطموحهم وذوقهم في الميس ونحوه .. إلخ . كانت شخصية صاحب الطعام نموذجاً للمضيق المعاو .. إلخ . كانت علاقتها به على تعامل الوقت الذي لا تصادقه تماماً ولا تقصر علاقتها به على تعامل المجتمع الرأسمالي في أحد تجلياته العملية وهو الانترنت راجع مادي هير . انظر:
David Hare , My Zinc Bed , (١٤) Faber & Faber , 2000 , PP .14 - 15.	John Peter , The Price of love , The Sunday Times Culture . 14 May 1998 P.20.	مقالات:
(١٥) لم يكن استخدام هير لهينة فيكتور مجرد مسيرة لوحة الكاتبة عن الانترنت بل قصد منها الاشارة إلى التحول الحاد في حياة بطله من الانقسام في العمل العام إلى تحكم ذرعة المجتمع الرأسمالي في أحد تجلياته العملية وهو الانترنت راجع للمؤلف المسرحي ؟ لمزيد من التفاصيل راجع:	David Hare , Skylight , Faber & faber , 1995 , PP. 94-5.	(٥) قدمت مجلة المسرح ترجمة لهذه المسرحية دون أي احتفاظ في عدد سبتمبر ١٩٩٩ تحت الاسم المشار إليه . وقد نظمت تقدى في عدد سبتمبر ١٩٩٩ تحت الاسم المشار إليه . وقد نظمت الاحتفاظ بنفس الاسم الذي استخدمها مترجمها ابراهيم محمد ابراهيم.
CHARLES SPENCER , THE DAILY TELEGRAPH , 15.9.2000.	John Peter , Op.Cit , P.20.(٨)	David Hare , Amys View , (١٠) Faber & Faber , 1997, P121.
(١٦) تبدو عناصر السيرة الثانية لنافيدي هير في مسرحية سيري الزنك واضحة، وقد أشار إليها كثير من النقاد، وهي أوضح ما تكون في الذي المقالات اتخذ عنواناً لها «صورة ذاتية للمؤلف المسرحي ؟ لمزيد من التفاصيل راجع:		
JOHN PETER A PORTRAIT OF THE PLAYWRIGHT? THE SUNDAY TIMES, CULTURE 24,September 2000 , p.19.		



مسرح

المهرجان التجريبى بعد ٢٠ عاماً

المسرح المصرى بين التجريب والتذرب

خلد سليمان

المسرح أبو الفنون وأحد أهم روافد الثقافة الكونية، والتيار التجريبى أحد أهم روافد الحركة المسرحية فى العالم.. ولاشك أن ما هو كلاسيكي اليوم كان تجريبياً بالأمس ، ولكن ماذا عن المهرجان القاهرة الدولى للمسرح التجريبى وحضارته بعد اثنى عشر عاماً هي عدد دوراته الفعلية (لأن المهرجان توقف خلال أزمة الخليج الثانية مع كارثة الغزو العراقى للكويت)؟.

ويمكننا أن نسأله سعاده المثقفين بالحرار الذى أحدثه المهرجان فى حيواتنا المسرحية الراكدة بقدر ما ازدادت التحفظات دورة تلو الأخرى حتى بات المهرجان - المرهون بوجود شخص أو أشخاص بعينهم مهدداً .. خاصة أن كثيراً من هذه التحفظات قوبل بالتجاهل من قبل المسئولين عن المهرجان مع أننا (مثقفون ومسئلون) لو تعلمنا احترام الرأى الآخر مثماً نؤكد على فكرة قبول الآخر القادم من الغرب .. لكن لنا شأن

آخر وأصبح للمهرجان بنية تحتية وقواعد راسخة لا تعتمد على وجود أشخاص بعينهم، الأمر الذي يضمن بقاءه كنقطة مضيئة في واقعنا الثقافي المتردى الذى أفرز لنا أستاذة فى النقد احترفوا الهجوم على أعمال لم يشاهدوها.

كانت أهم التحفظات التى وجهت للمهرجان (على سبيل المثال) :

-الاهتمام بكم العروض على حساب الكيف واستقدام فرق من الهواة بلا تاريخ لم تصنف شيئاً إلى الحركة المسرحية ، وتحضرنى هنا حالة الدهشة والانبهار التى سادت معظم المسرحيين العرب الذين شاهدوا العرض «المعجز» لفرقة أوربا بكين » فى افتتاح مهرجان قرطاج المسرحى فى الدورة الماضية والذى اعتبره د محمد الميدونى « رئيس المهرجان من أهم إنجازات تلك الدولة إلى جانب» فرقة البولشوى » التى اختتمت المهرجان ، وهل نحن أقل من أن نفعل ذلك ، ..هلى الرغم مما يتربّد عن ميزانية المهرجان الهائلة.

-إصدارات المهرجان التى لا تصل إلا إلى الصحفة أما مستحقوها فعلتهم الانتظار لحين إشعار آخر.

- كذلك ما تردد عن الترجمات المعيبة فى إصدارات المهرجان .
وماذا عن فكرة التسابق فى مهرجان تجريبي ؟ بالإضافة إلى سوء التنظيم بسبب وجود كم هائل من العروض فى ظل ندرة أماكن العرض الأمر الذى يجعل المتابعة مستحيلة .

وهل ضاق المسؤولون عن المهرجان ذرعاً بجائزة النقاد التى أخرجت أشخاصاً بعينهم فيما يبدو فاختفت الجائزة ومعها لجنة النقاد فى ظروف غامضة؟ بينما ظل ثلاثة من الأجانب يختارون لنا ما نشاهد من العروض العالمية (يتربّد أنه تم إلغاء لجنة الاختيار الأجنبية هذه الدورة).

ـ وما هو مردود المهرجان على الحركة المسرحية فى مصر؟ وكيف يمكن تقديره ومن خلال من؟

ـ وهل هناك قصدية فى اختيار عروض معينة لتمثل مصر؟ .
ـ وكان الحل الأمثل للإجابة عن كل تساؤلاتنا هو اقتراح المسؤولين فى «أدب ونقد»

أن يكون تقييم المهرجان وحصاده من خلال بعض رموز الحركة المسرحية والمهتمين بها والعاملين فيها من مختلف الأجيال والأراء في محاولة للوصول إلى الحقيقة التي في الأّنفسب البعض وأن ترسم صورة واضحة للموقف المسرحي كله.

لم يحقق النتائج المرجوة

سعد أردش

العروض التجريبية المصرية التي قدمت منذ بداية المهرجان لم تكن نابعة من خطة علمية ولم يطبق فيها منهج علمي وإنما كانت في معظمها تقليداً للسمات الجديدة في العروض العالمية التي حضرت المهرجان من قبل .. مجرد تقليد ، تجد الذي يقلد التعبير الجسدي أو محاولة في الإضاعة إلخــ ولكن المفروض أن توسع خطة علمية لتجريب مصرى نابع من الأرض المصرية، ويحضرنى هنا عندما أحب أستاذنا توفيق الحكيم أن يجرّب وكتب « يا طالع الشجرة» فذهب إلى التراث المصرى وقدم نصا عبثيا نابعا من هذا التراث ولكن فى « فورم جيد» ولذلك أطلقتنا عليه مسرح تجريبى ، أو مثلا عندما قدم «محمد سلاموى» فوت علينا بكره واللى بعده «وضع منهجا علميا أمامه بموجبه طبق مبادئ مسرح العبث على مسرحيته» واستطاع أن يتصدى عناصر العبث فى الحركة الاجتماعية المصرية مثلاً فعمل كتاب الغرب مع مجتمعاتهم، أما العروض التي قدمت أخيراً فلم تشغل نفسها بالبحث العلمي العميق ولذلك فالحصيلة ضئيلة جداً ، اللهم بعض الأعمال التي لفتت النظر مثل العرض الذى قدمه ناصر عبد المنعم عن «النوبة» وحاول أن يجرّب عليه .. أو محاولة انتصار عبد الفتاح لإيجاد نوع جديد من المؤثرات نابعة من تراثنا وإكسسواراتنا التراثية «المصفاة» والمهون والطشت إلخــ ولكن هذا لا يكفى بعد اثنى عشر عاماً من بدء المهرجان كان المفروض أن يكون عندنا على الأقل ١٢ عرضاً تجريبياً ننطاخ بهم التجريب فى العالم ، وانتهز الفرصة لأقول أنتا نظرنا إلى التجريب فى المسرح على أساس أنه وظيفة الشباب الذى لا يملك خبرة والذى تنقصه الدراسة ويفتقىء إلى المنهج العلمي .. كيف يتاتى ذلك؟

مثلاً توفيق الحكيم قبل أن يتوجه إلى كتابة نص تجريبى اجتاز كل أنواع المسرح من الكلاسيكي للواقعى للكوميدي للميلودرامى ، لذلك كان لابد لمؤسسة أو لإدارة المسرح

التجريبي أن تضع في اعتبارها النهج العلمي الذي يسهل استفادة المسرح المصري من التجارب العالمية التي تشارك في المهرجان ولكن لم يوضع منهاج علمي ولا آلية لتفقيق هذه الفائدة ، كان من الممكن تكوين «ورش مسرحية» ترسلها إلى الخارج لترى كيف يجرؤ الآخرون في اليابان أو فرنسا أو إنجلترا أو الصين إلخ ليعودوا إلينا بالجديد ..كما أن توقف البعثات العلمية أدى إلى نوع من الفقر المطلي ..آن الأوان لأن نعد جيلاً جديداً من المبعوثين في الخارج.

منذ حوالي ٥ أو ٦ سنوات بعد أن شاهدت عرض «كوابيس مسرحية» من إخراج «محمد الخولي» أوصيت بإرسال المخرج في بعثة إلى إيطاليا لدراسة المسرح الأسود. أما عن لجنة اختيار العروض الدولية المشكلة من ثلاثة أجانب ولماذا لا يوجد بينهم مصرى أو عربي ..فإن هذا السؤال يجب توجيهه إلى رئيس المهرجان.. ولست متاكداً هل شكلت اللجان بهذه الطريقة لأن الأعمال القادمة أجنبية ويجب أن يختار بينها أجانب ؟ هل من الصعب أن نجد كادراً مصرياً لديه القدرة على الاختيار مع الأجانب ؟ الحقيقة أنه ليس لدى إجابة محددة.. وكما أسلفت هذه أسئلة لا يملك الإجابة عليها بشكل محدد سوى رئيس المهرجان .. وقتما كنت رئيساً لمهرجان لم تكن هذه الطريقة المتبعة حالياً هي آلية الاختيار .. ولكن للحق أيضاً كان عدد العروض أقل من الآن بكثير ..وإذا كان المهرجان في الوقت الحالى يستقبل عروضاً من خمسين أو ستين دولة فلابد من الاختيار ولكن على أساس معايير تجريبية علمية.

-كما جيلاً باكمله -عبد الرحيم الزرقاني -كرم مطاوع ، جلال الشرقاوى ،كمال ياسين ، حمدى غيث ، نبيل الألفى ، أحمد زكي ، وأنا .. وحملنا على عاتقنا المرحلة التجريبية التأسيسية وخرج إلى النور «مسرح الجيب »، مسرح المائة كرسي ، مسرح القهوة ..إلخ ..كان فى نيتنا تجديد دماء المسرح المصرى وقد حدث ذلك بالفعل بدليل استجابة قامة كبيرة مثل توفيق الحكيم لهذا الاتجاه ..لكن إذا أردت أن تتعرف على سبب حدوث الفجوة فعلينا أن ندرس تطور الحالة السياسية والاجتماعية والاقتصادية في السبعينيات في وسط السبعينيات بالتحديد ..والفجوة حدثت في الحركة المسرحية كلها وليس على مستوى التجربة فقط ..ولما جاء الوزير «فاروق حسنى» وقدم مشروعه

لمهرجان المسرح التجريبى رحبنا بالفكرة على أساس أنها مواصلة للمرحلة التجريبية التأسيسية القديمة.

كان الأمل أن نرى من خلال المهرجان جيل جديدا يتولى إعادة إعمار المسرح المصرى عموما وليس على مستوى التجريب فقط - كان هدفنا الأساسى المسرح المصرى من خلال تحديد الكتابة المسرحية والإخراج المسرحى وإداء الممثل والإطار التشكيلي .. وحتى تجديد العلاقة مع المثقفى .. وكان الأمل معقودا على المهرجان فى أن يولد جيلاً جديداً من المسرحيين والشباب وغير الشباب لينهضوا بالمسرح المصرى من جديد «لكن محصلش» وكانت النتائج مخيبة للأمال لأنه لم تدرس آلية الاستفادة من هذا المهرجان.

.. وتبديد المال العام

عبد الغنى داود

أحب أن أقول إن المبالغ الطائلة التي أنفقنا على هذا المهرجان كان من الممكن أن تندفع الحركة المسرحية المصرية بحيث تجعلها تنمو وتزدهر بشكل طبيعي وصحي .. وكان المناخ المسرحى في مصر في هذه الحالة سيتواءز مع أي حركة مسرحية مزدهرة في العالم .. وهناك تبديد في المال العام بالنسبة لهذا المهرجان الذي يدعى أكثر من شخص أنه صاحب فكرته .. وبهذه الأموال التي أنفقنا كان يمكننا أن ندعو أكبر فرق مسرحية ذات تاريخ وذات تراث لمشاهدتها في مهرجانات أو شبه مهرجانات تستفيد منها من خلال التبادل الثقافي والمعرفي .. وهذا أفضل بكثير من استجلاب شراذم فرق هواة ليس لديها أي خبرة لتنفق عليها الأموال بلا جدوى .. والعرض المصري التي شاركت في الائتني عشرة دورة السابقة كانت نتيجتها سلبية ويمكن أن نطلق عليها إنها عروض سياسية ترفع شعار الغوغائية الفلكلورية ، ومن الطريق أنتا نجد في المقابل عروضا عربية فازت بجوائز في المهرجان عن استحقاق لأنها عروض جادة ومهمة .. على الرغم من أن الوفود العربية كانت تشكو من سوء معاملة المسؤولين عن المهرجان الذين اعتبروهم «درجة ثانية» بالنسبة لفرق القادمة من أمريكا وبريطانيا والدول الغربية.

ـنحن نرى عروضاً مصرية تجهز قبل المهرجان بأسابيع وبعدها أيام وهي عروض غير مدروسة ويغلب عليها التقليد «البيفاوى» لبعض العروض الغربية التي تقدم كلغة جسد أو مسرح راقص أو ما شابه ذلك وانتشرت هذه التقليدة التي تبتعد عن الدراما وروح المسرح وكأن هذه هي الحادة أو المسرح الحديث ، وفي الناحية الأخرى نجد إلا يغال في الفلكلورية أو في الزخرفة والزركشة الشعبية الخالية من المضمون في كثير من العروض.

ـكان من الأجدى أن تتفق هذه الأموال المهدرة على دعم وتدريب الفرق الإقليمية وفرق الهواة وإقامة دور عرض جديدة خاصة وأننا نعاني من نقص شديد في دور العرض ، هذه الأموال كان يمكنها دعم البنية التحتية للحركة المسرحية في مصر ، وبالمناسبة كان هناك مهرجان عربي عقد لمرة واحدة وكانت نتائجه أكثر إيجابية بكثير من المهرجان التجاربي وفجأة وبشكل يثير الدهشة والاستغراب يتوقف هذا المهرجان العربي بلا سبب وتستمر البهرجة والاسراف وتبدد المال العام على المهرجان التجاربي.

ـوقد يرد البعض بأن هناك جانباً إيجابياً في المهرجان تمثلاً في المطبوعات الخاصة به والتي وصل عددها إلى ما يقرب من ٩٠ كتاباً ، هذه الكتب لا نعرف أين توزع ولا يستطيع كل المسرحيين الحصول عليها وأصبح من لا يستطيع الحصول عليها يستقى خبراته ومعلوماته من عروضي هزلة خالية من أي مضمون تقدمها فرق بلا تاريخ تأثر إلى المهرجان وترحل بلا أي ثمرة حقيقة.

ـالمهرجان التجاربي لا بد أن يعاد فيه النظر وأن نفكر في إعادة بناء حياتنا المسرحية التي خرجت بسبب المهرجان التجاربي وأسباب أخرى كثيرة أبرزها الانقطاع البيروقراطي والساسة المشرفين الذين لا يشغلهم شأن المسرح وتشغلهم أمورهم الشخصية فقط.

المهرجان فكرة عصرية أصابها الجمود د. هدى وصفى

ـمهرجان المسرح التجاربي كان فكرة عصرية من حيث مفهوم التجربة . كانت

مسألة مواجهة اليقين بالتجريب وفتح باب مواجهة الخطأ بالصواب وإعطاء الفرصة التي قد تنجح أولاً تنجح في حد ذاتها، افتتاحا على المستوى الفكرى واجه موجة الحال والحرام فى الأمور الفنية التى كانت قد وصلت إلى حد خطير، ففى الجامعة على سبيل المثال اختطف بعض الطلاب الميكروفون من الصديق العزيز د/ عبد العزيز حمودة «الذى كان عميد أدب القاهرة لكي لا يقدم حفلنا فنياً ، وعندما بدأ المهرجان اقتحمنا هذا المناخ بمصطلح التجريب والمسرح المختلف واستقدمنا تجارب صادمة خاصة في الدورات الأولى للمهرجان وهى أعمال لم تصنع خصيصاً لنا بل هي تيارات موجودة بالفعل في بلادها .. كل هذه الأمور كانت شكلًا من أشكال الإيجابية الشديدة في هذا المهرجان وكانت المهرجان بعد ذلك كان يصيب في اختيار بعض العروض ولا يصيب في بعضها .. فربما آلياته لم تجدد بشكل مستمر أو أصابها بعض الجمود الذي يعتبر عكس فكرة التجريب بسبب عدم تحرك بعض المسؤولين للإطلاع على التجارب وعلى المهرجانات المختلفة في أنحاء العالم واختيار العروض بشكل أكثر موافقة من اختيارها عن طريق «الفيديو» إلا أن المهرجان يظل فاعلاً ومؤثراً.

- نستطيع إن نقول إن المهرجان التجربى يعتبر أكثر نضجاً بالمقارنة مع المهرجانات الأخرى في المنطقة برغم كل النقد الذى يوجه إليه.. خاصة أننى أستطيع المقارنة والحكم بعد مشاركتى وإطلاعى على المهرجانات الأخرى في تونس والأردن والمغرب وغيرها على سبيل المثال لا الحصر، وعلى الرغم من احتياج المنطقة إلى جميع المهرجانات إلا أن المهرجان التجربى أكثر نضجاً وإيجابية وفائدة ، وقد سمعت هذا الرأى بنفسى من أصدقاء فى تونس أثناء حضورى مهرجان «قرطاج» الذين أكدوا على أن الحركة المسرحية هناك تعتمد على المبارارات الفردية.. أما فى مصر فتوجد بنية تحتية ومسرح حتى طوال العام.

- أما عن العيوب الأساسية فى المهرجان التجربى، فأولها الاهتمام بالكم على حساب الكيف خاصة أن لدينا رأيا يقول إن مقاييس النجاح فى كثرة العروض المشاركة ، وثانياً هو أننى ضد فكرة التسابق فى مهرجان تجربى فالتجريب ليس له معايير ثابتة ومحددة.. وإن كان لابد من التسابق فيجب أن يقتصر ذلك على عدد قليل من

العرض ينتقى بعناية ومن يود المشاركة فى المهرجان يمكنه ذلك على هامش التجربى بحيث تقتصر السابقة على العروض المتميزة.

ولكه حرك المياه الراكدة

ناصر عبد المنعم

- بالنسبة لحصاد المهرجان نستطيع أن نقول إن المهرجان له تأثيرات إيجابية على الحركة المسرحية في مصر .. فالمهرجان أحدث نوعاً من أنواع التحرير لل المياه الراكدة في بدايته وفتح التواذد على تيارات جديدة في المسرح العالمي .. هذا بعيداً عن ملاحظة إن مستوى المهرجان أخذ في النزول وهذه قضية أخرى .. لكن دعنا نستأنف الحديث عن الجوانب الإيجابية . كان تحريك المياه الراكدة دافعاً لعدد من شباب المسرحيين في مصر لخوض التحدى بعضهم كان مقلداً ومعيناً للإنتاج الغربي كما هو، وبعضهم بحث في الخصوصية وحاول تكوين منهج حتى وإن كان غير مكتمل لدى البعض ، لكن المحصلة كانت شكلاً من أشكال التحرير على الإبداع نتيجة الإطلاع على التيارات الجديدة في المسرح العالمي وهو أمر كان لا يمكن تحقيقه إلا بالسفر إلى الخارج وهو أمر ليس في مقدور الجميع . الأمر الثاني .. إن هذا المهرجان نجح إلى حد ما في أن يضع المسرح المصري على خريطة المسرح العالمي .. أنا شخصياً سافرت ببعض عروضي وشعرت بذلك.. لقد أصبح المسرح المصري على صلة وعلى تماس مع المشهد المسرحي العالمي إلى حد بعيد.

- مشاكل المهرجان تتمثل في أولاً على مدار الاشتئ عشرة دورة الماضية هناك زيادة في كم العروض على حساب الكيف.. وعلى مدى سنوات ونحن ننادي بعدد عروض أقل لكن أكثر جودة .. والفرق الكبيرة التي نريدها أن تكون موجودة في المهرجان لأبد أن يتم مخاطبتها قبل المهرجان بستة أو اثنين .. كما أنها لكي تنتقل إلى القاهرة يجب تنظيم تكاليفها الباهضة .. لابد من أن يقل عدد العروض وأن يرتفع الكيف وأعتقد أنه من الأفضل للجمهور أن يشاهد عشرة عروض جيدة أفضل من خمسين عرضاً متواضعاً.

أما عن نفسي أنا شخصياً فأنا يعني العروض التي قدمتها فقط لأنها ذات بعد

اجتماعي وتناقش قضائيا في غاية الأهمية وهي قضائيا خطيرة وفي الصميم وتشتبك مع الواقع ..فكيف أكون مشتبكا مع الواقع ثم يقال عنى إننى أقدم مسرحا سياحيا ..أنا مسرحي ملتزم اجتماعيا ولدى دائمًا مشاكل مع الرقابة ومسرحي غير مرض لجهات وهيئات كثيرة ، أنا أيضًا مشتبك مع قضائيا اجتماعية وجماليات قديمة.

ليس بديلًا عن مهرجانات أخرى

خالد جلال

..كل تجربة لها إيجابيات ولها سلبيات إلا أننى أعتقد أن المهرجان التجريبى بعد ١٢ سنة كان له إيجابيات أكثر من سلبياته بكثير، وهناك اتهام موجه للمهرجان بسبب ضعف مستوى بعض العروض القادمة من الخارج رغم أن الذى يتحكم فى هذه العروض ويرسلها هو وزارات الثقافة فى بلاده !! ونحن لا نستطيع التحكم فى وزارات الثقافة الأجنبية لكن أنظر إلى الجانب الإيجابى فى المهرجان المتمثل فى ظهور جيل جديد من المخرجين خلال الـ ١٢ سنة يتمتع بجرأة فى التعامل النصوص المسرحية وتكتنل المسرح عموماً، بالإضافة إلى أن المهرجان الذى يحضره حوالي ٥٢ دولة كان بديلا للبعثات فى الخارج!! من خلال توفيره لاحتياك جيد مع الفرق الأجنبية.

والمهرجان التجريبى الفضل فى ظهور مخرجين مثل «ناصر عبد المنعم» و«انتصار عبد الفتاح» ونتائج فرقة الرقص الحديث «شباب المخرجين الجدد مثل» محمد شفيق « العاصم نجاتى»، وأنا غير متفق مع الرأى القائل بأن البعض يقدم عروضاً سياحية، كما أنه إن كان هناك خطأ فهو خطأ لجان الاختيار التى تختار هذه العروض لتمثيل مصر.. والذى قد ترى أن الذى يجب أن يمثل مصر هو التراث.

الغرب ليس أكثر تقدماً

عصام السيد

-المهرجان التجريبى أحدث حركة لا يمكن إنكارها فى الوسط المسرحى ..لكن هذه الحركة كانت حركة بالطبع لها مميزاتها ولها عيوبها ..ورغم أنها حركة كثيرة من الرواكد إلا أنه أصبحت هناك «غربة» بين بعض العروض والمترجح المصرى هذه الغربة كانت نتاج تقليد «الخواجة» ، الغرب يقدم عروضاً مستمدة من تاريخه وتقاليده وتراثه

تعكس هويته.. وإذا أردنا أن نستفيد من تجربة الغرب فيجب أن نهضم ما يقدمه لنا ثم نعيد إفرازه من خلال تاريخنا وبيئتنا وثقافتنا وعلى سبيل المثال العروض التي تلغى الكلمة تماماً ظهرت بقوة في أوروبا بعد الحرب العالمية لأنهم اعتبروا اللغة تلغى التواصل فظهر مسرح العبث لتتطور المسألة لديهم وتنتهي بظهور لغة الجسد .. ليس معنى ذلك أنه متقدم أكثر منا ولكن معناه أن ثقافته تتبع له ذلك .. أما نحن فلدينا أمية بصرية فكيف نلجم إلى إلغاء الكلمة ، بالإضافة إلى أننا أبناء حضارة كلمة والإشارة عدنا عامل مساعد، عندما أفلد الغرب لن يهتم بمشاهدة تجربتي ولكن عندما أعبر عن ثقافي وتراثي وهوיתי سيساهم في التعرف على ، وانظر إلى العالم الآن... كانت الموضة السائدة في الموسيقى .. هي موسيقى أمريكا اللاتينية والآن الموضة السائدة هي الموسيقى الكوبية لا يعني ذلك شيئاً لنا .

- أنا أتفق مع وجهة النظر التي ترى أن بعض العروض المصرية عروض سياحية ومن وجهة نظرى أن التجريب في منطقة التراث والفلكلور يجب أن يقوم على اكتشاف عناصر جديدة تضيف إلى العرض المسرحي بحيث يصل إلى أكبر قدر ممكن من الجمهور نحن دولة عالم ثالث يجب أن نجرب في الشكل والمضمون بقصد توسيع قاعد الجمهور ولا نملك تراثاً يقدّم عروضاً يراها شخصان كما في الغرب أحياناً ..

تجربة في أرض قاحلة

د. محسن مصيلحي

من الصعب تقييم جهود ١٢ سنة من المهرجان التجاربي لكن يمكنني أن أقول ملاحظة عامة وهي أن المهرجان في حد ذاته يعتبر ظاهرة لا بأس بها .. مقصود منها تحرير ساكن أو إضافة معلومات واتجاهات مسرحية ونقدية جديدة، مقصود منها استحضار عروض مسرحية حديثة من دول العالم .. كل هذا كهدف يعتبر هدفاً متميزاً جداً ومهماً . وهذا تحقق إلى حد ما .

- الخطأ الأساسي أو النقطة السلبية الرئيسية في الموضوع هي أن المهرجان يحدث داخل أرضية قاحلة تماماً، فالواقع المسرحي خلال الخمس عشرة أو العشرين سنة الأخيرة كان يحتاج إلى مجهودات تأسيسية قبل أن تتجه إلى سياسة المهرجانات أو



الاحتياك بالعالم الخارجي .. فالواقع المسرحي ساكن وراكد وليس هناك أفكار أو إبداعات جديدة، ويفتقد إلى البنية التحتية من الدارسين والمعوشيين ولا توجد دور عرض كافية وملائمة وهي قضية مهمة جداً لم يتم بها أحد ، وحينما تستقدم فرقاً من الخارج للمهرجان وتقام الندوات والمحاور فهذا نوع من استزراع نبات واحد في بيئة غير مرحبة به وغير مهيأة لاستقباله ، ولذلك لن تستطيع أن تلمس إيجابيات المهرجان بالشكل المرضي ، ربما تجد بعض المخرجين المتنبئين لمناهج جديدة في الإخراج لكنهم مقلدون للعروض الغربية التي شاهدوها لأنهم غير مؤسسين بشكل جيد . وربما ترى البعض يستخدم مناهج نقدية حديثة لكن البيئة المستقبلة لهذه المناهج النقدية بيئه غير مؤسسة وغير مهتمة بالمسرح .. والنصوص التي تترجم يتم تنفيذ عدد قليل جداً منها قياساً على ما ينفق على المهرجان .

- فيما يتعلق بالعروض المصرية المشاركة في المهرجان ، هي عروض تحاول أن تجارى السمة العامة وهي سمة الصمت والعروض الحركية التي يصعب فهمها على الكثريين ونحن تراثاً ثقافياً ولهذا ففي الغالب لا تبقى هذه العروض بعد إنتهاء المهرجان ، والنوع الآخر من العروض والتي أطلق عليها عروض سياحية - وهي تسمية صحيحة إلى حد كبير - فهي تحاول أن تقدم أشياء مصرية خاصة جداً لتبدو كأنها تظهر جوانب خفية للأجانب من أعضاء لجنة التحكيم على وجه الخصوص ، والحقيقة أنها عروض غريبة عن بيئتها ومستبقة لهدف الفوز بجائزة .. بينما المسرح له هدف آخر تماماً.

أدب ونقد

شعر

تنويعات الغضب مع

انتفاضة الأقصى

ماجد يوسف

للحقد والإنسان

امتى الطلوع الجرئ

لصبحنا الأنسان

امتى النهار المضنى

يفلت من السجان

إمتى ١٢

xxx

أشهد ياتراب على دم شهيد

شاهد على شهد الحرية

شاهد على شاهق فجر جديد

الدم مشح بروح هدر

والظلم له مرتع وخيم

ياشaron ياحيـان انسـعـر

نفسك شـيطـانـك يـارـجـيم

والـشـر لـوـزـاد وـاـنـتـشـر

يبقى انتـقـى شـرـالـحـلـيم

قـومـ وـاتـقـى غـضـبـ الـحـلـيم

لوينـجـرـ صـبـرـ الـحـلـيم

xxx

امتى السطـرعـ البرـىـ

شارق م الروح العربية

xxx

يسلم يمينك يا ولدى
تسلم قلوب الضراغم
فروت أعزه يا بسلدى
ولاتجيا والأنف راغم
” ولا بد من يوم يا وعدى
ترد فيه المظالم
أبيض على كل مظلوم
أسود على كل ظالم ”
xxx

وتشمس بكرة اللي ظاهره
تطرح أمل فى بنىها
والأمة طالعة المظاهرة
عن كل بكرة أبىها .
xxx
ياعين بتبكى دموع
ولا بتبكى بدم
ياحزن مالى الضلوع
واصل مرارة الفم
ياعمرنا المفجوع
ف الأخ وابن العم
قلب الوطن مصدوع
والغدر ملعوب تم
ماعدش فيها رجوع
وماعدش غير الفم
ضاع الوطن بخسوع
حكام عوالى وهم
وآدى الوطن ممزروع
ولاحد قام واهتم
جمل الأمل مقطوع
.. كيف الأمل يتلم ؟
كيف الأمل يتلم ؟
xxx
اهتك .. وطيع .. وقتل
واطفى .. وزيد .. واغتر

وواجه ف العدو الغادر	اكدب .. وخون .. دجل
وداس صعبه	ولاترسى يوم على بر
وشد الحيل على الآخر	والظلم لو طل
مع تعبه	الدنيا كروفر
ولاسلم ولاتأخر	العدل يتأجل
شجاع قلبه	لكن مامنه مفر
ح ييجي اليوم وحنداك	مسيرها يوم تعدل
دروس حرية	قلب الشهيد ينس
لاخان ولاباع ولاتأمر	يههل ولايهمل
على شعبه	والشر آخره الشر
xxx	xxx
الفرق بينك وبيني	يامه بحالها فى نكبة
مش الرصاص والحجر	ويافلسطين
ولا الحيام والبيوت	دمانا واصله للركبة
الفرق بينك وبيني	وع السكين
فرق الوحوش م البشر	واخريا حابك الحبكة
وانى باعرف أموت !!	بصمت مهين
xxx	وياعنى ف شدتى الصعبة
إضرب كمان ف رصاص	لعدو الدين
واقتلى شباب وولاد	لاعاد مفني ولادبكة
هل خسنة القناص	ولا ياسمين
ح تساوى الاستشهاد	يازعموا العالم الريكة
xxx	يامنحطين
مش كلمة بنقولها	شباب ف الضفة متحاصر
ملهاش طريق ومسار	ومعش ذنبه

XXX	ان الظلام حيوات وحبيبي بعده نهار دى حقيقة زى الشمس قد الحديد والنار قد المواس الحمس قد الغضب لو ثار والظلم لو كان جبل واجهوه بجمع الأمل حاصروه بحلم اكتمل تلقوا الجيل ينهار تلقوا الجيل ينهار XXX
XXX	عاشت مصر حرة عزيزة .. مستقلة وجوا روحنا دره مباركة ف كل مله XXX
XXX	وشامخة .. أبيه .. غرة فوق وجودنا ضله يامصر العيشد مرة فعل اليهود مذله ح نهب ألف مرة عشان رايتنا تعلا
XXX	عاشت مصر حرة عزيزة .. مستقلة
	رفض الكنائس جرس رفض المساجد آدان الأمه ضد الحرمس ونا انتبهاء الحرمس الدره راكب فرس وبيعرف الأخنان بينادي أمة الإسلام

صهيون سامي	أمة يسوع المسيح
كلب حرامي	ماعدش فيها سلام
لاطش وطني	مع أمة التراسخ
من قدامي	ولاعهدوكلام
سارق غبيطى	ودم ولدى يسيح
وسمنى وزبى	الفعل هو الإمام
وهادم بيتي	هو الله فيه تصحيف
تحت قدامى	قوموا أنصبوا الأعلام
دابع أمري	واتجemu للربح
وابويا وعمى	XXX
وسائلك دمى	دم الصبي الدره
ف قلب خيامي	يصرخ على أمته
لص قراري	يا أممه .. ياحرة
واستعمارى	حقد اليهود مؤته
ناهب دارى	قتلوك ف غرة رجب
بنفك حاخامي	في شهر له حرمات
أما الآخرة	واستهروا بالعرب
عرب التخوة	ولا هم مين مات
قلوبهم رخوه	وحياة غيطان الغضب
وليلهم طامى	والحبة فيها مئات
أما أميركا	لتدور على المفترض
زعيمة الشركـا	الدائرة .. وف سنوات
ففيها البركة	يتمنى لحة هرب
ف شل قيامى	يصرخ ولن ينفات

XXX



برجمك ساعة الإفاضة	القومي يا أمد
xxx	ولي الله
حدك الأقصى أغيبالي	وزيحي الغيم
أول حدودي الشهادة	بدال ماتنامي
كل اما تحصر مجالى	لصهبون سامي
طلقى يحمى بالولاده	كلب حرامى
xxx	لاطش وطنى
لما الحجر بيخوق الدبابة	من قدامى ا
واما الطفولة بترعش الأجلاف	xxx
مين المزيف وقضيته كدابه	الولاد من كل فج
مين المدجع إغا خواف	هما روح الانتفاضة
xxx	كل طفل بطوطه .. حج

أدب ونقد

شعر

تراث قائد

فاضل السلطاني

العودة

سأعود

قد يعرفني التخل المقطوع الأعناق

ويعض الأشجار

قد يعرفني بعض الأحجار

سيحييني بعض الطير

اللابد في الونكتات

سأقول : صباح الخير

هأنذا عدتُ

مازلت كما كنتُ

قد يعرفني بعض الأموات

فيزبح الترب عن القبر

- سلاما

مازلت كما كنت

كأنك ماشرقت ، ولا غربت ..

كأنك مت

فما مرت في البعد عليك حياة .

سأعود

سامشي مرحا في الأرض

ستعرفني أمي

وسيخضل العشب على القبر

سأقول : مساء الخير

هأنذا عدتُ

مازلت كما كنتُ ..

أين أبي ؟

سأعود

أجمع بعض قصائد

<p>سأعود ستصطف الأشجار على الصفين سيحيني الطير الراقص في الوكتات سيقوم الشجر الأشرف منتصب الأعناق يفيض النهر</p> <p>سترقصه الريح سيبتل قميصي ويسفتح البيت</p> <p>سأقول : مساء الخير هأنذا عدت مازلت كما كنت كأني مت فما مرت في البعد على حياة. قد يعرفني بعض الأموات.</p>	<p>كانت أخفتها الريح عند النهر سأقول: صباح الخير أيتها الكلمات أتذكرت الشاعر في خلوته ؟</p> <p>سألمم بعض صبای المتأثر في الحرارات سأقول : مساء الخير هل تعرفي ؟ هأنذا عدت مازلت كما كنت - إذن من هذا الشيخ الواقف خلفك ؟ إني أبشر شيئاً مني فيه وعلى جبئته اللح بعض خطوط أعرفها وأرى فوق الوجه غضوناً تتعرج ..</p> <p>فى الكفين خطوطاً تتساوج فوق الجلد .. كأني مرسوم فيها سأعود لتلك الشجرة واقفة فوق النهر جرداً من الغصن ومن الطير سأقول: مساء الخير أيتها الشكلي ! هأنذا عدت إليك سأعود لذاك البيت سأقول : لك الله كم موتاً مر عليك ؟</p>
---	---

نضوج

ناضج أنت مثل الخيانة
ناضج للخيانة
ناضج للرجل
ناضج كالطير
تساقط فوق المحيطات
مثل الصخور
تفتقن فوق التراب.
ناضج للسكنون
كالكراسي

ناضج للسقوط

ناضج أنت مثل الحياة.

.....

ناضج أن تموت

ولادة

إغلاقى جسمك الآن ..

أسمع ظلاماً غريباً

يدب على الساعدين

وعلى الركبيين ، أرى

دمعتين من الحوف ترتعشان

اغلقى جسمك الآن ..

شيء تغير حتى الكتاب

يغلق الآن عنوانه

والجدار يغير ألوانه

ويهرب لوحاته

تذكرين

"آنسات أفينيون"؟

كنت أحببها

ونقشت عليها

بالرصاص

فنممات من الحب ..

ثم كسرت الأطار

فهرين من الظل للنور
حتى تهارين فوق يديك
اغلقى جسمك المتفتح منذ قرون
ربما يدخل الآن من أيام فتحة
ربما حان وقت الزيارة
ربما يرقد الآن بيني وبينك
شيء تغير فيما
اغلقى الآن جسمي فيك
خذلني من الظل للضوء ..
هل ترحلين معى ؟ اغلاقى
أنه الزائر المستحيل
على الباب يطرق ..
والبيت يغلق أبوابه
والسرير الذى تناصفت بينى
ويبن الجدار
يهرب ظلمته
افتختى جسمك الآن ..
هل تسمعين ؟
أنه الزائر المستحيل
طفلك المنتظر
يناضج الآن بين يديك
فاستعدى ..
للرحيل

أدب ونقد

قصة



والكلاب

عبد الكريم ممدوح على

أشياء كثيرة تبحث عنها وتريدتها في ثياب رجل واحد.

لا يريد سوى امرأة ، يبدو خجولا .

جريدة ، لا يعطيها سوى بعض من تردد الآنسى .

نفضت يدها قبل قليل من إثم علاقة مع حيوان ، مازال أثر حوافره على مقربة من

قلبها .

يزعم أنه كان ينتظرها .

تحاول أن تكافئه ، وتخيل فيه ماتريد .

لم يختلف عن سابقه سوى في مقدار الألفة الفطرية.
استخدمت قانون الإزاحة ليحل رجلها الجديد ، اصطحبته إلى العش الذي تقيم فيه مع حبيبها الآخرين.

ارتبط عندما شاهده ، إنه أستاذة بالجامعة ، أخذت عيناه تتنقلان بين الأستاذ وأثاث البيت المتواضع وساعة يده التي تشير إلى الثالثة صباحا .
لا يوجد بالغرفة سوى سرير يتسع لشخص واحد ، وب Finch فرقه اثنان .
اقترح الأستاذ أن يناموا ثلاثة على السرير وعندما لاحظ علامات الدهشة ، أوضح لها كيف يمكن ذلك .

نامت إلى جوار الحائط ونام صديقتها على حافة السرير ، أما الأستاذ فقد حشر نفسه بينهما وأضعا رأسه عكس رأسيهما .
بعض طلبات بسيطة طلبها الأستاذ من الشاب ، وسادة ، أن يغسل قدميه ، إطفاء النور ، ينام على جنبه مستثيرا الأستاذ لأنه لا يستطيع أن يتحمل قسوة ركبتي شاب في مثل سنّه .

وطن جسده وأعصابه كمن ينام على حافة بئر ، أراد أن يتوقف شهيقه أو دفق القلب للدم في عروقه ، يريد أن يتجمد أو يشتعل ، أما حالة السيولة الغربية هذه فأنها لا تحتمل .

وعندما بدأ صوت السرير يعلن للراقيين أنه أشجع من بالغرفة ، اختار الشاب لنفسه إغماءه لم يفق منها إلا بعد عشر ساعات .
وعندما خرج الشاب لإحضار طعام الإفطار ، أعاد الأستاذ على مسامع فتاته قانون العلاقة تعلمين أني متزوج ، لم أعدك بشئ ، إنه وقت طيب نقضيه معا ، قد ينتهي الآن ، وقد يستمر لعدة سنوات .

اعلم ، أنه اختياري ، لأريد أكثر من ذلك .
ماذا ستتعلمين مع صديقك .

إنه شأنى .
لأريد أن أراه إذا حضرت إلى هنا مرة أخرى .
انتهت بصديقتها جانبا وأخذت تحدث .

لم تستطع أذناه أن توصل إلى عقله أيا من الكلمات والجمل التي صكتها ، من نوع - الشفافية ، والحب والملكيّة ، العلاقات الموازية ، حرية الجنس - كانت مشاعره قد اقتادت عقله إلى منطقة غير بعيدة ، أخذ يتأمل ساقيه ، حاول أن يتذكر لون حذائه وجوبه .

أدب ونقد

قصة



جميلة

بسمة عبد الرحمن

ما كان هناك سوى الوحشة وخيوط صباح لم يبدأ بعد ..

وعين أرعشها الخوف فتوارت عنها الشمس.. ولم يرحاها الدفء

- صباح الخير

- صباح الـ

كانت أصابعها الصغيرة مضمومة بشدة على طرف فستانى كأنها تريد أن تمسلك
به كله فى قبضتها وهى ترفع رأسها بكل قوتها كى ترانى فنزلت فورا على ركبتي وقد
أثار دهشتي شعورى بأننى (أطول من..)

- خير يا حبيبى

-شعرى اتفك ومش عارفه اعمله..

كان شعرها هائشا للغاية وبعثرا فى كل اتجاه وكانت تمسك فى يدها توكة بها
عصفوران من البلاستيك .. أمسكت الهالة السوداء بيدي
-اسمك ايي؟.

-جميلة.

-وأنت فعلاً جميلة.

كان شعرها ناعماً للغاية بعكس ما شعرت به حين رأيته هائشاً هكذا
-ماروحتيش لاما تعاملهولك ليه يا جميلة؟.
-ما .. ماما ؟ بس هو اللي فك لوحده.

سكتت قليلاً ثم أضافت : والله!

سكتت .. فضحك

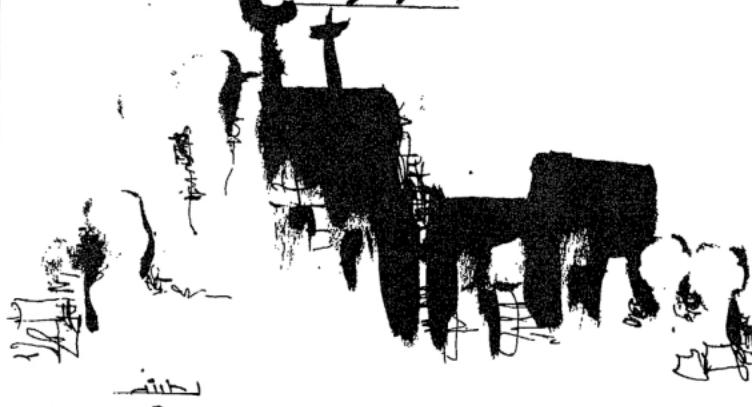
-ولا تزعلى يا ستي أهو بقى حلو خالص
-جميلة

كانت الأم تجري نحونا بتوجس ما ليث أن تحول إلى ابتسامة تشبه اعتذار حين
لحت شعر جميلة.
شكراً

أخذت اليد السمراء ومشيتا سويا .. وحين كانت تلوح لي أردت أن أهمس في أذنها

-تعرفني يا جميلة شعرك أحلى كثير وهو منعكش.
لكننى استدرت وأواصل المشى ولا أدرى لم التفت فجأة لاري الأصابع الصغيرة
ترزحف بيطء ولتلعب فى العصفرين.

أدب ونقد



تواصل

نافذة المبدعين

ولا عارف إيه المشوار	نشرة الأخبار
مسمعتش نشرة أخبار	إحساسك إيه وإنست بتسمع نشرة لأخبار
مسمعتش طب ضرب النار	بتتشور ويتشجب ويتصرخ وتقول ده
ولا شايف ناس جوه حصار	حرام
ولا شايف طفل بيتألم	ولا بتتعشى
ولاست عجوزة بتتظلم	وتتمشى ويعديها تناام
ولا شاب بيصمد ما يسلم رغم الإعصار	ولابتسمعها وتنساها وتقول
مسمعتش نشرة لأخبار	مفهمنتش معناها
مسمعتش طيب ع الدره	وكائلك أصلًا مش عربي

		عن سارة وغيرهم م الشهدا أطفال أحلامهم كت حلوة أطفال وموتهم كت مرد أخطفهم من حضن الدنيا من بنا خدوهم وف ثانية النبض اتوقف فى قلوبهم
		من غير صفاره وإنذار .. وأهو كله فـ نشرة لأخبار
	سامح هريدى	
		رفض
		البحر الموسوم باللون الأحمر
محمد سعيد مصطفى		يتذمر
		ذاب حياء
		بين الأبر
		يرفض أن يدعى
		الأحمر
		فالأحمر لون الدم
		لون السهرات المقوته
		لما تتناثر في الحالات
		كل الرغبات
		المكبوة
		رزى الراقص كرها
		حين الجلاد
رؤيا		
	ايقاع أول:	
	يمر القطار	
	فاهاشد حشرا	
	إلى رحلة لا حدود لها	
	وامسى كهلا	
	له ما تبقى	
	من الزمن الفوضوى	
	ربابته اليعربية	
	وخيمته الحاتمية	
	ايقاع ثان:	
	يمر القطار	

فأشهد حشرا
 إلى رحلة لا حدود لها
 أولد ثملا
 له ما تبقى من الزمن النبوى
 رهافته الترجسية
 وقامته الهاشمية
 أيقاع آخر:
 يمر القطار
 فتولد في النفس أشجانها
 وأشهد فيما يرى النائمون
 جحافل يأجوج / مأجوج
 تسلب برق الحضارة
 تمنح زيف الحضارة
 والنبوة المستعارة
 والوهجة المستعارة

فلن تجدين ولينا
 ٢- هذا زمان الظهورات
 فانتظره ملياً
 وانتظره صلاحاً
 وانتظره علياً
 فقد يأتي عند الهزيع لأخير
 وقد يأتي بعد العشاء الأخير
 وقد يأتي بعد انتهاء القضية
 ٣- هذا زمان الظهورات
 فانتظره صبياً
 وطوفي على كل بيت عتيق
 وصل على
 فإني تعمدت في ألف نهر
 وإنى تعبدت من ألف دهر
 وإنى تلقيت ألف وصية
 فلا .. لا .. لا
 وغداً للوصايا بقية
 ٤- تأخرت الشمس خمسين عاماً
 وألقوا بجثتها في الخليج
 وشدوا عليكم غطاء الظلام
 سقونكم من اللبن المتاخر
 ضرعاً غليظ القوام
 وقصوا عليكم حكايات قوم
 ينامون عند القيام
 ويصحون عند الطعام

نبيل عبد المجيد أحمد
 أسيوط
عزف على أوتار محروقة
 ١- هذا زمان الظهورات
 فانتظره نبيا
 ورشي البخور على مجرم النار
 شيئاً فشيئاً
 وحين يطير الدخان الكثيف
 إلى رنتيك
 مدي إلى يديك

ويختلفون على نهد أنثى

تبدي لهم مثل ببعض النظام

فلا تظهروا يا ذكور الخليج

ولا تسهروا يا نساء المحيط

فإن الذي في عروق العروبة

ما «وزيت» وبعض المدام

ناموا ولا تضجروا من منام

فقد يأتي ضاربكم في الصباح

وقد يأتي ضاربكم في المساء

وقد يأتي قبل انتهاء الكلام

٥- يا عرب الأرض المحطة

خجل «من أفكارى المختلفة

وأفعالى المعتلة

وأهدابى المبتلة

«خجل

من طفل يرتاح إذا ألقى حجراً

فى وجه القتلة.

نصر الله لييب منزق

إلى مياوم مغري

صور بالبياض والرمادى

هذا الذى ..

يعبر حقول القمح

يدس فى قبه

منجلأ ألد

وباقة سنابل يابسة

هذا الذى ..

يعدو وراء طفولته

يخبئ فى محفظته

كتاشا للتناوب

وقارورة شاي باشت

هذه التى ..

فى عينيها نوم لذىذ

تلف فى سلطتها

خربزا باردا

ذلكته البارحة ..

بأصابع مضخمة بالحناء

هذا الذى ..

يلمع أحذية السلاحف

يسر فى رحم صندوقه

خرما فاسدا

هذا الذى ..

يلهث خلف عربية

يخفى تحت أسمائه المبقعة

علبة نشوق رخيصة

وهذا الذى ..

يتکور فى مقهى الكرامة

يدس في جيوب معطفه	بالبكاء المختلط بتعديدها . وعندما تنتهي
طلقات كاتمة للصوت	من تردید كل ما حفظته أنها تتسائل قائلة:
عبد الله المتقى	من يحمل عنك الهموم يا ابنتي فليت أخاك
شاعر مغربي	لم يذهب إلى مولد الشيخ نوبل مع أترابه
عضو هيئة مكافحة شعرية	الذين تركوه تائها .
مولود الأثنى	تسحس وجهها بطرف ثوبها الأسود
الرجال الذين يمرون على الطريق لن	القديم . تعود تلقى بالنوى على الشري
يعباوا بها ، والصبية الذين يمتطون دوابهم	لتستطلع نوع المولود الذى ستتجبه بيتها
ويقودون مواشيهם يقلدون الكبار فى رفع	الملاكتة فى الدار والتى اشترط عليها زوجها
أنوفهم لأعلى بينما هي تغطي وجهها	قائلاً إن لم تنجبى ولداً فى هذه المرة فلن
بطرحتها السوداء التى تقاد أن تخنقها	تعودى إلى دارى ، وستعاني ما تعانى أمك
رائحة العرق التى تقطن بين خيوطها	من آلام الضرة وسخرية الجارات .
القوية، ولن تكشف عنه إلا بعد أن تتأكد من	ظهور الشمس ضعيفة فى منتصف
إنهم نأوا عنها جميرا . فتعود صامتة بمعاجها إلى الدار .	السماء . تعود صامتة بمعاجها إلى الدار .
المتناثرة تحت السماء المغطاة بالضباب	يأتى المخاض إلى بيتها ، فتوacial
، تتحسس عنقها وصدرها وأقدامها	صرخاتها وتنقل النسوة صامتات .
، وتحاول أن تطرد النمل الذى سيطر عليها	يجلسن فى انتظار الخبر من الداية التى لن
تأثيراً من جذع شجرة السنط التى تجلس	تکف عن الشريرة وتردید حکایتها عن
تحتها .	العطايا التى تفوز بها من أزواج النسوة
هي تمارس لعبة المظبني التمر	اللاته ينجذب نكراً ، فجأة يمزق صيام
القديمة تلقىها على الأرض لعلها تساندها	الطفلة القادمة إلى الحياة آذان الجميع
في التفاؤل بعودة الولد الصغير ، ولكن	فتفتح النسوة ثورهن عن ابتسامات
النواة التى ترمز له تائى على الأرض	صفراء وهن يتغامزن ثم يغادرن الدار دفعة
مقلوبة ، فيخيل إليها أنها تحتضر . عندئذ	واحدة خلف الداية التى تحاول الاختفاء قبل
تنساقط الدموع من عينيها ، ثم تجهش	أن يتسرّب الخبر إلى أبي الطفلة .



التي تحضنها أنها في رفق.
على وابور الجاز وتقدمها إلى ابنتها في حزن شديد . تتأمل الطفلة الملقففة في خرفة قماش ممزقة ، فتلتعن لعبه النوى التي خانتها في هذه المرة ، وتهمس قائلة: ربما أنها أخطأت في انقلاب النواة التي تشير إلى موت الولد الصغير .
تجتاحها حالة قلق شديدة . تتذكر أن

اليوم هو أول أيام الاحتفال بمولد الشيخ تقف فجأة وتدفع الرجل في صدره بيديها فيقع على الأرض ثم تواصل جريها نوبل . تتفق في مكانها تخيل الولد الصغير وهي تصرخ : عبد الشافى كبدى فجأة ، تحسب السنوات التي مرت بغيره :- لو كان الولد على قيد الحياة لصار فتى . تراه يلقى الفتى بنفسه في حضنها ولكن ما زال بصره معلقاً بالفتاة التي يعكس وجهها من بعيد تصريح: عبد الشافى أنا أملك أقبل أشعة الشمس المنطلقة من الضباب .

محمود خضرى يس

أدب ونقد

بطاقة فن

• أحمد عبد الكريم

كيل يقعو عشرين عاماً، وقف الفنان أحمد عبد الكريم بقلعة صلاح الدين الأيوبي
وطلحديد بجوار مسجد محمد على باشا ، ليقدم لنا بعض لها خصوصيتها الفنية رؤيته
التشكيلية لمباني القاهرة الفاطمية والمملوكية ، وكانت أعماله معرضه الأول معماريات
وجданية ، الذي مثل إعادة اكتشاف إيقاع المعمار الصامت وتحريك مجسماته في
مسارات بصرية تتدخل فيها الألوان ، وتحكي داخله الخطوط ، وترقص به الجدران
 بشخبطات ورسوم ولافتات إعلان وهمسات تدور حول الأضريحة وداخل أذهان الرجال
 والنساء والأطفال ، وعشنا مشاهد مسرحية تشكيلية يتجاوز فيها الأبطال ، الزمان
 والمكان والشخص ، على مسطح التصوير ، بمفردات يتجاوز فيها طرح البحر من خير
 ، وطرح الأرض من نبات وطرح الزمن من خيل مسرحية ترکض فوق صهوة اللون
 والتاريخ.

بعد غوص لاحق في التاريخ ، يخرج الفنان أحمد عبد الكريم إلى النيل الحال ،
 فيجرى معه إلى مناطق أسرة ، تتسع بها معاجم مفرداته التي تخصبها الفلسفات
 والحكايات ، فيزاوج بين رموز المعمار وأيقوناته ، وصور النيل وتحولاتة ، قبل أن يقترب
 فوق مراكبه الورقية ، مستعبداً في رحلة الأسود والأبيض رسومه المصرية القديمة
 والحديثة متخذنا من رموز وجوه النيل والنخيل وأختاثون تمام وتعاويذ ورقى تقىه
 عذاب الغربية.

الخصوصية والحياة ولحظات الميلاد وطرح الحكايات ، أليست صفات النخيل مثلاً
 هي صفات المرأة ، هكذا تجسد رسوم أحمد عبد الكريم حين يلتقي جسداً النخلة والمرأة
 في عناق يستمد نسغ حياته من دفء اللون وحميمية الألفة إنها مرة أخرى عناصر
 الفنان التي يؤلّفها ويولّفها معاً ليعبر عن رؤيته الأشد خصوصية حتى وهو يتناول
 مواضيع عمرها آلاف السنين : الإنسان والحيوان والطير والجبل والنيل والصحراء .
 وهو يستغل دراسته الأكاديمية ورؤيته العقوية ليصوغ مرايا هندسية جديدة ، تخرج
 عن التألف التقليدي والتوازن المكرور ، ليبدع آلية جديدة في توزيع عناصر اللوحة
 بشكلها الذي لا يشبهه سواه.



أ. علاء الدين شوقي

www.lisanarb.com

